

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب

فقيه نجله... ومعلمه



د. هشام عبد الوهاب الشيخ

عبد الرحمن محمد

فَهْرَنْجِيَاط... وَمُسْتَهْدِر

تأليف: د. هشام عبدالوهاب الشيخ

المراجعة التاريخية: الأستاذ حسين راشد الصباغ

التدقيق اللغوي: جمعة عبدالرحمن بوحمد

محمود أحمد عبدالرحيم

المتابعة: الشيخ إبراهيم محمد الحادي

تصميم وإخراج: الخليل جرافكس «محمد العدل»

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الناشر الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٩٥٨-٢-٠٥٤-١

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: د ع ٢٠١١/٩٥٦٥

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا
عَنْكَ وَزْرَكَ ۖ أَلَمْ يَأْتِ الْوَسْوَءَ الْيَمِينُ
ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا
ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ
فَارْغَبْ ۖ ﴾

صدق الله العظيم





إهداء..

إلى كل مخلص لكلمة اسمها البحرين..
وإلى كل عامل عاش وضحّى من أجلها..



في حفل تكريم الرواد والمتقاعدين
برعاية الأمير الراحل صاحب السمو الشيخ
عيسى بن سلمان آل خليفة -طيب الله ثراه-
(مارس ١٩٩٧م)

المحتويات..

10	الأستاذ حسين راشد الصباغ	تقديم
14	د. هشام عبدالوهاب الشيخ	المقدمة
18	في البيت العود	الفصل الأول
42	في حلوان.. بين الإخوان	الفصل الثاني
56	كنت الرقم الصعب	الفصل الثالث
90	حنين إلى القضاء الواقف	الفصل الرابع
102	نفسٌ جديد يقود الصحوة	الفصل الخامس
118	نحن وأحداث التسعينيات	الفصل السادس
142	من وحي المنهج الأصيل	الفصل السابع
176	كلمات في حقّه	الفصل الثامن
244		ملحق الصور
265		شكر وعرفان
266		المراجع



بقلم: الأستاذ حسين راشد الصباغ *

١٩٥١م حيث انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين وأصبح من دعاة، وفي البحرين أصبح من رموزها الفاعلين.

تم تعيينه بعد عودته إلى البحرين قاضياً فاضلاً ومشرفاً أميناً - فيما بعد - على قطاع هام خلال انتخابات المجلس الوطني عام ١٩٧٣م، والتي اتسمت بالنزاهة في جوتسوده الديمقراطية الحقّة، وللشيخ مقولة مفادها «ليس المهم القانون العادل، بل الأهم هو القاضي العادل».

في العام ١٩٧٤م عين وزيراً للعدل وعضواً في المجلس الوطني المنتخب، وقد وثدت هذه التجربة الوليدة الفذة في مهدها، حيث حلّ المجلس عام ١٩٧٥م وذلك بسبب تغنّت التيار اليساري والقومي، وما أطلقوا على أنفسهم كتلة «الشعب»، ولقد عاصرت هذه المرحلة

قرأت بإمعان وروية الملف الوافي والشايف الذي أعده الدكتور هشام بن عبدالوهاب الشيخ حول سيرة القاضي والمحامي والداعية والوزير اللبيب الشيخ عيسى بن محمد بن عبدالله آل خليفة.

إنه جهد عظيم يشكر عليه، والذي لا شك فيه أنه استفد الكثير من وقته وجهده، وبذل فيه النفيس والغالي لإخراجه على هذا الوجه الجميل؛ ليكون إصداراً وكتاباً بعد طبعه بمشيئة الله، ولا يسعني هنا إلا أن أردد عجز هذا البيت المأثور دون أوله:

.. وبورك في الشباب الطامحين

في الكتاب المعد رصد كبير لا تخطئه العين لمسيرة الشيخ عيسى بن محمد أثناء تحصيله العلمي والدراسي في مصر بدءاً من عام

من موقعي كمسؤول في وزارة الإعلام للشؤون الصحفية والثقافية، وحضرت الكثير من جلسات المجلس الوطني مرافقاً للعديد من كبار الصحفيين العرب والأجانب، وتابعت حينذاك ما ساد جلسات هذا المجلس من مباحكات ونقاشات عقيمة ليس من ورائها طائل أو منفعة ترجى. والحديث عن كتلة «الشعب» يقودني إلى الحديث عن ظاهرة مستشرية في حياتنا في البحرين، وفي عالمنا العربي الجميل! إنها ظاهرة الإقصاء المتبادل بين الأطراف المختلفة، هل هي آفة سياسية فقط أم أنها تربوية وبنوية تغطي أنشطتنا الحياتية المختلفة؟ إنه احتكار مقيت ومكروه، وهو نوع من الطغيان، ويقىني أن الشيخ عيسى في مختلف الميادين التي عمل فيها كانت رسالته في الابتعاد تماماً عن تلك الآفة، ثم الانفتاح على كل التيارات والنخب لحل قضايا ومشاكل المواطنين، وتحقيق آمالهم العادلة، وإنجاز معاملاتهم ومصالحهم، بل ومشاركتهم في هذه الميادين والتي استفدت طاقاته، وجلّ وقته، وخير مثال على ذلك تلك المرأة العجوز التي أتت النار على بيتها فأغاها من ماله الخاص حالاً وأولاً، وكلف مكتبه في وزارة العمل بمتابعة هذه المأساة الإنسانية وإيجاد الحل المطلوب لها بالسرعة الممكنة.

ومن إنجازاته في وزارة العمل إصدار مجلة «العمل» التي تعنى بقضايا العمال، ورفعت شعار الحرية والعدالة والمساواة بعيداً عن الظلم والتمييز، والارتقاء بالشؤون العمالية تصديقاً لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...». هذه المجلة هدفت في المقام الأول إلى أسلوب النقد الذاتي للوزارة والمسؤولين فيها كباراً وصغاراً.

خلال ولايته لوزارة العمل أسس قانون العمل وقانون التأمينات الاجتماعية، وأشرك المواطنين في صياغتهما، وجعل لوزارة العمل هدفاً معيناً وفلسفة تسعى لتحقيقها، ورسالة تعمل من أجلها. وفي ولايته كذلك انضمت البحرين إلى منظمتي العمل العربية والدولية عام ١٩٧٧م، واعتبر من أبرز المؤسسين لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربية أواخر سبعينيات القرن الماضي.

الشيخ عيسى بن محمد دائماً يعتزّ بانتمائه للإخوان المسلمين، وإنه بحسب قوله شرف لا يدعيه، هكذا عرفته في مصر بالرغم من الفترة الحرجة والظروف الصعبة التي مرت بها جماعة الإخوان المسلمين بعد حلّها في عام

١٩٥٤م. ومع افتتاح جمعية الإصلاح مقرها الجديد مطلع الثمانينيات من القرن الماضي برز العمل الإسلامي ببرامجه وفعالياته حول المنهج الإسلامي الوسطي القويم.

وبعد تولي صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله -جلالة الملك لاحقاً- مقاليد الحكم في مارس ١٩٩٩م قدمت جمعية الإصلاح من خلال رئيسها الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة مسودة لمشروع إصلاح في مطلع مارس ٢٠٠١م يعيد الأمل للناس ويتجاوز مرحلة قانون أمن الدولة. قبلها ساهم ممثلاً عن جمعيته في لجنة صياغة وإعداد الميثاق والذي طرحه جلالة الملك في نوفمبر ٢٠٠٠م كمشروع للإصلاح. لقد أعدّ الشيخ عيسى مسودة مشروع متكامل للميثاق وقدمه كوثيقة من وثائق لجنة صياغة الميثاق، وتعاون مع كفاءات بحرينية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. وفي ١٤ فبراير ٢٠٠١م صوّت الشعب البحريني بالموافقة على ميثاق العمل الوطني بنسبة ٩٨,٤٪، واهتم الشيخ عيسى خلال الإصلاحات السياسية بالتواصل مع جميع أطراف المجتمع بشتى السبل. ولا ننسى دعوته للشيخ عبدالأمير الجمري للقائه في مقر جمعية الإصلاح مارس ٢٠٠١م.

الدكتور هشام قد جمع مادة غزيرة متناثرة حول سيرة الشيخ عيسى بن محمد لاحظت بأمانة بروز الروح العلمية والموضوعية في تناوله لشتى المواضيع، وتعريف القارئ في البحرين بالدور المتميز الذي اضطلع به الشيخ عيسى بن محمد أثناء دراسته ثم من خلال عمله الدؤوب..

ومن المؤمل من الدكتور هشام أن ينضم للدكتور عيسى أمين الطبيب والمؤرخ في سيرته، وأضرب أمثلة على ذلك لأطباء مصريين هم أدباء في الوقت نفسه منهم: الدكتور كامل حسين صاحب القصيدة الموسومة «قرية ظلمة»، والدكتور أحمد عمار اللغوي الأديب، والدكتور زكي أبوشادي الخطيب والشاعر متعدد المواهب، والدكتور الشاعر إبراهيم ناجي وقصيدته المشهورة «الأطلال»، والعالم الأديب الدكتور مصطفى محمود رحمة الله عليهم.

وختاماً.. فسيرة الشيخ عيسى بن محمد تحمل تجارب هامة لجيل الشباب الصاعد الطموح الذي ينتظره الكثير في خدمة وطنه وأمتة العربية والإسلامية.

حسين راشد الصباغ

٥ مايو ٢٠١١م

سيرة الشيخ عيسى بن محمد تحمل تجارب هامة لجيل الشباب
الصاعد الطموح الذي ينتظره الكثير في خدمة وطنه وأمته
العربية والإسلامية



من اليمين:
السيد سعيد أحمد «مدير التدريب بوزارة العمل» -
الشيخ عيسى بن محمد - الأستاذ سعيد طبارة «الوكيل المساعد للتعليم
العام والفني الأسبق بوزارة التربية والتعليم» - السيد أحمد منصور العالي
في جولة تفقدية لمركز التدريب المهني (١٩٧٩م)



د. هشام عبدالوهاب الشيخ

التي تصدرها جمعية الإصلاح، وتطرقَ لذكرياته وأمنيّاته للعمل الإسلامي في البحرين والمنطقة. والحق يقال فإن هذه المقابلة قد فتحت لي آفاقاً واسعةً وفضولاً كبيراً، وأبت نفسي إلا أن تستزيد من أخبار هذا الرجل، وتنهل من معين ذكرياته المضيئة، وتتلّمس معالم شخصيته التي تأسرك بتواضعها الجم، وعفويتها غير المتكلفة التي وهبها الله له، وأفاضها عليه.

وبالفعل، فقد صارحته برغبتي في إجراء سلسلة من اللقاءات الصحفية التي تتناول بعضاً من ذكرياته ومسؤولياته التي اضطلع بها عبر سنوات عمره المليئة بالإنجازات والنجاحات. فتجربة الشيخ عيسى بن محمد حملت في طياتها مزاجاً نادرة بين العمل

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، سيد المرسلين، وأسوة المتقين، ذي الخلق العظيم، والقلب الرحيم، والمبعوث رحمة للعالمين، القائل: «إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلاناً، فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً، فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» متفقٌ عليه.

لم تكن فكرة إصدار كتاب عن معالي الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله آل خليفة تراودني قبل عام ٢٠٠٤م، إذ قمت أواخر ذلك العام بإجراء مقابلة صحفية لـ «أبي محمد» نشرت في المجلة الشهرية

الرسمي والتطوعي، وبين الاهتمام بالجانب السياسي والحقل الاجتماعي، وجمعت بين المنصب الإداري والوظيفة المهنية، فعاش حياة نظّر لها، وعاش فصولاً منها. تسمّى بالقاضي والوزير والمحامي والداعية، ولقبه الناصريون بـ«هضيبي البحرين»، وأطلق عليه النقبانيون لقب «كاسترو الخليج». لقد كان الشيخ عيسى بن محمد بحق أحد صنّاع الحياة المخلصين لوطنهم وأمتهم نحسبه كذلك والله حسيبه.

هنا اقترح عليّ بعض المهتمين والمحبين للشيخ ضرورة جمع هذه اللقاءات بين دفتي كتاب؛ ليسهل على الباحث الحصول على المعلومة، ولكي يستفاد من هذه التجربة الفريدة والرائدة ليس على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى الخليجي والعربي على حدٍ سواء.

ثمار التجربة التي خاضها عيسى بن محمد لم تكن سهلة المنال، فقد قاسى دونها الكثير من الصعوبات والعقبات، وعانى من أجل فكرته ملمّات وافتراءات، وهذا والله شأن المصلحين من قديم، فلم يلتفت إليها، وآثر المضي إلى الأمام بخطوات الوثائق

المؤيّد بالله والمستعين به، فاستشرف نور الأفق الرحب الذي آمن به، فالطريق طويل، والغاية بعيدة، والأشواك كثيرة، والالتفات إلى الخلف يعني المزيد من إضاعة الوقت، وتشتيت الذهن، وإنهاك الجسد ﴿ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾.

إنه لمن دواعي الرضا والارتياح أن يرى كتاب «عيسى بن محمد.. رحلة نجاح وشمس إصلاح» النور، ويتلقاه القارئ في هذا الوقت بالذات الذي أحوج ما نكون فيه إلى رموز لم تخطئ بوصلتها الاتجاهات، رموز تجمع ولا تشتت، توحد ولا تفرق، تعمل لغيرها قبل نفسها وخاصّتها، ترى الصورة كاملة بكل أبعادها، ولا تروّج إلى رؤيتها الضيقة ذات البعد الواحد المصمت.

هذا الكتاب الذي يقع في ٢٦٨ صفحة ويحوي على أكثر من ٢٠٠ صورة ووثيقة تاريخية، تم تقسيمه إلى ثمانية فصول، تتناول أهم محطات الشيخ عيسى بن محمد العلمية والعملية خلال مسيرة أكثر من نصف قرن من الزمان.

يسلط الفصل الأول «البيت العود» الضوء على نشأته في جزيرة المحرق، وأثر

جديد يقود الصحوة» لبرز دور جمعية الإصلاح - أم الجمعيات الإسلامية في البحرين - في نشر الفكر الوسطي المستنير في المجتمع، وأهم إسهاماتها تحت قيادته في المجالات الدعوية والثقافية والاجتماعية.

ويتناول الفصل السادس «نحن وأحداث التسعينيات» دور الشيخ عيسى بن محمد وإخوانه في معالجة الأحداث السياسية المحتقنة في البلاد منتصف تسعينيات القرن الماضي، والحلول التي قُدمت تزامناً مع عهد الإصلاحات، والتي قادها عاهل البلاد المفدى الملك حمد بن عيسى آل خليفة إبان توليه سدة الحكم في البلاد.

أما الفصل السابع «من وحي المنهج الأصل» فتم اختيار عدد من مقالات وخطب للشيخ ألقى في محافل ومناسبات مختلفة، لتسلط الضوء على فكره الجامع المتوازن.

فيما خصص الفصل الثامن والأخير لكلمات قيلت في حقه عرفاناً بدوره، وتقديراً لمجهوداته التي قدمها طيلة مسيرته الحافلة دعوياً ومهنياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً.

الحياة السائدة آنذاك في تكوينه الثقافي والاجتماعي.

ويتناول الفصل الثاني «في حلوان بين الإخوان» مرحلة دراسته الثانوية ثم الجامعية بكلية الحقوق، وتأثير الأحداث الكبرى التي جرت في مصر في تشكيل وعيه الفكري والسياسي، وخصوصاً بعد تعرفه على دعوة الإخوان المسلمين واعتناق مبادئها.

أما الفصل الثالث «كنت الرقم الصعب» فيروي ذكرياته التي عايشها بين أروقة المحاكم -بعد عودته من القاهرة- والمناصب التي تقلدها فيما بعد مروراً بفترة توليه وزارتي العدل، فالعمل وأهم ما تحقق في عهده، إلى حين استقالته المفاجئة.

ويستعرض الكتاب في فصله الرابع «حنين إلى القضاء الواقف» رحلته المهنية مع المحاماة، التي لطالما اشتاق إلى ممارستها واحترافها، فأسس مكتبه الخاص، وما لبث أن أصبح من أكبر مكاتب المحاماة في البلد خلال فترة زمنية وجيزة.

ويأتي الفصل الخامس من الكتاب «نفسُ



وختاماً لا يفوتني في هذا المقام إلا أن أشكر -بعد الله عز وجل- كل من ساهم في إعداد وإصدار هذا الكتاب، وأخص بالذكر الأستاذ أحمد خليفة العسمي سكرتير مكتب الشيخ عيسى بن محمد للمحاماة والاستشارات القانونية الذي ذلل لي كل صعب، وقرب لي كل بعيد طيلة سنوات الإعداد، ثم الشكر موصول للسفير الأستاذ حسين راشد الصباغ الذي كان من أشد المتحمسين لفكرة الكتاب، وكان لكلماته المشجعة الأثر الطيب في نفسي. والشكر كذلك للمصمم المبدع محمد العدل الذي أخرج هذا الكتاب بحسه المرهف، وفلسفته الراقية في التصميم. وأخيراً الشكر لزوجتي «أم بيان» التي عانت من ويلات الانقطاع لتأليف هذا الكتاب أسأل الله أن يجعلني عند حسن ظنّها بي، ويغفر لي كل تقصير في حقّها.

والحمد لله رب العالمين.

د. هشام عبدالوهاب الشيخ

الجمعة ١٨ شوال ١٤٣٢هـ

الموافق ١٦ سبتمبر ٢٠١١م



بيت الشيخ عبدالله بن عيسى بن علي آل خليفة بالبحرق «تصوير: عبدالله الخان»

الفصل الأول

في البيت العود



هذه الجزيرة المعقوفة الشكل على الخريطة.. وكأنها ذراع يحتضن كل من يدخلها أو يعيش على أرضها.. في أزقتها لعب.. وعلى ساحاتها تعارك مع أقرانه في جو اجتماعي مترابط لم يكن يفصل بين بيت الحاكم والمحكوم سوى جدار من طين.

ربما رأيته غلاماً يزور بيوت أصحابه زملاء الدراسة بالهداية.. أو اكتشفته يوماً يحمل الأعلام السوداء في مواسم العزاء على الحسين.. لا تستغرب فعيسى لا يختلف عن أطفال المحرق.. هذه الجزيرة التي صهرت الجميع في بوتقتها..

عاش في «البيت العود»^(١).. كشأن العديد من الأسر والعائلات المحرقية القديمة.. مدرسة تحضيرية أولى ترسخ الأخلاق والأعراف والقيم.



الشيخة ذيلة بنت خالد
بن علي آل خليفة



الشيخ محمد بن عبدالله
بن عيسى آل خليفة

يقول الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة: «ولدت في المحرق في العاشر من رمضان سنة ١٣٥٥هـ^(٢)، حيث كنّا حتى أربعينيات القرن الماضي نورّخ بالتقويم الهجري وكذلك الحال رسمياً بالنسبة إلى الحكومة، ولدت في بيت كبير يضم أفراد الأسرة جميعاً، ولي من الأشقاء ستة، أنا سابعهم وأصغرهم سنّاً، وهم أمامي من الذكور الأخ خالد، ويليهِ عبدالرحمن ثم التوأمن سلمان وعبدالعزیز^(٣)، ثم إبراهيم، وليس لنا أخت شقيقة سوى واحدة هي الشيخة لولوة أمد الله في عمرها.

(١) العود: أي الكبير.
(٢) الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦م.
(٣) الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة (١٩٣٢-١٩٨١م): وزير التربية والتعليم في الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٨١م.

المحرق.. هذه الجزيرة المعقوفة الشكل على الخريطة.. وكأنها ذراع يحتضن كل من يدخلها أو يعيش على أرضها..



مبنى بلدية المحرق في ثلاثينيات القرن الماضي

الله في عمره. والوالد لم يجمع بين زوجاته، بل يبدو أنه طلق زوجته الثانية، وتزوج من والدتها الشيخة نيلة بنت خالد، فأنجبت له الأولاد الستة والبنت، فكان بيتنا مزدحماً بالأطفال إضافة إلى الخدم، حيث كانوا في السابق يخصصون لكل واحد من الأولاد مرافقاً، فكان من نصيبي سنان بن عبد الله من حالة بوماهر والذي اعتنى بي ورافقني، أما أخي الشيخ إبراهيم الذي يكبرني بقليل فكان مرافقه مبارك وهو من الإحساء، وكنت في شجار دائم مع إبراهيم ونحن أطفال دون سن المدرسة، وكذلك كان الحال بين مرافقينا!

كان زواج والدي الأول من الشيخة لولوة بنت حمد بن عيسى حاكم البحرين، فأنجبت له الأخ خليفة يرحمه الله، وقدر الله لها الوفاة أثناء ولادته، فتولت رعايته (أم سلطان) الحبشي، وهي من الأحباش الذين كانت بيوت العائلة عامرة بهم في ذلك الوقت. بعدها تزوج الوالد زوجته الثانية وهي طفلة البنعلي شقيقة الشاعر المعروف إبراهيم بن عبد الله بن صباح البنعلي، فأنجبت له ابنتين هما: لطيفة وحصة، لطيفة تزوجها الشيخ حمد بن عبد الله بن إبراهيم آل خليفة، وأما حصة فتزوجها سمو الشيخ عبد الله بن خالد رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أمد



الشيخ عبدالله بن ناصر الفضالة بيت عائلة الشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى في «البدعة»

مؤسس النادي الأدبي بالبحرق، وبالتالي ليس لديه أي ذكريات مباشرة يمكنه أن يرويها أو يستعرضها عن شخصيته، غير أن شقيقته الشيخة لولوة تسرد ذكرياتها عن أبيها فتقول: «فتحتُ عينيَّ على أب شاب يتدفق نشاطاً وحيوية، وكانت المسافة الزمنية من عام ١٩٢٠م وحتى ١٩٣٠م فترة نشاط النادي الأدبي الذي كان يرأسه الوالد، فكنت أسمع أحاديثه عن النادي، وعن نشاطه، وأسمعه يذكر أصدقاءه وزملاء أمثال عبدالله الزايد، وقاسم الشيراوي، وخالد الفرج وحافظ وهبة.. توفي الوالد سنة ١٩٣٩م، وهو لم يبلغ الأربعين بعد، وكان قد أنجب عشرة من الأبناء والبنات من زيجاته الثلاثة».

بعد أن وعينا وأصبحنا نُميّز أخذونا للمطوع لتدارس القرآن الكريم وحفظه بالإضافة إلى تعلم مبادئ الخط والحساب، فمن الشيوخ الذين درّسنا عندهم: المطوع (راشد) الذي مازال في الذاكرة، ويعتبر من الشخصيات المعروفة في المحرق، كما درّسنا على يد الشيخ عبدالله الفضالة قبل سفره إلى مصر، وكان يملك دكاناً صغيراً في المحرق يدرس الأطفال فيه».

يُثمّ مبكّر.. ورعاية ثلاثية..

لم يكمل الشيخ عيسى عامه الثالث حينما توفي والده الشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى

ومع فقد الأب مبكراً عاش الشيخ عيسى

بن محمد حياة اليتم في كنف جده الشيخ
عبدالله بن عيسى، ورعاية مباشرة من
والدته وشقيقه الأكبر الشيخ خالد الذي
صار - أي الشيخ خالد - بحسب كلام
أخته الشيخة لولوة: « يتصرف كالرجال،
ولم يعيش طفولته فعلياً، وكان يقول: أنا الذي
كبرت قبل موعدي، وكانت له في المنزل
مكانة خاصة، نحن نلعب ونتعارك، وهو ميال
للهدوء والتأمل.. ولأنه الأكبر بين الأشقاء

فقد كان يحس بشيء من المسؤولية». وعن أيام الطفولة والصبا يقول الشيخ
عيسى: «وفي الصيف كنا (نصيّف) في منطقة
(البدعة) التي تقع بين كرباباد وسنابس،
ففي السابق كان هناك خط ساحلي تقع عليه
مناطق السنابس والبوزيلة والديه والبدعة
وكرباباد والجابور، فكانت عائلتنا (تقيّط)
في البدعة، وهي عبارة عن بيت ومساحة على
الساحل يقيمون عليها (العَرش)^(١)».

من اليسار: الشيخ خالد بن محمد بصحبة الشيخ دعيج بن علي والأستاذ تقي البحارنة في مصيف «البدعة»



(١) العَرش: جمع عريش، وتطلق على البيوت المصنوعة من سعف النخيل

الشيخ عبد الرحمن بن علي الجودر

«في تلك الفترة الزمنية من عمري تعرّفت على الشيخ عبد الرحمن بن علي الجودر - يرحمه الله- وتحديداً في العام ١٩٤٤م حينما ابتعثت حكومة البحرين عدداً من طلبتها للدراسة في القاهرة، وكان من ضمنهم: عبد الرحمن الجودر، علي سيار، أخي الشيخ خالد، وكانت مصر في تلك الفترة تزخر بحراك سياسي، وبتحركات إسلامية في غالبها إذا ما استثنينا حزب الوفد، أما الأحزاب الصغيرة الأخرى فكان لا يعنيتها كثيراً التوجه العربي والإسلامي، وبدأ في الشارع المصري أن جماعة (الإخوان المسلمين) أصبحت قوة تقود الشعب، وكانت قد شبت عن الطوق،

وتركت مقرها التأسيسي في الإسماعيلية، ونزلت إلى الجماهير في القاهرة، وحاولت الدخول إلى البرلمان في الانتخابات التي أعقبت سقوط العهد الدكتاتوري لحكومة إسماعيل صدقي باشا، إلا أن هذه المحاولة من الإخوان اصطدمت بمقاومة المستعمر الإنجليزي الذي منع الإمام حسن البنا من الترشح، إذ كانت لجماعة الإخوان المسلمين قاعدة جماهيرية كبيرة تقدر بالملايين، وكشافة ضخمة، وشبان كثير في المدارس، فكان الشيخ عبد الرحمن الجودر ممن تأثروا بفكر هذه الجماعة، واعتنقوا أهدافها، وآمنوا بمبادئها، والتقى الإمام حسن البنا مؤسسها شخصياً فكان من أوائل من بايعوا الإمام من البحرين ومنطقة الخليج».



الإمام حسن البنا محمولاً على الأعناق في إحدى المظاهرات

عبدالرحمن بن علي الجودر

- ١٩٢٤م: ولادته في مدينة المحرق.
- ١٩٤١م: التحق بمدرسة الصناعة بالمنامة، وشارك في تأسيس نادي الطلبة الخلفي مع مجموعة من زملاء الدراسة.
- ١٩٤٤م: حكومة البحرين ترسله ضمن بعثة دراسية إلى مصر يلتقي خلالها بالإمام حسن البنا.
- ١٩٤٦م: حكومة البحرين تلغي البعثة لأسباب سياسية.
- ١٩٤٩م: عمل مدرساً في مدارس البحرين، وتدرج في المناصب إلى أن أصبح مديراً لعدد منها خلال الفترة من ٥٦-١٩٧٢م.
- ١٩٦٢م: أسس مكتبته الإسلامية (مكتبة الآداب).
- ١٩٧٢م: عين مأذوناً شرعياً.
- ١٩٧٣م: ترشح لانتخابات المجلس الوطني غير أنه لم ينجح.
- ١٩٧٧م: تولى الخطابة في جامع مدينة عيسى الجنوبي.
- ١٩٧٨م: تولى الإمامة بجامع مدينة عيسى الشمالي.
- ١٩٨٣م: ساهم في تأسيس دار الإيمان لدعوة الجاليات المسلمة المقيمة في البحرين.
- ١٩٨٩م: كانت وفاته في ٢٤ نوفمبر بعد معاناة طويلة من مضاعفات مرض السكري.. رحمه الله تعالى.



الشيخ عبدالرحمن بن علي الجودر
أثناء دراسته في القاهرة عام ١٩٤٤م

من أقواله :

«إن الدعوة إلى الإسلام في كل مكان وفي كل جيل لا بد أن يخوضوا قدراً قدره الله عليهم، ليميز الخبيث من الطيب، ويميز المؤمن من المنافق، قال تعالى: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»».

آل عمران ١٤٢



أحمد صبري شويمان

الشيخ خالد بن محمد وجماعة (الأنصار)

«في المقابل وفي نفس فترة ابتعاث الطلبة البحرينيين (١٩٤٤ - ١٩٤٦م) كانت هناك دعوة عروبية إسلامية اسمها (الأنصار) يتزعمها أحمد صبري شويمان تعتقد بأن المسلمين في ظل الحضارة الحديثة، والمدنية المفرطة ضعاف لا يقوون على مقاومة المد الجاهلي، ولابد لهم من أن يطهروا أنفسهم أولاً عن طريق الخروج إلى الصحراء، مستندين على حكم الله في بني إسرائيل عندما جعلهم يتيهون في الأرض أربعين سنة في صحراء سيناء تطهيراً لهم، وتربية لنفوسهم! يعودون بعدها إلى أقوامهم لبداية مرحلة إصلاح المجتمع. آمن بهذه الفكرة سنة ١٩٤٥م

أخي الشيخ خالد وبعض الأفراد الموجودين في البحرين، وكان تطبيق هذه الدعوة وإسقاطها على المجتمع البحريني من الصعوبة بمكان، لكن الشيخ خالد واصل تمسكه بالفكرة وفتح

قبيلة بني خالد:

- بنو خالد: هم أولاد وأحفاد الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه الذين تكاثروا وظهرت منهم فصائل وفروع تنتسب إليه.
- تنتشر القبيلة في الجزيرة العربية والشام والعراق وغيرها من المناطق المجاورة، ومن أسباب انتشارها: البحث عن مصادر أفضل للعيش والسكن.

أمرأً صعباً، كانت المسألة صعبة وشاقة عليه هو، إذ كيف لهذا الحضري القادم من المحرق أن يعيش حياة البدو الرحل، ويتقن مهارات ومتطلبات الصحراء؟.

تخلّى الشيخ خالد في عام ١٩٥٣م عن هذه الفكرة، وعُيّن قاضياً في محاكم البحرين، وانتهت فصول قصته مع الهجرة إلى الصحراء، وانتهى فكر دعوة (الأنصار) ولم يكتب له النجاح في البحرين، في المقابل فإن فكر «الإخوان المسلمين» الذي انتمى إليه الشيخ عبد الرحمن الجودر استمرّ ونما لكونه سهل التطبيق، ويمكن نقله للمدن والقرى يُيسر وواقعية، ولاعتبار آخر يتمثل في العلاقات المختلفة التي نسجها الجودر، واجتهد - رحمه الله - في توثيقها وربطها بنادي الإصلاح الخليفي.

والدنا الشيخ عبدالله بن عيسى بفكرة الهجرة إلى الله، فوافق الشيخ عبدالله على طلبه شريطة أن يتدبر له الوسيلة المناسبة لتحقيق ذلك، ولصلة آل خليفة ببدو الجزيرة العربية، وقبيلة (بني خالد) على وجه الخصوص -وهي قبيلة كبيرة بالمملكة العربية السعودية- قام الشيخ عبدالله بن عيسى بتسليم أخي خالد إلى عائلة (الفنير) عن طريق «حسن بن فنير» وقال له: «خذ هذه العهدة، وإن أردت تزويجه فافعل». وفعلاً عاش الأخ خالد معهم لمدة سنتين يتنقل من منطقة القطيف صيفاً إلى مناطق «حضر الباطن» و«الدبدبة» وصحراء الكويت شتاء، ثم انتقل إلى فرع من بني خالد أشد بدواة من عائلة الفنير، وتزوج زوجته الثانية التي أنجبت له الأبناء. وكما كان تطبق هذه الدعوة على المجتمع البحريني

- كانت مساكن عشائر بني خالد تنتشر في شرق الجزيرة العربية، وتتركز في الإحساء والقطيف، ومناطق أخرى على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي من الكويت شمالاً إلى خيران بني ياس في عمان جنوباً، وكانت عشائر بني خالد في هذه المناطق تعيش حياة البداوة، إلا أنها تحولت تدريجياً إلى حياة الاستقرار والتمدن.
- كان للقبيلة نفوذ شبه مطلق شرقي الجزيرة العربية ابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي، وأصبحت نداءً عنيداً للحكم العثماني إبان ذات الفترة، ثم دخلت في صراع مع السعوديين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.



الشيخ خالد بن محمد آل خليفة:

- شارك في تأسيس نادي الشباب (النواة الأولى لنادي الطلبة الخليفي).
- المؤسس الأول لنادي الطلبة الخليفي عام ١٩٤١م.
- التحق بمدرسة الهداية الخليفية بالبحرق ثم مدرسة المنامة الثانوية، وفي عام ١٩٤٤م ابتعث للدراسة في القاهرة، حيث انضم إلى جماعة الأنصار العروبية.
- بعد عودته من القاهرة عاش في بادية الجزيرة العربية لمدة ست سنوات، استقر خلالها مع قبيلة بني خالد وتزوج منهم.
- نظم الشعر الفصيح والنبطي في سن مبكرة، وأدرك كبار الشعراء في البحرين والجزيرة العربية.
- أسندت إليه مناصب حكومية: فكان قاضياً، مديراً لإدارة الهجرة والجوازات، ثم مديراً عاماً للجمارك. وأصبح وزيراً للعدل في أول حكومة تشكل في البحرين بعد الاستقلال عام ١٩٧١م.
- توفي رحمه الله يوم الخميس ٢١ شوال ١٤١٢هـ، الموافق ٢٣ أبريل ١٩٩٢م ودفن بمقبرة الحنينية بالرفاع.

ولد في مصيف (البدعة) الذي يقع على الساحل الشمالي إلى الغرب من مدينة المنامة، وكان مولده يوم الاثنين ٢١ محرم ١٣٤٧هـ الموافق ٩ يوليو ١٩٢٨م، وقد نشأ وترى في مدينة المحرق.

من أشعاره:

كأن الليالي في هواي تسيّر
إذا عن لي أمر إليه تطير
تضاحكني الأيام رغم خطيئتي
فيا ويح نفسي في الضلال تسيّر
فهل ذاك عفو شامل منك سيدي
وفضل عميم منك وهو كثير
والا فلا استدراج عبدك سيدي
فويحي وحظي عند ذاك عثير



الشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياتي



الأستاذ إبراهيم بن حسن كمال



الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة

كان من مهام وزير المعارف أن يستقبل البعثات التعليمية التي يتم إيفادها، وهكذا حصل بالنسبة للبعثة المصرية على سبيل المثال حينما استقبلهم الشيخ عبد الله، وكذلك من مهامه افتتاح المجالس التعليمية حيث كان يذهب بنفسه لافتتاحها، وهو قد عين رئيساً لمجلس إدارة مدرسة الهداية الخليفية أول ما تكون هذا المجلس وكان من ضمن أعضائه الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، والشيخ عبد الوهاب بن حجي الزياتي، والوجيه يوسف بن عبد الرحمن فخرو.

يقول الشيخ عيسى: «ذكرياتي عن جدي في البيت قليلة بحكم عمله، وبحكم انشغالنا بالدراسة، وانقطاعنا عن البحرين أثناء تواجدنا في مصر لمدد طويلة. فيما بعد أحب الشيخ عبد الله بن عيسى لبنان، فتردد عليها كثيراً، وتميّزت شخصيته في كونها شخصية سياسية بالدرجة الأولى، فلم تكن بطبيعة شقيقه الشيخ محمد بن عيسى الذي عرف عنه حبه للأدب وتأليف الشعر».

الشيخ عبدالله بن عيسى

جد الشيخ عيسى بن محمد من ناحية الأب هو الشيخ عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة وكان حينها الوزير الوحيد في الحكومة، فحكومة البحرين كانت لا تضم إلا وزيراً واحداً هو وزير التربية والتعليم - أو ما يسمونه في حينه وزير المعارف - والسبب في ذلك أن البحرين حينما كانت تحت الاستعمار البريطاني احتاجت بعد الحرب العالمية الثانية لاستقدام مدرسين من الدول العربية للتعليم في مدارسها، فكان لا بد من استحداث إدارة تمثل أهل البلد للتخاطب مع الحكومات العربية. وبدأ الشيخ عبد الله بن عيسى رسمياً مهامه وزيراً للمعارف فخاطب الحكومة المصرية لاستقدام المدرسين.

استعان الشيخ عبد الله بن عيسى منذ أوائل القرن بموظف ذكي وهو المثقف والأديب إبراهيم حسن كمال، حيث كان إماماً يصلّي به الفروض، ثم أصبح سكرتيراً له، فأحسن إدارة أعمال الشيخ، وضبط مراسلاته، ونظم وزارته.

الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة

- ساهم في تأسيس النادي الأدبي مطلع القرن العشرين إسهاماً كبيراً، وذلك الكثير من العقبات لاستمراريته.
- أسهم في تحرير جريدة «البحرين» فنشر فيها العديد من قصائده الرائعة، وكان يوقعها باسم «الواثلي».

من أشعاره:

العزم والحزم مفتاحان للأمل
والفوز إدراكه بالعلم والعمل
العلم نور، فخذ من ضوئه قبساً
يهديك في هذه الدنيا إلى السبل
ولا تضع صاح أوقات الفراغ فكم
مرت ولم تنتفع منها على عجل
الناس ضدان: إما حازم يقظ
يسعى، وإما جهول تاه في الكسل
والمجد الحرا إن عزت مطالبه
جرى إليها بعزم الباسل البطل
القلب يدفعه، والعقل يمنعه
من أن يبيت على جسر من الوجل
فمن أراد العلا بالعجز قام له
من الحقيقة برهان على الفشل



ولد في شهر جمادى الأولى ١٢٩٦هـ.
الموافق لعام ١٨٧٩م، وختم القرآن
وهو ابن ست سنين.

توفي رحمه الله في العاشر من
نوفمبر ١٩٦٤م.



نادي البحرين في منتصف القرن العشرين

أسرتنا والحس الإسلامي

ويؤكد الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة «أبو محمد» في ثنايا حديثه بأن: «الاتجاه الإسلامي هو أمر طبيعي تربينا عليه، وتربى عليه مَنْ قبلنا، فجذور العائلة وتمسُّكها -بالذات- بالمذهب المالكي، وانتقالها من نجد إلى نواحي الخليج، ثم استقرارها في البحرين، واتخاذ

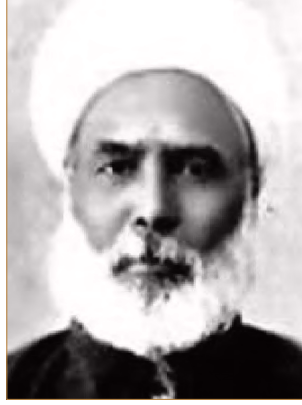
مشايخ المذهب المالكي مشايخ لهم، مع وجود مشايخ المذهب الشافعي كالشيخ اليماني ومشايخ آل محمود، وكذلك من هاجر من الزُّبارة ومن «حولة»^(١) فارس. وعندما تشكّل مجلس التعليم في البلد كان قائماً عليه عدد من المشايخ الأفاضل كالشيخ عبد الوهاب الزباني وآخرون، والأدبيات التي ظهرت، والأندية التي أنشئت كنادي البحرين ونادي (إقبال)^(٢) ترى

(١) الحولة: تطلق على القبائل العربية التي تحوّلت إلى الساحل الشرقي للخليج العربي قادمة من الجزيرة العربية.

(٢) نادي إقبال: أول نادٍ تأسس في بدايات القرن العشرين رداً على إنشاء الإرسالية الأمريكية عام ١٨٨٤م مكتبة ثقافية تبشيرية في البلاد.



محمد رشيد رضا



الشيخ محمد عبده



جمال الدين الأفغاني

الثقافة لا يعوقها عائق، إذ لا بد أن تطلع على كتاب أو تقع بين يديك مجلة، ولا بد أن ترى نشاطاً أو حركة، هذا من ناحية عامة، أما من الناحية الشخصية لي بالذات، فبعد أن سافر أخي الشيخ خالد -يرحمه الله- إلى مصر في أربعينيات القرن الماضي، وعاد إلينا بفكر (الأنصار) -كما ذكرت- كان حريصاً علينا، فعلى سبيل المثال: جلستُ في إحدى المرات ألعب مع بعض الأطفال وحولنا بعض (الفلوس)، فظنَّ الأخ خالد أننا نلعب القمار، فضربنا على ذلك، وردَّعنا من أن نلعب بهذه الطريقة، لأن مثل هذه الألعاب قد تؤدي في المستقبل إلى أمور أعظم من ذلك. وعندما سافرت لإكمال دراستي في مصر كان لي الاستعداد من هذه الناحية إلى جانب أن «الإخوان المسلمين» كانوا بارزين على الساحة الاجتماعية المصرية مما سهل علي مسألة الانتماء لفكرهم».

فيها الحس الإسلامي. فإذن لا يُستغرب من أن يكون الطفل - وهو منذ نشأته في (المطوع) يحفظ القرآن الكريم ويتدارس علومه - أن يكون ذا حس إسلامي.

تطوَّر الأمرُ بعد ذلك فكان إما حساً إسلامياً أو عروبياً مع بروز فكرة القومية العربية، ثم (طُرأت) أفكار ونظريات اليسار والشيوعية، فكانت من الأفكار الطارئة جداً حتى أنها لم تعمّر طويلاً، لذلك نجد أنه لا عمق لها ولا أثر، زدَّ على ذلك الثقافات المصرية التي نشأت نشأة إسلامية في الأصل من تراث مصر، عبر مجلاتها وصحافتها وزعاماتها الوطنية، ومشايخها المصلحين من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، حيث كان لها زخم ينتشر في العالم العربي والإسلامي رغم المسافات البعيدة؛ لكن

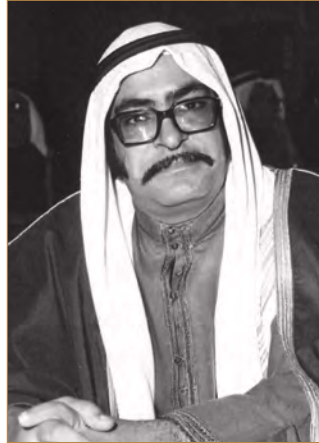
نحن والعمل الثقافي والتطوعي

«تميّز عدد من أشقائي في مجال الفن. فكان أخي الشيخ عبد الرحمن يجيد عمل المجسمات الفنية، في حين برز الشيخ عبدالعزيز في رسم الوجوه، والشيخ سلمان في رسم المناظر الطبيعية.

بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م حينما كنا في القاهرة، تعرّفنا على أحد ضباط القوات المسلحة المصرية، وحينما زارنا في منزلنا لفتت انتباهه صورة للرئيس المصري محمد نجيب كان قد رسمها أخي عبدالعزيز على صَدَفَة بحرية، فاقترح الضابط علينا أن نضعها في إطار، وأن يقوم هو بإهدائها إلى

الرئيس محمد نجيب باسم سلاح الفرسان مع الإشارة للفنان البحريني الذي رسمها. وفعلاً وُضع هذا العمل الفني في صالون الرئيس، وبعض الصور التي التُقطت لصالونه أظهرت هذه الهدية. وفي المحصلة فإن الحركة الفنية هي حركة ثقافية واجتماعية. وفي الوقت ذاته حركة تطوعية تعتمد على الإنسان وهذا ما تميّزت به أسرتنا.

أما في المجال النسائي فكانت الوالدة -يرحمها الله- والأخت الشيخة لولوة -أطال الله في عمرها- قد نشأتا في حقل المرأة والطفولة والأمومة، فكانتا من أوائل من أسس للعمل النسائي التطوعي في البحرين وعلى مستوى الخليج».



الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة



الرئيس المصري محمد نجيب

تميز عدد من أبناء الشيخ محمد بن عبد الله بن عيسى آل خليفة في مجالات ثقافية واجتماعية متعددة.. فكان منهم الشاعر والرسام والنحات والمهتم بالعمل الاجتماعي والخيري



الشيخ عيسى بن محمد
في المرحلة الابتدائية

والريح فتزداد الظلمة،
واستجابةً له تمت
إنارة فصلنا الدراسي
بمصاييحٍ علقت على
أعمدة خشبية وثُبتت
بين ثقبِ الجدران، ثم
تم توصيلها بالكهرباء».
ويستدرك الشيخ عيسى

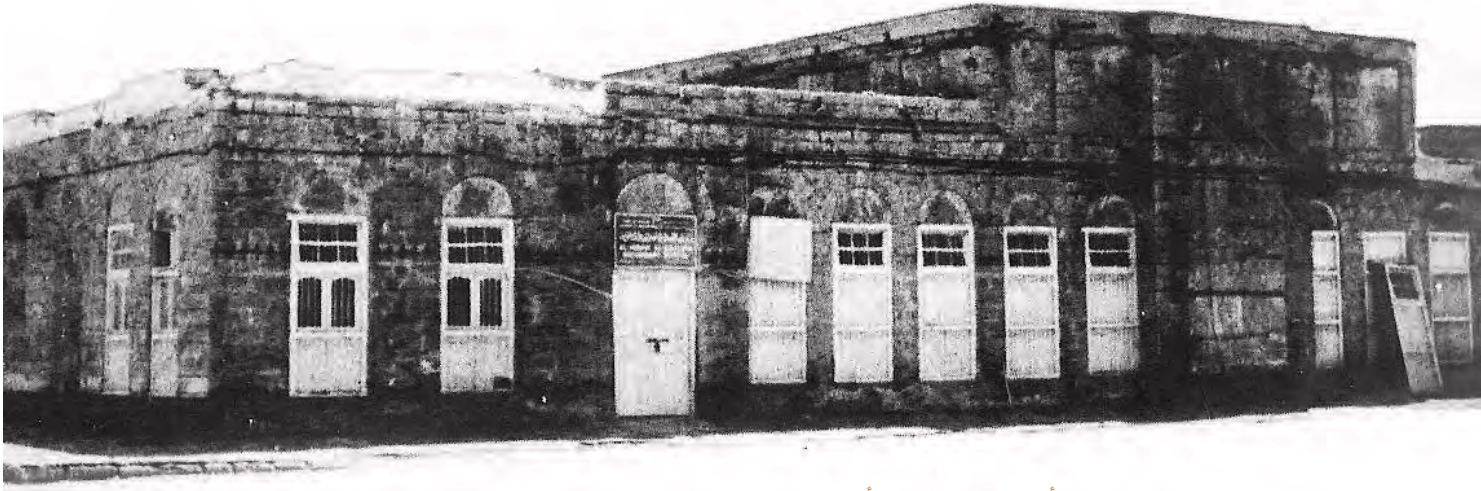
بن محمد: «صحيح
أن الكهرباء في ذلك الوقت كانت موجودة في
المدرسة، إلا أنها كانت مقتصرة على الغرف
المهمة، كغرفة الناظر والإدارة.

كان ممن سبقنا في الدراسة أخواي التوأمان
عبدالعزیز وسلمان، والدكتور علي فخرو،
والدكتور راشد فليفل، والأخ قاسم بن يوسف

الهداية الخليفية.. بداية المشوار

ابتداءً من عام ١٩٤٣م انتظم الشيخ عيسى
في الدراسة بمدرسة الهداية الخليفية،
والتي تمتد الدراسة بها إلى سبع سنوات،
مقسمة إلى: ثلاث سنوات للمرحلة التمهيدية
(الروضة)، وأربع سنوات للمرحلة الابتدائية.

وعن ذلك يقول: «انتظمت في الدراسة
مع أخي الشيخ إبراهيم رحمه الله، ورغم
أنه يتقدمني في السن إلا أنه كان يرفض
الدخول للمدرسة، فلما رأي قد انضمت
إلى التمهيدي تشجّع، وبدأ يذهب معي، وكان
لا يُحب ظلمة الفصل، وخصوصاً عندما يأتي
فصل الشتاء ويتم غلق النوافذ خشية البرد



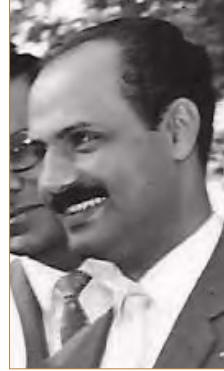
مدرسة الهداية الخليفية: أول مدرسة نظامية تأسست في البحرين عام ١٩١٩م



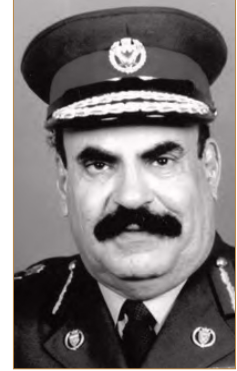
الأستاذ قاسم يوسف
الشيخ صالح



د. علي محمد فخرو



د. راشد علي فليفل



الشيخ إبراهيم بن محمد
بن عبدالله آل خليفة

عبدالرحمن المحميد صاحب صيدلية المحميد،
والأخ عيسى راشد الخان، والأخ الشيخ أحمد
بن علي آل خليفة سفيرنا الأسبق في المملكة
العربية السعودية والذي كان في تلك الفترة
زعيماً للطلاب في المدرسة».

بن الشيخ صالح، بالإضافة إلى أخي الشيخ
عبدالرحمن.

أما عن زملائي في الدراسة والذين تعرّفُ
عليهم في المرحلة الابتدائية فكانوا: الأخ



بعض مدرسي وتلاميذ الهداية الخليفية في أربعينيات القرن الماضي



الشرطة تؤمن الكنيس اليهودي في المنامة بعد المظاهرات التي خرجت احتجاجاً على قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م

ثم خرجت المظاهرات من الهداية، وطافت شوارع المحرق، وأذكر أنه في تلك الأثناء توجهنا ركضاً إلى البيت حيث استأذنا الوالدة للخروج في المظاهرة فوافقت.

واصلنا -والكلام لا يزال للشيخ عيسى- المظاهرة في المحرق، ثم عبرنا جسر الشيخ حمد إلى المنامة حتى نمكن الطلاب في ثانوية المنامة من الخروج ومشاركتنا في الاحتجاج، وعمت المظاهرات البلد، أما نحن فعُدنا، ولكن يبدو أن الأمر انتهى بأعمال شغب تدخلت على إثرها الشرطة».

يسقط الصهيون يسقط

«في أحد أيام العام الدراسي ١٩٤٨/٤٧م -وكنْتُ حينها في الصف الثالث الابتدائي- وصلت الأخبار عن تقسيم فلسطين، وقيام دولة الكيان الصهيوني. ففي صبيحة ذلك اليوم تفاجأنا ونحن متوجهون للمدرسة بأن الأخ محمد يوسف بوحجي وهو تاجر كبير يقوم بتوزيع شارات سوداء على الطلاب، بحيث يثبتها الطالب على قميصه، وفي الطابور الصباحي سمعنا صراخ أحمد بن علي الخليفة وهو يقول: يسقط الصهيون يسقط، والمدرسة كلها من خلفه تردد ما يقول.

الحمار الأخضر

«من الشخصيات المرحّة معنا في الصف الأخ جاسم بن محمد بوحجي، كان يرسم حماراً صبغه باللون الأخضر ليلفت الأنظار إليه! وأخذ الطلبة يتعجبون قائلين: حمار أخضر! فيردّ عليهم قائلًا: هذا هو اللون الوحيد الذي عندي!»



الأستاذ أحمد العمران



مستر جيمس ووكلن



الأستاذ حسين محمد حسين



الأستاذ مصطفى صبحي



الأستاذ عيسى المحميد



الأستاذ عيسى الجودر

أذكر أن مديرتنا في تلك الفترة كان الأستاذ مصطفى صبحي^(١)، مصري الجنسية، وهو آخر مدير لنا، حيث استلم الإدارة بعد تخرجنا غالب عبدالرحمن ابتداءً من العام الدراسي ١٩٥٠/٥١م، وكان الأستاذ حسين محمد حسين سكرتير المدرسة من أهم الشخصيات في المدرسة، وقد قام بتدريسنا مادة الحساب، في حين درسنا الأستاذ عيسى بن أحمد الجودر مادة اللغة الانجليزية، والأستاذ عيسى المحميد مادة الاجتماعيات، والشيخ عمر بن عبدالرحمن آل خليفة مقرر العلوم، أما مادة اللغة العربية فدرّسناها على يد الأستاذ يوسف العمران شقيق الأستاذ أحمد بن علي العمران رحمه الله أول وزير للتربية والتعليم بعد الاستقلال، وقد عاصرنا انتقاله من بلدية المحرق إلى إدارة التعليم مديراً للمعارف خلفاً للمستر (ووكلن)».

(١) مصطفى صبحي: المدير العاشر لمدرسة الهداية الخليفية، مصري الجنسية، تولى إدارتها في الفترة من ١٩٤٦ وحتى ١٩٥٠م. في عهده تنظم العمل الإداري وازدهرت الأنشطة الطلابية في المدرسة.

موقف طريف

مع الأستاذ أحمد العمران

«وأذكرُ حادثة لطيفة حينما كان يدرّسنا مادة الحساب الأستاذ محمد بن حسين بن مطر، حيث دخل علينا الأستاذ أحمد العمران^(١)، وكنتُ حينها في الصف الثالث التمهيدي، فسألنا لغزاً عن اسم عملة نقدية صغيرة جداً ولونها أبيض، فرفعتُ يدي للإجابة، فأذن لي، فقلت له : «أَصْفُطَه»، فاستغرب من الإجابة وقال لي: هل أنت من الحالة؟ فقالوا له: هذا ابن الشيخ محمد بن عبد الله. والاصْفُطَة (بتسكين الصاد وكسر الفاء) في مصطلح أهل الحالة تساوي أربع آنات، ولكوني أتردد كثيراً على منزل أهل والده خالي سمو الشيخ عبد الله بن خالد في حالة بوماهر، صارت لهجتي قريبة من لهجة أهل الحالة. فهذه من الحوادث الطريفة التي لا أنساها.

(١) أحمد بن علي بن موسى العمران (١٩٠٩-٢٠٠٧م): عين مديراً للمعارف عام ١٩٤٦م، ثم أصبح أول وزير للتربية والتعليم بعد الاستقلال عام ١٩٧١م.



الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة والأستاذ أحمد العمران «مدير المعارف» يتفقدان أحد الفصول الدراسية

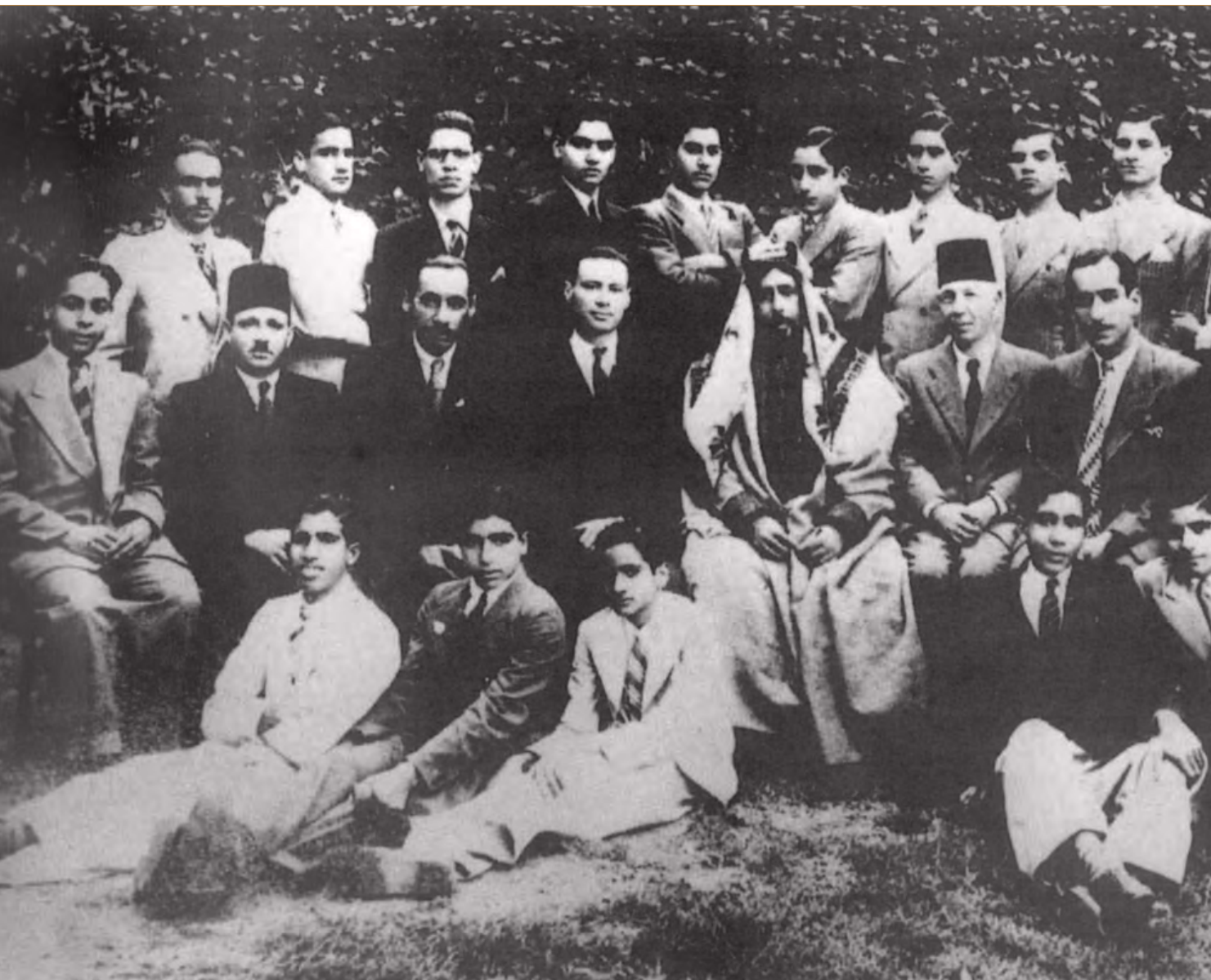
إلى القاهرة لإكمال التعليم

بعد أن أنهى أشقاء الشيخ عيسى الثلاثة: عبد الرحمن وسلمان وعبد العزيز الدراسة في العام الدراسي ١٩٤٩/٤٨ م صارَ لزماً عليهم السفر لإكمال تعليمهم العالي، فاختاروا مصرَ وجهةً لتحقيق ذلك؛ لعدة اعتبارات أولها: أن شقيقهم الأكبر الشيخ خالد كان قد سبقهم إليها في العام ١٩٤٤ م ضمن البعثة البحرينية، وثانيها: أن جامعات مصر كانت معروفة بتميزها، رغم وجود جامعات أخرى في المنطقة كجامعة العراق، والجامعة الأمريكية في بيروت، إلا أنها لم تكن تضاهي جامعات مصر العريقة التي كانت تدرّس مختلف التخصصات، وتستقبل الشباب العربي عبر البعثات الدراسية من مختلف الدول العربية، كالبعثة الليبية، واليمنية، وبعثة دولة الكويت التي فتحت لطلبتها مقراً هو (بيت الكويت)، ثم قامت بعثة البحرين بعدها بعام - في منتصف الأربعينيات بافتتاح مقرها (بيت البحرين).

تم اختيار مدينة حلوان لدراسة أبناء الشيخ محمد بن عبد الله باعتبارها بعيدة عن صخب القاهرة، فانظموا في (داخلية حلوان الثانوية) التي كانت تضم إلى جانبهم عدداً من الطلاب العرب، غير أنهم لم يرتاحوا للسكن فيها، فاستأجروا شقة خاصة بهم في «٢٢ شارع جعفر» بحلوان.

يقول الشيخ عيسى: «بحلول نهاية العام الدراسي ١٩٥٠/٤٩ م أنهيت وأخي الشيخ إبراهيم المرحلة الابتدائية بالهداية، وكُنّا أمام خيارين: إما أن نلتحق بثانوية المنامة، أو أن نستكمل الدراسة في مصر، فكان من الطبيعي أن تُرسل إلى مصر للالتحاق بالإخوة، ونسكن معهم في ذات المبنى المستأجر، وما لبثت الوالدة -يرحمها الله- أن انضمت إلينا بعد عام واحد من ذلك التاريخ».





الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة في زيارة إلى «بيت البحرين» في القاهرة (١٩٤٦م)



من اليمين: الشيخ عيسى بن محمد - رضا عبدالمولى - الشيخ خالد بن عبدالله - الشهيد رفعت بكر شافع - حمدي مندور
محمد حماد - محمد المعز مدني - الشيخ محمد بن عبدالله - حسين راشد الصباغ في رحلة جامعية إلى القناطر الخيرية (١٩٦٢م)



الفصل الثاني

في حلوان.. بين الإخوان

إلى أرض الكنانة لإكمال الدراسة..

التحق بإخوانه.. ولم يدر في خلدّه أبداً أن أحداثاً كبرى ستطرأ على الساحة المصرية تؤدي إلى تغييرات جذرية على المشهد العربي والإقليمي للنصف الثاني من القرن العشرين والعشرية الأولى من القرن الذي يليه..

عايش ثورة.. وأدرك قرار تأميم (القنال)، والعدوان الثلاثي الذي ترتب عليه، وتلمّس انتكاسة السلوك السياسي الذي اختطه العسكر لحكمه قبل أن يُمنى بنكسة..

وبين حلوان والقاهرة قابل علماء وزعماء وشهداء.. أعجب بالأقباط كما المسلمين.. ذاب في الثقافة المصرية، واكتسب بساطة فوق البساطة التي فطره الله عليها.. وأتقن اللهجة المصرية حتى تظن أنه (ابن بلد).. وورث عن شعب مصر خفة دمه، وملازمته النكتة أينما ارتحل أو حل.. في مصر وضحت رؤيته.. ونضجت أفكاره.. وتحددت خياراته وأهدافه..

وأمامه مبنى آخر كان إسطبلاً لهذا القصر، فتم تجديدهما وصيانتهما، فصارا: مدرسة حلوان الثانوية الجديدة.. وبدأت الحياة الدراسية.

وكانت المدرسة آنذاك تعجّ بخليط من الطلبة: سودانيون (شيوعيون) في غالبيتهم، يمنيون (إسلاميون) في معظمهم، ليبينون (لا لون لهم)، بالإضافة إلى (إخوان) مصريين. في تلك الفترة كانت جماعة الإخوان المسلمين^(١) قد حُلّت، وحُوّل مركزها العام

يقول الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة: «كنتُ أبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً حينما وصلت إلى حلوان، وبدأت إجراءات تسجيلي في ثانويتها، ولم أكن أملك الوثائق المطلوبة لذلك: كشهادة الميلاد، مما استدعى أخذي لوحدة طبية (وحدة التسنين)، وتمت معاينة أسناني، وبالتالي تقدير عمري، واستُصدرت شهادة الميلاد على ضوء ذلك، ودخلت ثانوية حلوان، وهي عبارة عن بنائين: أحدهما كان في الأساس قصراً تسكنه ثانوية حلوان القديمة،

(١) جماعة الإخوان المسلمين: كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، تأسست على يد الإمام حسن البنا في الإسماعيلية عام ١٩٢٨م. تهدف إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظور إسلامي شامل، وتسعى في سبيل الإصلاح الذي تنشده إلى تكوين الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية، فالدولة، فاستاذية العالم وفقاً للأسس الحضارية للإسلام.



من اليمين: الشيخ إبراهيم بن محمد - الشيخ عيسى بن محمد - الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة - محيي «طباخ العائلة»

في مثل سني وجميعهم على صلة بالإخوان المسلمين، منهم: الأخ محمد الفاتح مدني، وله ثلاثة من الإخوة من شباب الإخوان في الجامعة، وليس ببعيد عن بيتهم منزل عضو الهيئة التأسيسية للإخوان، الأستاذ عبدالرزاق هويدي، وله من الأولاد: فؤاد، فائق، فهمي، محمد وعمر، وكان الأخ فهمي^(١) في مثل سني، كما كان كذلك للشيخ محمد مرزوق -صاحب جمعية تحفيظ القرآن- ابن في مثل سني اسمه محمد. فكان معظم المحيطين بي على صلة بالإخوان المسلمين».

إلى مركز الشرطة، وأغلقت شعبها في القطر المصري، وكان في حلوان -منطقة سكني- مبنى جميل لجمعية تختص بتحفيظ القرآن الكريم، يرأسها الشيخ محمد مرزوق والذي فتح فيها النشاط (للإخوان الصغار).

تعرفت في السنة الأولى لي -وهي بالمناسبة السنة الأخيرة من حكم الملك فاروق- على الأخ فاروق مخلوف من أقارب الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية آنذاك، كما تعرفت في نفس السنة على العديد ممن هم

(١) فهمي عبدالرزاق هويدي: كاتب ومفكر إسلامي معاصر، له العديد من الكتابات والمقالات الدورية في الصحف المصرية والعربية.



الأستاذ عبدالعزيز الحسن



المستشار حسن الهضيبي



مصطفى النحاس باشا



الملك فاروق

قضاها في حلوان فيقول: «كنا نصلي الفجر جماعة في المسجد، ثم تبدأ بعد ذلك التمارين الصباحية التي يقوم عليها شباب الإخوان، وكثيراً ما كانت تنظم لنا الرحلات الخلوية، والزيارات الميدانية للمعالم والآثار المصرية، وفي إحدى الرحلات إلى نهر النيل ركبنا (الفلوكة) وهي مركب تقليدي صغير لنقل الأشخاص، وبدأ عدد من صغار الإخوان في التحرك والمشاغبة داخل المركب، مما أثار في توازنه، وهنا تكلم صاحب (الفلوكة) بنبرة تحذيرية لنا قائلاً: أنا بعرفكم إنتويا بتوع الإخوان!

ومما أذكره جيداً إحدى الرحلات الخلوية التي نظمها قسم العمال بشعبة حلوان إلى (أثارسقارة) حيث «فوزوني» من باب التشجيع بجائزة هي عبارة عن صورة للإمام حسن البنا ما زلت أحتفظ بها في مكتبي الخاص».

لقائي بالمرشد العام حسن الهضيبي

لم تكّد تبدأ السنة الثانية ٥١ / ١٩٥٢م إلا والحياة السياسية قد بدأت تدبّ من جديد، بعد أن أعادت صناديق الانتخابات حزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس باشا، ففتح السجون، وأطلق الإخوان، وأعاد المركز العام، ففتحت الشعب، ومنها شعبة حلوان، وتشكل مجلس إدارتها برئاسة الشيخ محمد مرزوق، وانتخب المستشار حسن الهضيبي مرشداً عاماً للجماعة، ويذكر الشيخ عيسى بأنه التقاه مرتين خلال تلك الفترة، إحداها في السيدة زينب، والثانية في قرية (المعصرة) على خط السكة الحديد.

ويستذكر الشيخ عيسى الأوقات الجميلة التي



سيد قطب

علاقتي بسيد قطب^(١) وأسرته

يقول الشيخ عيسى «كان سكني في حلوان كما ذكرت ٢٢ شارع جعفر، وكان حُط (السكة الحديد) يقسم حُلوان إلى شطرين: شرقي في حُضن جبل (المقطم)، وآخر غربي يقع منزل الأستاذ سيد قطب رحمه الله ضمن حدوده، وهو ليس ببعيد عن مدرسة حلوان الثانوية للبنين، وكان المنزل من دور واحد على الطراز القديم، وملحق به حديقة للفواكه، توجد بها أشجار الجوافة، وكانت جوافة حلوان مشهورة بطعمها الحلو.

للأخ سيد أخ اسمه محمد وثلاث أخوات، أكبرهن متزوجة ولها من الأبناء: محمد (قاضي)، وفتحي (تاجر)، ورفعت في سني، وقد استشهد في سجن (ليمان طرة)، وعزمي (طبيب) كان يعمل في السعودية، وعن طريق الأخ الشهيد رفعت دخلنا بيت الأستاذ سيد، وكان الشهيد سيد يكتب في جريدة (الكاتب) ذات التوجه اليساري، ويعمل في وزارة المعارف حين قرّر وزيرها (إسماعيل القباني) في حكومة الوفد الأخيرة أن يرسله إلى الولايات المتحدة الأمريكية لعله يتخلص من ميوله

اليسارية، فعاد الشهيد سيد قطب -بفضل الله- إسلامياً، وانتمى إلى جماعة الإخوان المسلمين، وبدأ بإلقاء دروس الثلاثاء في المركز العام حيث يحشد الإخوان فيه وفي الميدان والشوارع المحيطة به، وكان هذا المنظر يُرعب الحاكمين.

وحيث إنني تردّدت على منزل الأستاذ سيد، نشأت علاقة ودية بين أختيه أمينة وحميده ووالدتي الشيخة نيلة بنت خالد رحمه الله،

(١) سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م): أديب ومفكر إسلامي، ولد في قرية موشة بمحافظة أسيوط في مصر، انتمى لجماعة الإخوان المسلمين بعد عودته من الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢م، اعتقل أكثر من مرة على يد النظام المصري، وأعدم في أغسطس من عام ١٩٦٦م بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم في مصر، من أهم مؤلفاته: التصوير الفني في القرآن، العدالة الاجتماعية في الإسلام، وكتاب التفسير «في ظلال القرآن».



٢٢ شارع جعفر ويبدو سكن الشيخ عيسى «المشار إليه»

الخاص) الذي أصبح عبئاً على الجماعة بعد أن تأسس سلفاً في ظروف خاصّة واستثنائية كانت تمرّ بها مصر والمنطقة، وعلى العموم فإن نظام (الفتية) الذي تولى الإشراف المباشر عليه الأخ عبدالعزيز كامل رحمه الله لم يُعط الفرصة ليرى النور أو تكون له مخرجاته المرجوة بسبب المحنة المبكرة التي طالت الإخوان بعد قيام الثورة بقليل».

التي كانت تطيل الزيارة في حلوان، وتوثقت العلاقة بينهما أكثر في الوقت الذي كان فيه سيّد سجيناً في (ليمان طرة) عاكفاً على كتابة (الظلال) كتاب التفسير الشهير.

في تلك الأثناء بدأت الجماعة في تطبيق نظام جديد أطلق عليه مسمى (الفتية)، وقد انضمت إليه إلى جانب العديد من شباب الإخوان بهدف إحلاله مكان (النظام

وتطايّرت منشورات الإخوان

ويروي الشيخ عيسى بن محمد جانباً من محنة الإخوان التي عايشها بنفسه في عهد رجال الثورة فيقول: «بعد حلّ جماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٥٤م، لم تكن هناك في بادئ الأمر ضغوطات، صحيح أن شعبة حلوان قد أغلقت، وانتهى نشاطها الرسمي، إلا أن أنشطتها الفعلية استمرت، انتقلنا في عام ١٩٥٨م إلى المعادي، ثم إلى القاهرة، وخلال تلك الفترة كان بعض الإخوان الفارين من البوليس يأتون لمنزلنا للتخفي، إذ لم تكن السلطات تظنّ فينا شيئاً، بل إنني اشتركت مع عدد من الإخوان في توزيع بعض المنشورات، وفي إحدى المرات سقطت الدراجة التي تحمل المنشورات، وتطايّرت في الشارع، فما كان منا

إلا أن ركبنا الدراجة، وهربنا خوفاً من أن ينكشف أمرنا، في بادئ الأمر لم تكن هنالك شدة وملاحظات من قبل السلطة للإخوان، لكن الأمر تطوّر إلى الأسوأ فيما بعد».

ويضيف الشيخ عيسى: «تولّدت لدينا رغبة في العودة إلى الوطن بعد التخرّج حاملين همّ الدعوة، وقد سبقنا في ذلك الأخ عبد العزيز الحسن الذي تخرّج من مصر في بداية الستينيات، وكان قبل ذلك يرسل رسائل الإمام البنا للأخ قاسم بن يوسف الشيخ في البحرين، لسنا نحن من أسس الحركة الإسلامية في البحرين، وإنما كنّا على صلة بها، ونعلم أنه كان قد بدأ شيء في البحرين، لكن ما حجمه؟ لم نكن ندرك ذلك ونحن في القاهرة».

«أحياناً تحتم عليّ الظروف أن أقوم ببعض الأعمال تجاه الدعوة التي آمنّا بها، ولن يستطيع أي طاغية أو ماجن من خلعها من بيننا إلا إذا خلع القلوب والأفئدة ودون ذلك قطع الرقاب. فالدعوة بخير، والإخوان بخير كذلك، والذين في السجون أشدّ معنوية ممن هم في خارجها يتلقّون ألوان العذاب صابرين ومحتسبين.. والله غالب على أمره، وإليك قصة أخ زرتة منذ يومين أفرجت عنه الحكومة الغاشمة بعد وساطات فهو أخ من الهند اسمه مصطفى الأعظمي، وهو ذو لحية طويلة، فأول ما قبض عليه البوليس راح ينتف لحيته، ولك أن تتصور ما كان يلاقي من آلام»

حلوان - الثلاثاء ١٥ فبراير ١٩٥٥م

إحدى الرسائل الأخوية التي كتبها الشيخ عيسى بن محمد لرفيق دربه قاسم بن يوسف الشيخ.



علاقة أخوية عميقة ربطت الشيخ عيسى بن محمد
بالأستاذ قاسم بن يوسف الشيخ، التقطت هذه الصورة في
مايو ١٩٦٣م بعد عودة الشيخ عيسى من الدراسة بمصر



من اليمين: محمد المعز مدني - الشيخ عيسى بن محمد - محمد حماد - حسين الصباغ - رضا عبدالمولى - حمدي مندور
الشهيد رفعت بكر شافع خلال رحلة ترفيهية (١٩٦٢م)

خصوصاً في مصر كانوا من الحقوقيين أو المحامين، فكانت كلية الحقوق هي كلية (الحُكم)؛ لكن بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م انقلبت الآية، فأصبح الحاكم من الضباط أو ممن خدم في الجيش، وحتى وزير الإعلام صار من العسكريين! فتغيّرت الموازين، هذا الأمر انعكس على أبنائنا اليوم، فحينما تسأل ابنك عن أمنيته في المستقبل يجيبك: أريد أن أكون ضابطاً أو عسكرياً!

كان في السابق لكلية الحقوق في مصر تقاليد متعارف عليها، فعلى سبيل المثال: كان على كل طالب في الكلية أن يلبس (الجاكيت)

«المحامة» المسيطرة على تفكيري

«كنت ضمن آخر دفعة دراسية تنال شهادتي الثقافية والتوجيهي في مصر، بعد ذلك ألغى هذا التدرج، فأصبح التعليم العالي: إعدادي وثانوي، وشهادة التخرج.

بعد التخرج من المدرسة كان على كل طالب كتابة رغباته للالتحاق بالجامعة. فأنا كتبت الحقوق كاختيار أول، والتجارة ثانياً، والآداب كترغبة ثالثة، كانت مهنة المحاماة ودراسة القانون هي المسيطرة على تفكيري، إذ أن معظم الحكام والوزراء -في ذلك الوقت-



جامعة القاهرة ويظهر في الصورة مبنى كلية الحقوق من جهة اليمين



سعد زغلول

اتجاهنا لهذا
التخصص،
وعلى رأس
القائمة الزعيم
الوطني
المصري سعد
زغلول باشا
الذي كان
محامياً، ورئيس
الحكومة في تلك

الأثناء -فترة دراستنا في مصر- النحاس
باشا كان حقوقياً أيضاً...».

والطربوش، وأن يمسك بعضاً، في زيٍّ يميّز
طلاب الحقوق عن غيرهم، ويجعل دخول هذه
الكلية أمراً صعباً إلا على المقتدرين والطبقة
العليا من المجتمع.

كانت كلية الحقوق -والحديث للشيخ
عيسى- بالنسبة إليّ هي الطريق لما كنتُ
أصبو إليه وأسعى لتحقيقه، كان المجتمع
ينظر لمهنة المحاماة على أنها نوعٌ من الواجهة
والتشريف، صحيح أنّ الحريّة قد يكسب
أكثر من الحقوقي، لكن نظرة المجتمع لمكانة
الحقوقي تبقى متميزة، ومما لا شك فيه أن
هناك شخصيات وطنية معاصرة أثّرت في



د. عبدالرزاق السنهوري باشا



د. أحمد كمال أبو المجد



أحمد نجيب الهالبي

صليب سامي باشا

«من الشخصيات التي تأثرت بها أثناء دراستي بكلية الحقوق المحامي الحقوقي صليب سامي باشا، والذي تعرّفنا عليه مصادفةً بعد استئجارنا لبيت كان يملكه في حلوان، صليب سامي باشا هذا هو محام شرعي إسلامي لكنه مسيحي! يحفظ القرآن، ويحفظ من قواعد الشريعة ما يجعله مرجعاً يترافع في المحاكم الشرعية، ويملك مكتباً من أكبر مكاتب المحاماة في مصر، وفي أثناء الاضطرابات المصرية سنة ١٩٥١م -قبل مجيء حكومة النحاس باشا- تشكّلت وزارة سمّوها (وزارة الهالبي) نسبة لرئيسها أحمد نجيب الهالبي باشا، وأصبح فيها صليب باشا وزيراً لوزارتي التجارة والصناعة والتموين.

حينما التحقت بكلية الحقوق درّسني الأستاذ سليمان مرقص وهو مسيحي آخر يضاها في وجاهته ومكانته العلمية القانوني الكبير الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا^(١)، فهذه الشخصيات إذا قرأت كتبها أدركت مستواها العلمي وتأثرت بها بلا شك. لكن إلى جانب تلك الشخصيات العظيمة جاءنا مدرس صغير في السن ذلك الوقت اسمه أحمد كمال أبو المجد^(٢)، فشكل مجموعة شاركت في أنشطتها، وكان معظم أعضائها من الإخوان

(١) الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا (١٨٩٥-١٩٧١م): أبو القانون العربي، تبوأ عرش التجريد القانوني في الوطن العربي والمشرق الإسلامي، وواضع القانون المدني في العديد من الدول العربية.

(٢) أحمد كمال أبو المجد: حقوقي ومفكر إسلامي، ووزير إعلام مصري أسبق.



من اليمين: عيسى بن محمد يليه مهدي أحمد سروري - تيسير النابلسي - حسين الصباغ - وطالب آخر

الزملاء الفلسطينيين من سكان مدينة نابلس ويدعى مهدي أحمد سروري زيارة الأراضي الفلسطينية قبل عودتي النهائية للبحرين، وبالفعل استجبت لدعوته، وانتقلت بسيارتي عبر باخرة للنقل إلى بيروت، ومنها إلى دمشق حيث بتنا بها ليلتين، قبل أن نواصل المسير إلى عمّان مروراً إلى القدس وفيها -أي القدس- يسّر الله لي الصلاة في مسجد قبة الصخرة، والمصلّى المرواني بالمسجد الأقصى المبارك أعاده الله إلى أيدي المسلمين، ثم أكملت الرحلة إلى مدينة قلقيلية ونابلس وباقي مدن الضفة الغربية التي تزرع ومنذ العام ١٩٦٧م تحت وطأة الاحتلال الصهيوني الغاشم».

المسلمين سميت أسرة عبد الوهاب خلاف الذي كان أستاذاً للشريعة بكلية الحقوق، فكنا عبر هذه الأسيرة نقيم البرامج والرحلات بمشاركة الأستاذ أبو المجد الذي عرفته منذ ذلك التاريخ، ومازالت معرفتي به مستمرة، وهو أستاذي إلى هذا اليوم.

وفي سنوات دراستي الأخيرة بجامعة القاهرة -والحديث لأبي محمد- قمتُ باستقدام سيارة خاصة بي من البحرين عن طريق البحر عبر قناة السويس، وبدأت بالتنقل في مناطق ومدن مصر المختلفة، وبعد التخرج مباشرة في صيف العام ١٩٦٢م، اقترح عليّ أحد



مغادراً إلى لندن في أبريل ١٩٨٠م، ويظهر على يساره السيد سعيد أحمد
«مدير التدريب»، وعلى يمينه الأستاذ خليفة خلفان «مدير العمل»
والأستاذ جميل الجشي «مدير الشؤون الاجتماعية»



الفصل الثالث

كنت الرقم الصعب



مبنى محاكم البحرين في أربعينيات القرن الماضي



سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة

كانت الوظائف بداية الستينيات من القرن الماضي مضمونة بعد التخرج، لوفرة الشواغر، وقلة الحاصلين على الشهادات العليا. عندما تخرج الشيخ عيسى من كلية الحقوق بجامعة القاهرة في يوليو ١٩٦٢م عاد للبحرين، وبعد مقابلة قصيرة جمعته بالشيخ دعيج بن حمد آل خليفة رئيس المحاكم آنذاك أمر بالالتحاق بالقاضي سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة نائب رئيس الوزراء الحالي، حيث كان قاضياً في المحكمة الصغرى، فصار مساعداً له، يجلس إلى جانبه على نفس الطاولة، لتسيير القضايا. لم يطل الزمن بسمو الشيخ محمد بن مبارك، فحدثت تغييرات متسارعة عام ١٩٦٣م، حيث كانت الدولة في تلك الفترة -فترة الستينيات- تتشكل تقريباً، فاستحدثت (دائرة الإعلام) وتولّى إدارتها جيمس (حمد) بلغريف ابن المستشار البريطاني تشارلز بلغريف، وعين سمو الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة مساعداً له.



قاعة المحاكم الكبرى ويظهر في الصورة الشيخ دعيج بن حمد آل خليفة رئيس المحاكم وعلى يمينه المستشار بلجريف

«خلال الستينيات وجدت نفسي مسؤولاً عن المحاكم، فلم تكن في تلك المرحلة مراسيم أو قوانين تصدر للتعيين، وإنما أوامر مباشرة من أصحاب الشأن، وكان مرتبي حينها ٩٠٠ روبية»

يقول «أبو محمد»: «وجدت نفسي بعدها مسؤولاً عن المحكمة، فلم تكن في تلك المرحلة مراسيم أو قوانين تصدر للتعيين، وإنما أوامر مباشرة من أصحاب الشأن، كان مرتبي في حينها ٩٠٠ روبية. بقيت في هذا المنصب فعلياً من عام ١٩٦٣م حتى ١٩٧٣م، ورسمياً من ١٩٦٨م إلى ١٩٧٣م، وخلال هذه الفترة حدث أمران أود التطرق إليهما: أولهما شخصي وهو زواجي، والآخر متعلق بتنظيم سلك القضاء في البلد».

قصة زواجي

يقول الشيخ عيسى بن محمد: «عندما عدتُ إلى البلاد بعد فترة الدراسة الطويلة، جاءت إليّ ابنة أختنا الشيخة لولوة، وعرضت عليّ فكرة الزواج وقالت: أنا التي ستزوجك، بالرغم من معرفتي المسبقة لمن اختارت وهي الشيخة مريم بنت إبراهيم بن محمد آل خليفة، ومعرفتي بوالدها وإخوانها. وبالفعل، أذكر أنّي ذهبت لأخي الشيخ خالد، وأخبرته باختياري لشريكة الحياة، فقال: توكل على الله. وتمّت كتابة عقد النكاح عند الشيخ يوسف بوشيت، الذي اشترط علينا إيجاد شاهدين، لا من أهلي ولا من أهلها، فقلنا له: اختر لنا من الشهود من ترضيه، ولا أدري ما الحكمة من شرطه هذا رحمه الله تعالى، وتم العقد».

رُزق الشيخ عيسى بن محمد من هذا الزواج الميمون بثلاثة من الأبناء هم: محمد،

وعبد الله وسلمان، وقد كان لقدم ابنه البكر (محمد) في عام ١٩٦٦م فرحة غامرة في نفسه، حفّزته -وهو في لندن- لكتابة رسالة أخوية للأستاذ قاسم الشيخ يبشره فيها بالمولود الأول يقول فيها: «اسمح لي لتأخر هذا الخطاب ما يقارب الخمسة أشهر! فالانشغال بالأمور اليومية ألّهاني عن الكتابة إليك، ولكن الآن جاء ما يستحق الكتابة.. ففي يوم الجمعة التاسع من هذا الشهر الكريم -يعني شهر رمضان- منّ الله عليّ وعلى زوجتي بمولود أسميناه (محمداً).. ولقد كان العزم منذ أن حملت به أمّه ونحن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمناً باسمه الكريم... فلما أن جاء ولداً أسميناه خير الأسماء.. نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينشئه النشأة الصالحة، ولا يفتنّا فيه، فهو القائل سبحانه: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾».



الشيخ سلمان بن عيسى آل خليفة



الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة



الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة



تنظيم سلك القضاء

«أما الأمر الآخر والذي تزامن مع تلك المرحلة، فهو أن الانتداب البريطاني كان يلحّ على الحكومة، ويستحثها من أجل إصلاح المحاكم، فقد كان القضاء البريطاني بحسب الاتفاق بين الحكومة والمعتمد البريطاني يستثني البحرينين والعرب والإيرانيين من قوانينه، فيما يتم ترحيل قضايا الأوروبيين ورعايا دول الكومنولث إلى محكمة دار الاعتماد أو ما كان يسمى ببيت الدولة.

بدأت محاكم البحرين تكبر، فتّمت الاستعانة بالخبرات الأجنبية، وتم استقدام مستشار بريطاني اسمه (ديفيد هامفريز) واشتهر فترة من الزمن، ثم حلّ محله مستشار أردني فكانت البداية للاستعانة بالقضاة الأردنيين، من أمثال القاضي محمد الخالدي، والقاضي موسى الجار الله، والمستشار شكيب الجيوسي وغيرهم. وأنشئ مكتب كاتب العدل المختص بتوثيق المعاملات التجارية من بيع وشراء للعقارات بالإضافة إلى التوكيلات التجارية، كما تم استحداث مكتب المسجل العام الذي يشرف على قبول الدعاوى وتوزيع القضايا على المحاكم كل حسب اختصاصه. استمرت هذه السياسة حتى العام ١٩٦٨م. واستعداداً للاستقلال تم نقل الشيخ خالد بن

محمد من إدارة الجمارك إلى رئاسة العدل، وهنا اقترحنا عليه أن نمد يدنا للخبرات القانونية المصرية، وبالفعل، توجه للقاهرة، واستقدم في بادئ الأمر قاضيين اثنين أحدهما المستشار محمد صدقي البشبيشي، ثم كثر القانونيون المصريون مما أفضى إلى إصدار قانون تنظيم القضاء، وبدأت المحاكم تأخذ الشكل المنظم، إلى أن تحولت إلى وزارة، أصبح الشيخ خالد بن محمد أول وزير لها، وأصبحت وكيلاً فيها».

التجربة البرلمانية الأولى

شهدت البحرين مع بداية عقد السبعينيات من القرن الماضي حراكاً سياسياً غير مسبوق في تاريخها المعاصر، تمثل في عددٍ من المحطات المهمة التي واكبت عهد الاستقلال وما بعده، ففي يناير من عام ١٩٧٠م أمر حاكم البلاد -آنذاك- سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة بإنشاء (مجلسٍ للدولة) يُنَاط به تنفيذ السياسة العامة للدولة في مختلف الشئون الداخلية والخارجية وفق القوانين والمراسيم والأنظمة، حتى إذا ما نالت البحرين استقلالها يحل مجلس وزرائها محل هذا المجلس المؤقت والذي تكوّن في حينه من إحدى عشرة دائرة تحولّت إلى وزارات بعد الاستقلال، ثم جاءت الخطوة الثانية بإصدار دستور للبلاد صاغ مواده وبنوده النهائية أعضاء المجلس التأسيسي منتصف العام ١٩٧٣م، وصدّق عليه الأمير نهاية العام ذاته.



سنوات الحراك السياسي في البحرين إبان الاستقلال:

- منتصف الستينيات: شرعت الدولة في تطوير وتحديث أجهزتها ومؤسساتها الإدارية مع تضاؤل قبضة الحماية البريطانية.
- ١٩ يناير ١٩٧٠م: إنشاء «مجلس الدولة» بأمر من حاكم البحرين الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، وتكوّن من ١١ دائرة تتولى تنفيذ السياسة العامة للدولة في مختلف الشئون الداخلية والخارجية وفق القوانين والمراسيم والأنظمة.



- ١٤ أغسطس ١٩٧١م: البحرين تنال استقلالها.
- ١٥ أغسطس ١٩٧١م: قرار بتأليف مجلس الوزراء يحل محل مجلس الدولة في جميع اختصاصاته.
- ٢٠ يونيو ١٩٧٢م: مرسوم بقانون بإنشاء مجلس تأسيسي بالانتخاب المباشر لإعداد دستور الدولة.
- ١ ديسمبر ١٩٧٢م: الانتخابات العامة للمجلس التأسيسي.
- ١٦ ديسمبر ١٩٧٢م: أمير البلاد يفتتح أعمال المجلس التأسيسي.
- ٢ يوليو ١٩٧٣م: تقديم مشروع الدستور لأمير البلاد للتصديق عليه.
- ١١ يوليو ١٩٧٣م: إصدار مرسوم بشأن أحكام الانتخاب بالمجلس الوطني.



الشيخ عيسى بن محمد مترئساً إحدى الدوائر الانتخابية في انتخابات عام ١٩٧٣م

بقانون رقم (١٠) لسنة ١٩٧٣م بشأن أحكام الانتخاب للمجلس الوطني. عن ذلك يقول الشيخ عيسى بن محمد: «في التجربة

وتماشياً مع نصوص الدستور ورغبة في دعم وتعزيز النظام الديمقراطي من خلال مجلس يمثل الشعب صدر مرسوم

سنوات الحراك السياسي في البحرين إبان الاستقلال: (تابع)

- ٦ • ديسمبر ١٩٧٣م: التصديق على الدستور من قبل أمير البلاد الراحل سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة.
- ٧ • ديسمبر ١٩٧٣م: موعد إجراء الانتخابات العامة للمجلس الوطني (البرلمان).
- ١٢ • ديسمبر ١٩٧٣م: استقالة حكومة الاستقلال، وأمر أميري بإعادة تعيين سمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيساً للوزراء وتكليفه بترشيح أعضاء الوزارة الجديدة.



البرلمانية الأولى في البلاد، كُلفنا كقضاة بالإشراف على سير الانتخابات النيابية، وقد ترأستُ إحدى دوائر منطقة المنامة الانتخابية، وكان مقرها (مدرسة الزهراء) على ما أذكر، فكانت من الدوائر النشطة، وجرّت عملية التصويت في مناخ ديمقراطي مريح، فكانت -بحسب قول المراقبين- انتخابات حرة ونزيهة أفرزت تياراً يسارياً كبيراً».

هذا التيار اليساري الذي يشير إليه الشيخ عيسى ما لبث أن تكتّل داخل قبة البرلمان تحت مسمى (كتلة الشعب)، والتي تصادمت لاحقاً مع الحكومة، فكانت أحد عوامل فشل التجربة البرلمانية الأولى في البحرين.

ويروي الشيخ عيسى تجربته في تلك المرحلة الدقيقة من عمر التجربة الديمقراطية الوليدة في البحرين فيقول: «كُلفت بتولي وزارة العدل

• ١٦ ديسمبر ١٩٧٣م: افتتاح المجلس الوطني رسمياً.

• ٢٢ أكتوبر ١٩٧٤م: إصدار مرسوم بقانون «تدابير أمن الدولة» قبل يوم واحد من بدء دور الانعقاد الثاني للفصل التشريعي الأول.

• ٨ يونيو ١٩٧٥م: لجنة الشئون الداخلية والخارجية والدفاع بالمجلس تعلن عن عدم موافقتها بشأن المرسوم بقانون تدابير أمن الدولة وتطالب بضرورة سحب الحكومة لهذا القانون وعرضه للمناقشة والتصويت برفضه.



محمد سلمان حماد



محسن حميد مرهون



الشيخ خالد بن محمد آل خليفة

الشعب) منهم: النائب محسن حميد مرهون، والنائب محمد سلمان حماد لحل تلك الأزمة وتخفيف حال التوتر السائد، فلم يستجيبوا لذلك، وأصروا على مناقشة قانون أمن الدولة،

في العام ١٩٧٤م بعد استقالة أخي الشيخ خالد، وأصبحت عضواً في المجلس الوطني بحكم المنصب الوزاري، فحاولت مع زملائي في الحكومة التفاوض مع بعض أعضاء (كتلة

سنوات الحراك السياسي في البحرين إبان الاستقلال: (تابع)

• ٢٣ يونيو ١٩٧٥م: صدور مرسوم أميري يقضي بفض دور الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي الأول، وحل المجلس الوطني.

• ٢٤ أغسطس ١٩٧٥م: الحكومة تقدّم استقالتها وتعلن أنها «لم تجد من المجلس الوطني عوناً لها، رغم محاولاتها المخلصة التي بذلتها خلال عامين، إذ سادت مناقشاته أفكار غريبة عن مجتمعنا وقيمنا، طرحت السمو اللازم للدولة، واتجهت إلى الإثارة والإهاجة والتحريض والمزايدة، وعملت على بث الفرقة وروح الكراهية..».

• ٢٥ أغسطس ١٩٧٥م: تشكيل حكومة جديدة، وتعيين الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.



التشكيل الوزاري بعد حل المجلس الوطني (أغسطس ١٩٧٥م)

التي بذلتها خلال عامين، إذ سادت مناقشاته أفكاراً غريبة عن مجتمعنا وقيَمنا، طرحت السمو اللازم للدولة، واتجهت إلى الإثارة والإهاجة والتحريض والمزايدة، وعملت على بث الفرقة، وروح الكراهية».

ويضيف الشيخ عيسى: «بعد كتاب الحكومة للأمير الراحل سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة، تم قبول استقالتها، وصدر أمر أميري آخر في أواخر شهر أغسطس ١٩٧٥م بتشكيل حكومة جديدة برئاسة سمو الشيخ خليفة بن سلمان تم تعييني فيها وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية».

والتصويت برفضه أمام المجلس الوطني، وحتى اللحظات الأخيرة نصحناهم بتأجيل مناقشته إلى ما بعد الإجازة الصيفية -فترة انقضاء دور الانعقاد الثاني- لعل الحكومة تعيد النظر في القانون، لكنهم أصروا على موقفهم، فانسحبت الحكومة من المجلس، وتكرر غيابها عنه على مدى ثلاثة أسابيع متتالية، صدر بعدها مرسوم أميري بحل المجلس الوطني صيف العام ١٩٧٥م، أتبعه تقديم الحكومة استقالتها في كتاب خاطبت فيه سمو أمير البلاد، وذكرت فيه أنها: «لم تجد من المجلس الوطني عوناً لها، رغم محاولتها المخلصة



مستقبلاً مدير الشؤون الخارجية الياباني (فبراير ١٩٨٠م)

عذاب الدنيا بعد عذاب الآخرة!

أدرك الشيخ عيسى بن محمد مع أول يوم استلم فيه مهامه بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية الحمل الثقيل الملقى على عاتقه هو والمسؤولين بالوزارة لعدة أسباب أهمها: حداثة التجربة السياسية في البلاد، بالإضافة إلى وضع الحركة العمالية غير المستقر خلال عقدي الستينيات والسبعينيات والمثقل بالآزمات والاضطرابات، أبرزه وحمل لواء تحديداً خليط التيارات اليسارية والقومية التي كانت تعيش مرحلة مراهقتها السياسية.

«كلفت بوزارة العدل، وفي نفسي منها شيء، ولكنني قبلت أملأ في أن أتمكن من خدمة بلدي.. ثم جاء التكليف بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية..»

وجاءني الأخ الصديق عبد البديع صقر يقول لي: أهنيئك.. لقد انتقلت من عذاب الآخرة إلى عذاب الدنيا..

ولقد كان عذاب الآخرة ثقيلاً هان أمامه عذاب الدنيا والحمد لله..

عيسى بن محمد

المبيدات في دائرة الصحة ١٩٦٩م وإضراب عمال طيران الخليج ١٩٧٠م ثم توجت تلك التحركات بعمل جماعي خلال النصف الثاني من عام ١٩٧١م تمثل في تشكيل اللجنة التأسيسية لاتحاد العمال والمستخدمين وأصحاب المهن الحرة في البحرين يتلخص محور عملها في العودة إلى ما نص عليه الباب الثالث من قانون العمل البحريني لعام ١٩٥٧م والذي يسمح بالتنظيم النقابي الذي تزامن مع الانسحاب البريطاني وإعلان الاستقلال، ولعدم استجابة الحكومة لمطلب هذا الاتحاد دعت الحركة النقابية -غير المرخصة- إلى إطلاق انتفاضة مارس ١٩٧٢م والإعلان عن الإضراب العام في مختلف مواقع العمل والإنتاج الأمر الذي ألقى بظلاله على السنوات اللاحقة من عقد السبعينيات.



فقد مثلت انتفاضة عمال شركة بابكو في مارس ١٩٦٥م الشرارة الأولى لتلك المرحلة، تلتها سلسلة من الإضرابات: كإضراب عمال دائرة الكهرباء والماء ١٩٦٨م، وعمال رش



الشيخ عيسى بن محمد في حوار عمالي وعلى يمينه معالي السيد إبراهيم العنقري «وزير العمل السعودي الأسبق» ومعالي السيد علي الأنصاري «وزير العمل والشئون الاجتماعية القطري الأسبق» (١٩٨٠م)



إبراهيم محمد حسن حميدان



جواد سالم العريض

كنت الرقم الصعب

يقول الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة: «حينما استلمت مهامى بوزارة العمل كانت الوزارة منضبطة إدارياً، فقد تولاهما قبلي وزيران، وأخوان عزيزان، وإداريان محنَّكان هما: الأخ جواد سالم العريض، والأخ إبراهيم محمد حسن حميدان رحمه الله. فمن حيث مكتب الوزير والإدارة كان الانضباط موجوداً، ولكن ما كان بيننا عندي هو أن الوزارة لم يكن لها هدف معين، وفلسفة تسعى إلى تحقيقها، لم يكن لها الرسالة التي من أجلها تعمل، لم يكن لها القلب الذي به تنبض ألا وهو (قانون العمل)، وبالفعل صارحت الحكومة وعلى رأسها سمو رئيس الوزراء بأننا نسعى إلى إصدار قانونين ضروريين هما: قانون العمل، وقانون التأمينات الاجتماعية، وبالفعل بارك سموه هذه الخطوة، فكوّن الفريق المختص لذلك، واستعنا بالقانونيين ذوي الخبرة والكفاءة حتى يبحثوا في هذا الموضوع، وشكلنا اللجان، وأشركنّا المواطنين.. وأنجزنا قانوني العمل والتأمينات في نهاية المطاف، ورفعناه إلى مجلس الوزراء الذي أحاله إلى اللجنة القانونية، وبعد أن بدّلوا وغيروا فيه أصدروه! ثم بعد ذلك لم يعجبهم تطبيقه على الأجانب فأوقفوه عنهم».

روح جديدة في جسد مؤسسة العمل..

لم يكن الشيخ عيسى بن محمد وزيراً تقليدياً يؤثر الجلوس على كرسي وثير بين جدران أربعة.. تأتيه التقارير اليومية عن إدارته وسياساته تبعاً، بل خطى خطوات عملية إلى تعزيز ثقافة جديدة تعتمد المتابعة المباشرة، والاحتكاك اليومي بالموظفين والمراجعين على حد سواء. منذ أيامه الأولى بالوزارة سعى إلى وضع خطة متكاملة تقود وزارة العمل إلى تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة وفق وسائل متفق عليها، فركّز على أهمية تحديد الأهداف المرحلية الاستراتيجية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المجالين العمالي والاجتماعي، ووضع لكليهما سياسات ومبادئ محددة وواضحة غير قابلة للتأويل.

محمد آل خليفة على كافة المستويات الإدارية بالوزارة، فنراه في حديثه عن العلاقات الإنسانية وأهميتها يوجّه حديثه إلى المديرين والمراقبين والمشرفين موضحاً: أنَّ العامل المحدد لنجاحنا في أداء أعمالنا ليس مجرد إنشاء الهيكل التنظيمي للوزارة، وإنما يتوقف الأمر في النهاية على مدى توافر مستويات الكفاءة الإدارية التي ينبغي أن تتوافر في هذه القيادات من خلال توافر القدرة على تحديد أهداف واضحة للعمل في كل وحدة تنظيمية، وعلى اختيار أنسب الوسائل لتحقيق تلك الأهداف، وعلى استخدام الإمكانيات المتاحة بأقصى كفاءة ممكنة لتنفيذ تلك الوسائل».

مع هذا التنظير الخططي لم يغفل الشيخ عيسى بن محمد الخطر الذي يهدد العمل والعمال من أحزاب وتيارات ترى كل ما تفعله الحكومة خطأ وفساداً وتأمراً على (الطبقة العاملة)؛ بل توجه إلى العقلاء منهم وأراد الالتقاء بهم في منتصف الطريق، لا كما فعل بعض المسؤولين حينما تحاوروا معهم من بروج عالية، فقدّرهم المنصفون منهم، وشكّك في مساعيهم غلاة اليساريين ممن تعرضوا للمضايقات في أوقات سابقة، أو ممن استغربوا أسلوب الشيخ عيسى الودّي معهم لدرجة لا يتصورها عقل في (عزّ) تلك السنوات المشحونة.



متابعة حثيثة من ميدان العمل

فنقرأ على سبيل المثال في السياسة العمالية - المبدأ الثالث: «التأمين الاجتماعي أحد المقومات الأساسية للمجتمع، وعلى الدولة تأمين خدماته في حالات الشيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل، أو الترميل، أو البطالة».

يقول الأستاذ عزت عبد النبي مستشار وزير العمل الأسبق: «لقد كان هذا المنهج العلمي في التفكير والقائم على أهمية تحديد الأهداف الاستراتيجية والمرحلية للعمل في الوزارة، وعلى اختيار أنسب الوسائل لتحقيق تلك الأهداف وعلى استخدام الإمكانيات المتاحة بأقصى كفاءة ممكنة لتنفيذ هذه الوسائل هو محور توجيهات سعادة الشيخ عيسى بن



كنتُ في الواقع نسحب -سياستنا الجماعية في الوزارة- البساط من تحت أقدام ما كان يسمى (الاتحاد الوطني لعمال البحرين) الذي يقود تياراً يسارياً عريضاً، وهو مالك المشهد السياسي في تلك الفترة من خلال تنظيماته المتعددة، فكان لابد من منافسة هذا التنظيم وإقناع العمال واستقطابهم».

يقول الشيخ عيسى بن محمد: «كنتُ في الوزارة الرقم الصعب، أنشأنا مجلساً للوزارة، ثم أصدرنا مجلة شهرية أطلقنا عليها (العَمَل)، تُعنى بمختلف قضايا العمل والشؤون الاجتماعية، وترصد أنشطة الوزارة وإنجازاتها، ومن كان يتابع ويطلع على ما كنتُ نصدره في ذلك الوقت سيراه شيئاً ثورياً،



نماذج من أعداد مجلة «العمل» التي كانت تصدرها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية نهاية سبعينيات القرن الماضي.

نقرأ كلمة الافتتاحية تحت عنوان: قراءة في ملف الديمقراطية.. أين الخلل؟

تقول: «الديمقراطية مناخٌ لا بد أن تتوافر العوامل المكونة له قبل أن يكون نظاماً.. ومن باب أولى قبل أن تكون شعاراً.. ومن السهل استثمار الديمقراطية كمجرد شعار.. مجرد عنوان لاستيفاء الشكل بلا مضمون، ولا محتوى، ولا توافر لشروطها.. من السهل جداً رفع شعار الديمقراطية مع السير في طريق عكسي».

وتواصل المجلة: «وإنما الأكثر أهمية أن نهيئ المناخ المناسب والضمانات الكفيلة بحمايتها وممارستها.. وأن نضعها موضع التنفيذ على أرض الواقع، ونمارسها بالفعل ممارسة حقيقية بلا خوف.. فالخائف لا يستطيع أن يمارس الديمقراطية، ولا أن يكون حراً في

«العمل».. مجلة حكومية.. لكن مُعارضة!

تعتبر هذه المجلة أحد الأسلحة الإعلامية التي استخدمها الشيخ عيسى بن محمد في معركته من أجل الوطن ضد التحركات اليسارية الانفعالية آنذاك، وعكست في أعدادها المتتالية شهرياً الدهاء السياسي الذي مارسه في مخاطبة الشريحة العمالية الكادحة، بحيث قاربت المواضيع المطروحة بين دفتيها ذات المواضيع التي يدندن على أوتارها تيار اليسار، كما كانت تلك النشرات الدورية توعيةً وتنقيفاً للعامل البسيط بأهم حقوقه وواجباته، وبأساسيات الثقافة العمالية بعيداً عن اللغة الصدامية، والخطاب المهيج لعواطف العمال. ففي مجلة العمل - العدد السادس عشر والصادر في شهر يونيو ١٩٨٠م



الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة بين وزير الإعلام الأسبق طارق المؤيد والتربية والتعليم الأسبق الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل خليفة في إحدى الفعاليات الثقافية

وهذا هو جوهر الديمقراطية.. فالديمقراطية الحقيقية: هي أن يشعر كل مواطن أن له صوتاً، وأنه شريك في القرار الذي يصدر.

وتضيف مجلة (العمل): «من يرفض الحرية بدلاً عن العبودية؟ من يرفض العدل بدلاً عن الظلم؟ والمساواة بدلاً عن التفرقة والتمييز بين البشر؟ ومن يرفض الحق بدلاً عن الباطل؟ قد تبدو الإجابة عن هذه الأسئلة بالنفي منطقية وقاطعة، ولكن للأسف هناك دائماً في كل مكان وزمان من يقف ضد قضايا الحرية والعدل والمساواة والحق بأسلوب مباشر أو غير مباشر.. علناً أو سراً.. صراحةً بتبجح أو بخداع والتواء..

رؤيته، ولا في رأيه.. فالأحرار والذين يملكون الشجاعة - لا الغارقون في الخوف - هم الذين يستطيعون المساهمة في البناء.. هكذا فإنه لكي تمارس الديمقراطية لأبد من مقدمات ضرورية لاشك أن أهمها على وجه الإطلاق استقرار معنى الشعور بالأمن الذي يجب أن يسبق كل المعاني حتى معنى الحرية ذاتها. ويتمثل الأمن أساساً في سيادة القانون، ومع حرية الصحافة، وتعدد الآراء والاتجاهات يمكن أن تعيش فيها الديمقراطية.. إن الحاكم لا يبني وحده.. ولكن بشعبه.. هكذا تكون البداية الصحيحة.. وهكذا يمكن أن ينطلق الشعب ليحقق الشرط الثاني من شروط الديمقراطية، وهو المشاركة في اتخاذ القرار..

«هناك من يصادر حقوق الآخرين وحررياتهم بدعاوى متنوعة كلها باطل، فيطغى ويستبدّ، وتنسى كل هذه الأصناف أن (الله أكبر)»

مجلة العمل

المكتبي بأوراقه وتقاريره كأساس للاتصال بين الوزارات والمواطنين، والاعتماد على العمل الجماهيري كأساس لأداء مسئوليات العمل الوزاري». وتضيف: «إذا كان لابد وأن نضرب مثلاً يوضح قولنا هذا فإن وزير العمل والشؤون الاجتماعية مُطالب بأن يلتقي بصفة دورية بالعمال وقيادتهم في الشركات والمؤسسات المختلفة، يستمع إليهم، ويعرف منهم مباشرة مشاكلهم ورغباتهم واحتياجاتهم، ويعرض عليهم خططه وبرامجه. ووزير العمل مطالب بأن يلتقي بصفة دورية بأعضاء ناد أو جمعية معينة، يحاورهم ويناقشهم، يأخذ منهم ويعطيهم، يتفاعل معهم ويدرس تحركاتهم، ويفهم وجهة نظرهم، ثم يقوم بعد ذلك بتنظيم وتنسيق آرائهم للاستفادة منها في تطوير برامج العمل بالوزارة، ووزير العمل مطالب بالالتقاء بالجمهور المتردد على الوزارة لإنجاز معاملاتهم، وقضاء مصالحهم؛ ليعرف منهم مباشرة ما يعانون منه، ونقاط الاختناق، وأسباب التعطيل.. ذلك أنه إذا توافرت الإرادة والرغبة على أداء هذا المفهوم، حرّر الوزير نفسه من قيود العمل الروتيني، ومن عوامل الجذب المكتبي، وتمكن من تخطيط برنامج عمله اليومي بما يعطيه إمكانية الحركة الجماهيرية».

وما زال بين البشر من يؤمن بالعنصرية أو يمارس التمييز العنصري.. ومن بينهم من يمارس الظلم للأفراد والشعوب، مخولاً لنفسه اختصاصات لم يخولها الله الأحد لنفسه ! وكأنما يتحدى أمر الله الصريح (يا عبادي.. إنّي حرّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا).. وهناك من يصادر حقوق الآخرين وحررياتهم بدعاوى متنوعة كلها باطل، فيطغى ويستبدّ، وتنسى كل هذه الأصناف أن (الله أكبر)»..

لم تكن مجلة (العمل) مجرد نشرة لتوعية وتنقيف العمال، أو لتلميع الوزارة ومسئولياتها وإبراز إنجازاتها، بل تم اعتمادها في الأساس لتقويم سير العمل، وتحقيق النقد الذاتي للوزارة ابتداءً من قمة الهرم (الوزير)، ومن هم دونه. وفي هذا الصدد جاء في افتتاحية العدد الرابع لشهر يونيو ١٩٧٩م تحت عنوان: المسؤولية السياسية للوزير أبعادها ومقوماتها، تقول الافتتاحية:

«إن المفهوم الأول لمسئولية السياسة للوزير يتمثل في الإحساس بالمواطنين ومشاكلهم ورغباتهم وآمالهم وأحلامهم، وفي الوقت نفسه تقدير طاقاتهم وإمكانياتهم تقديراً سليماً، وهو أمر يتطلب عدم الاعتماد على العمل



سياسة الباب المفتوح التي اتبعها الشيخ عيسى بن محمد ساهمت في القضاء على البيروقراطية بالوزارة خلال فترة زمنية وجيزة

شعار يغذيه شعور.. وقول يؤكد عمل

«أن ترى مسئّلاً نشيطاً يحاول بين الفينة والأخرى متابعة سير العمل والاطمئنان على ما تقدمه بتفقد مواقعه وأقسامه فهذا جائز الحدوث، لكن أن ترى وزيراً في نهاية الأسبوع، والساعة تتحرك عقاربها في اتجاه الواحدة ظهراً، ورغم ذلك يجلس على طاولة عادية وسط موظفيه، يقوم بنفسه، وفي صمت بكتابة الأوراق، وملء البيانات، وتحرير البطاقات والاستمارات في قسم بطاقات العمّال فهذا ما استرعى انتباهنا، وشدّنا لمعرفة القصة.. فلو

لم يكن ما تم التطرق إليه من خلال صفحات مجلة (العمل) مجرد عبارات فضفاضة، أو شعارات رفعها المسؤولون بوزارة العمل في عهد عيسى بن محمد، بل كانت مبادئ ترى سبيلها للتطبيق على أرض الواقع.. يقول أحد الصحفيين بمجلة (العمل) في عددها السابع والصادر في شهر سبتمبر ١٩٧٩م:

مما يقال من أنّ هناك تقاعساً في تخليص معاملات المراجعين، فكنت أترك مكنتي، وأتوجّه إلى القسم المعنيّ لتقاسم العمل مع الموظفين، فنقوم معاً بإصدار الرخص للعمال، كان هدفي أن يؤدي كل موظف عمله بفاعلية أكثر دون كسل أو تبرّم أو تعذّر بأمور شخصية تضيق أوقات العمل، وتؤخر معاملات المراجعين.. حينما تركت الوزارة كان الحماس والنشاط فيها قد دبّ من القمة إلى القاعدة، فصار الإنتاج غير الإنتاج الذي كان يؤديه الموظفون كروتين».



محمد علي المخضبي

سياسة الباب المفتوح

ومن السياسات التي أرساها الشيخ عيسى بن محمد خلال تولّيه مهام الوزارة انتهاز سياسة الباب المفتوح بينه وبين المراجعين إيماناً منه بضرورة التواصل والتقاء الجمهور أياً كان مستواه دونما حجاب، ومن تلك الأمثلة الواقعية ما يستذكرها سكرتير مكتب وزير العمل الأسبق الأستاذ محمد علي المخضبي يقول: «في عام ١٩٧٦م؛ قامت شركة (براون أند روت BROWN AND ROOT) وهي شركة كبيرة وعريقة في أعمال اللحام والفبركة والمنشآت النفطية.. قامت هذه الشركة بإقالة مجموعة كبيرة من العمال المحترفين والمساعدين، مما تسبب في قيام

أننا قرأنا عن ذلك في مجلة أو جريدة لقلنا على الفور: إنها عملية دعائية.. ولو لم أشاهد ما رأيته بأمر عيني لما صدّقت».

ويواصل هذا الصحفي سرد القصة: «اقتربت بهدوء من سعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزير العمل الذي كان منهمكاً في العمل منكباً عليه، واستأذنت سعادته في التقاط صورة، وفي الحال اختفت الابتسامة الوداعة التي ترسم على وجهه دائماً عندما يحدثك، وقال في حزم وأدب جم معروف عنه: لا.. أرجوك..».

ويشير «أبو محمد» فيما بعد إلى هذه الحادثة ومثيلاتها فيقول: «كنت أتحمّس

احترق بيتهاء.. دخلت علينا في مكتب سكرتير الوزير وقالت: أريد أن أقابل الوزير لأن بيتي قد احترق.. وثيابها تحمل رائحة دخان الحريق، فلما أبلغتُ الشيخ بحالها، طلب إدخالها عليه فوراً ودون تأخير، فدخلت عليه وشكت له حالها، وأنصت لها وكان مثلاً حياً لإغاثة الملهوف عندما قدم لها مساعدة فورية من عنده، وأمر لها بعتاء عاجل من إدارة الشؤون الاجتماعية، فتهلل وجهها، وسكنت نفسها، واطمأنت إلى هذا الصنيع الذي لم تكن تتوقعه إلا من الشيخ الوزير الإنسان».

نجاحات محلية.. وأصداء دولية

لم يكن الشيخ عيسى بن محمد خلال توليه مهام وزارة العمل يسعى إلى الارتقاء بالشؤون العمالية والاجتماعية المحلية وحسب، بل سعى في خط مواز إلى الانطلاق بثبات إقليمياً ودولياً عبر اللقاءات الدورية، والمؤتمرات العامة، لتثبيت اسم البحرين على خريطة شؤون العمل والعمال.. فكانت لمشاركات البحرين الخارجية خلال تلك الفترة -بفضل الله ثم بمجهودات الشيخ عيسى بن محمد ومستشاريه- أصداء رائعة على المستويات كافة.. خليجياً وعربياً ودولياً، بل في العديد من المؤتمرات كانت لتوصيات البحرين المرفوعة الإشادة والريادة. يقول الشيخ عيسى بن محمد: «إن حجم

مظاهرات عمالية ساخطة على الشركة. وقد افتحم المتظاهرون مبنى الوزارة ودخلت مجموعة منهم مدخل مكتب وزير العمل والشؤون الاجتماعية الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، وتزاحمت أعداد منهم في مكتبي، فقممتُ بتهديئتهم، وذهبت لإبلاغ الوزير عنهم، وعن مشكلتهم مع الشركة، وقد كانت صرخاتهم عالية فأثر الوزير أن يتوجه إليهم شخصياً، وخشيتُ أن يتعرض لمكروه من قبل الجموع الغاضبة، وما كان من الشيخ عيسى الوزير الإنسان إلا أن توسط هذه الجموع، وأصغى بكل هدوء لمطالبهم التي تلخّصت في إعادتهم إلى أعمالهم، وكانت وقفته حازمة ومشرفة معهم، فاستدعى مدير العمل السيد خليفة خلفان آنذاك، وأمره بأن يأتي إلى مكتبه، ويحضر معه جوازات الأجانب الذين تم تجديد تأشيرات إقامتهم، وقال له بالحرف الواحد: يجب أن تُلغى تأشيرات هؤلاء العمال الأجانب الموجودين في الشركة، ويسفروا فوراً؛ ليحل محلهم أبناء الوطن، وتهلّت وجوه العمال الغاضبين، وأسعدتهم هذه الوقفة الشجاعة والنبيلة من الشيخ الوزير الإنسان الكريم الذي أحمده بهذا التصرف جذوة الغضب عند المظلومين، وانتصر لهم وأعادهم إلى أعمالهم».

ويواصل الأستاذ محمد المخضبي ذكرياته فيقول: «ما زلت أذكر تلك المرأة العجوز التي



خلال رعايته لبرنامج خاص بالمعوقين ويظهر في الصورة على يساره المهندس عيسى الوطني

إذا تبين أننا لم نعد الدراسات والأبحاث، أو
إذا تبين أننا لم نُحدّد مقدّماً لأنفسنا دوراً
إيجابياً وبنّاءً في أعمال المؤتمر..

«إن حجم المسؤوليات التي تتحملها وزارة
العمل في مجال الشؤون الدولية يفرض
علينا جميعاً أن يكون استعدادنا للمشاركة
في أي مؤتمر على مستوى المسؤولية التي
نتحملها جميعاً».

عيسى بن محمد

المسؤوليات التي تتحملها الوزارة في مجال
الشؤون الدولية يفرض علينا جميعاً أن
يكون استعدادنا للمشاركة في أي مؤتمر على
مستوى المسؤولية التي تتحملها جميعاً، وهي
تأكيد لدور البحرين الإيجابي والبناء في كل
مؤتمر، وهذا يتطلب المزيد من الدراسات
والأبحاث، وأن الاشتراك في أي مؤتمر تكليف
وليس تشریفاً، ولذا لا يجوز أن يجلس الوفد
مستمعاً، أو لمجرد المشاركة الشكلية، وأنا لن
أتردد عن الاعتذار في الاشتراك في أي مؤتمر



خلال الاجتماع التأسيسي لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية الخليجي (١٩٨٠م)



مع الدكتور الخضيرى مدير منظمة العمل الدولية (١٩٨٠م)

وجود مشككين لجهوده من الفريق الأول، والمتربصين به في الفريق الآخر!

ولعل من مبادراته التاريخية المضيئة في هذا الصدد دعوته للدكتور عبدالرؤوف أبوعلم خبير منظمة العمل الإقليمي للثقافة العمالية في الدول العربية لزيارة البحرين من أجل دراسة الثقافة العمالية والأنشطة المختلفة التي تقدمها الوزارة في مجال الخدمات العمالية، وإعداد تقرير يتضمن بعض المقترحات والتوصيات في هذا الشأن، وقد استجابت المنظمة لهذا الطلب، وحضر الخبير العمالي إلى البحرين في الفترة من الثاني إلى الثامن من شهر أبريل من عام ١٩٧٩م، وقد أفضت

قَبَّانُ المعادلة

استنزفت المشكلة العمالية وتراكماتها وقتاً وجهداً من فترة وزارة الشيخ عيسى بن محمد، ففي سبيل نيل العمال لحقوقهم كاملةً أبى الرجل الاعتماد على حلول ترقيعية، أو سياسة لتميع تلك الحقوق والمطالب، وقد كان سعيه وسطاً ذلك الاحتقان السياسي تحت وطأة قانون أمن الدولة منصباً على إيجاد صيغة توافقية قدر الإمكان، وحلول مرضية لكلا الطرفين (الحركة العمالية غير المرخصة من جهة، والحكومة في الجهة المقابلة)، وقد لاقت تحركاته قبولاً واسعاً وتقديراً عميقاً من قبل المنصفين في الفريقين بالرغم من

والاجتماعية نجاحاً ملموساً بعد ما يقرب من أربع سنوات من العمل الدؤوب المستمر على كافة الأصعدة المحلية والدولية، فقد كان له دور بارز في انضمام البحرين إلى منظمة العمل العربية وإلى منظمة العمل الدولية عام ١٩٧٧م، كما يعد أحد أبرز المؤسسين لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية الخليجي أواخر سبعينيات القرن الماضي، وشارك كما يذكر الأستاذ رضي السماك: «بفاعلية باسم دولة البحرين في كل المؤتمرات والفعاليات العربية والدولية التي تتطلب حضوره، ولم يتخلف قط عن أي فعالية طوال توليه الوزارة».

وعن تجربته الشخصية مع الشيخ عيسى بن محمد خلال المشاركات الخارجية يروي



مترئساً وفد البحرين إلى اجتماع منظمة العمل الدولية بجنيف

هذه الزيارة إلى عددٍ من التوصيات كان من أهمها: «البدء في اتخاذ الخطوات الخاصة بتكوين النقابات العمالية وتشكيل المجلس الأعلى للخدمات العمالية».

وتنفيذاً لتلك التوصيات صدر قرار حكومي أواخر ١٩٧٩م بتشكيل مجلس أعلى للخدمات العمالية برئاسته كوزير للعمل والشؤون الاجتماعية، وعضوية أقطاب العمل الثلاثة: الحكومة وأرباب العمل والعمال، يهدف إلى رسم السياسة العامة للخدمات الاجتماعية والعمالية على المستوى الوطني، ودراسة ما يحال عليه من مجلس الوزراء من موضوعات تتعلق بالشأن الاجتماعي والعمالي، وقد باشر المجلس أعماله في الأول من مارس ١٩٨٠م.

ثم أتت الخطوة المهمة الثانية بدعوة وزير العمل للأمين العام للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب السيد أحمد أبوبكر جلود لزيارة البحرين، فلبى الدعوة في مارس ١٩٨٠م للإطلاع على الإجراءات التي تتخذها الوزارة في سبيل تحقيق المطالب العادلة للعمال.

لم يكد منتصف عام ١٩٨٠م يحل إلا والشيخ عيسى بن محمد قد أصبح ملء السمع والبصر عمالياً، وأخذ نجمه يبرز بعد أن كسب قلوب الجميع، وأثبت بسياساته العمالية



موسى الأنصاري

المتظلمين منهم، يطبق القانون بحذافيره قدر الإمكان، ولو أدى ذلك إلى سخط أرباب العمل والمتفذين من رجال الأعمال الذين لم يخفوا تبرمهم من بعض قراراته الصارمة تجاههم.

النقابي الأستاذ موسى الأنصاري: «خلال عضويتي في اللجنة العمالية المؤقتة لعمال البحرين شاركت معه في العديد من المؤتمرات الدولية، أحدها مؤتمر منظمة العمل الدولية في جنيف عام ١٩٧٩م، حيث كان للوزراء وفدٌ منفصل عن عمال بلدانهم، يلتقون بهم فقط في قاعة المؤتمرات، أما الشيخ عيسى بن محمد فكان منفتحاً علينا دائماً، كنا نجالسه في جلسات المؤتمر وبعدها، لم نشعر أننا أمام وزير، بل كنا نعتبره أخاً وصديقاً مقرباً».

كاسترو الخليج

ويواصل الأستاذ موسى حديثه: «هذا فعلاً أمرٌ استثنائي، إذ وبالرغم أننا الآن في زمن الإصلاحات السياسية، لم نرَ أو نسمع عن وزير يتصرف بمثل تواضع وتعاون هذا الرجل.. هو إنسان بمعنى الكلمة.. مكتبه مفتوح للجميع، لا يوجد في قاموسه البيروقراطية أو البروتوكولات المعقدة، كنا ونحن في اللجان العمالية ندخل عليه مكتبه في أي وقت شئنا، في تلك الفترة كانت وزارة العمل تطبق سياسة (البحرنة)، وتحاول أن ترفع من شأن البحرين.. كانت -بحق- فترة ذهبية عشناها، كان البحرينيون فخورين بهذا الوزير الذي يدافع عنهم، وعن مصالحهم بقراراته الجريئة.. كان صادقاً مع الناس، يمنح العمال حقوقهم، ويُنصف



في الطريق إلى جنيف... الرحلة الأخيرة التي قام بها الشيخ عيسى بن محمد قبل تقديمه الاستقالة (مايو ١٩٨٠م)

عيسى بلحيته الطويلة بعض الشيء يلبس (الجينز) واضعاً على رأسه قبعة، فكان من يراه يظنّه كاسترو لتشابه الموصفات..! لقد استطاع أبو محمد من خلال مشاركاته المدروسة، والمعدّة سلفاً لأي اجتماع خارجي يحضره من طبعه ببصمة خاصة تُعلي من شأن البحرين، وترفع من أسهمها بين الدول رغم مساحة البحرين الصغيرة، وحداثة تجربتها العمالية..

ويضيف الأستاذ الأنصاري: «وإذا نسيت شيئاً فلن أنسى سفري معه إلى بغداد عام ١٩٨٠م لحضور مؤتمر وزراء العمل العرب، حيث كان خطابه ومدخلاته في قاعة المؤتمر ذات نفّس ثوريّ، جذب إليه الأسماع، ولاقى قبولاً منقطع النظير، شدّ إليه الوفود العربية، ولقبه البعض منهم بـ (كاسترو الخليج)؛ وأذكر حينما تجولنا في منطقة (الخبّانية) قرب بغداد، وكان الشيخ

في حينه هو من قيّد الكثير من طموحاته وعجّل برحيله فقد كان هذا الرجل (منفلتاً) بإخلاصه وإصلاحاته...!، وأذكر أن أول عيد عمالي يُحتفى به على نطاق رسمي في البحرين أنجزناه كلجنة عمالية مؤقتة زمن الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في الأول من مايو ١٩٨٠م في نادي البرق واللاسكي -بتلكو حالياً- بمنطقة الحورة، وخطب فينا الشيخ عيسى خطاباً قوياً، بأسلوب متمكّن في حضرة عدد من المناضلين العماليين، كانت نبرته أثناء الحديث كنبرتهم إن لم تكن أكثر ثورية منهم...! وأذكر في نفس العام حينما كنا في دورة وزراء العمل العرب ببغداد ١٩٨٠م أننا اجتمعنا بالمناضل محمد الرباطي في إحدى الغرف المغلقة حيث كان الشيخ عيسى بن محمد ينصحه وهو صادق قائلاً له: «نحن نتفق مع مطالبكم كعماليين، ولكن الظروف التي تمر بها البلد، وتطبيق قانون أمن الدولة يحول بين ذلك، كما أنني لا أضمن لك سلامة العودة الآن إلى الوطن».. كان الشيخ -والكلام لموسى الأنصاري- إلى هذا الحد من الصّدق مع الرباطي ومع المعارضين الآخرين.. كان يتقبّل جميع الآراء، ويجلس مع المعارضة، وكان دائماً هو من يطرح المبادرات التي تخدم مصلحة الوطن والمواطن، فسياسته لم تكن منحازة إلى فئة أو مذهب أو ملّة، بل كانت منحازة للمواطن ومصالحه المهنية والمعيشية.



الكلمة التاريخية التي ألقاها الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في احتفالية عيد العمال (مايو ١٩٨٠م)

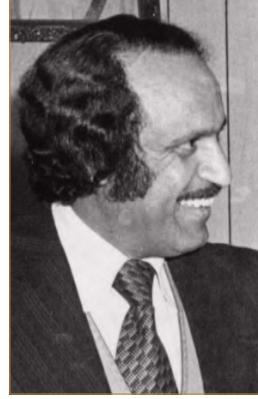
ويستطرد الأستاذ موسى الأنصاري قائلاً: «كان يؤمن بما تؤمن به كل الدول المتقدمة من ضرورة تطبيق العدالة والقانون قدر المستطاع، ولعل قانون أمن الدولة المفروض



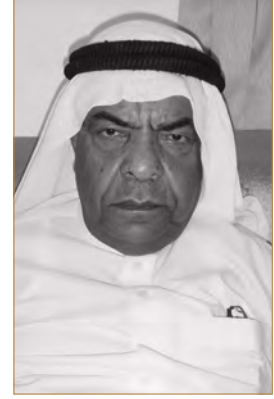
د. محمد علي بن الشيخ
منصور الستري



المستشار عزت عبدالنبي



جميل جواد الجشي



خليفة خلفان

شخصيات في الوزارة لا تنسى

يقول الشيخ عيسى بن محمد: «تعاونًا في تلك الفترة في الوزارة مع عدة شخصيات ولله الحمد، من بينها الأخ خليفة خلفان مدير العمل، والأخ جميل جواد الجشي رحمه الله مدير الشؤون الاجتماعية، وكذلك الأخ سلمان ساتر مسئول الشؤون الإدارية، ومن الشخصيات التي تعزز الوزارة بأنها أنجبتهم الأخ كامل صالح الصالح سفيرنا في إيران سابقاً، كان حينها يرأس القسم الدولي، ثم حولناه للأمانة العامة لمجلس وزراء العمل في دول مجلس التعاون الخليجي، وكذلك الدكتور محمد علي بن الشيخ منصور الستري مستشار جلالة الملك لشؤون السلطة التشريعية، كان من الكوادر التي نشأت في ذلك العهد، ودفعناه إلى مزيد من التخصص، وهو لا يزال يذكر

صلته الشخصية بي، وصلته بوزارة العمل. طبعاً كان المساعد الأكبر لي في وزارة العمل المستشار عزت عبدالنبي، ولن أنسى مؤسس قانون التأمينات في البحرين الأخ المصري محمد بدران، وهو شخصية قانونية خدم في مصر في الشؤون الاجتماعية، ثم سافر إلى اليمن وأسس قانون التأمينات فيها، ثم انتقل للسعودية وأسس فيها ذات القانون، وعندما طلبناه من وزارة العمل السعودية استجابت لطلبنا، فأسس قانون التأمينات في البلاد وخدم الهيئة حتى وفاته عليه رحمة الله.

وهناك بقية باقية من المخلصين في الهيئة العامة للتأمينات منهم الأخ يعقوب بن يوسف الماجد الذي خلف الشيخ عيسى بن إبراهيم في إدارة الهيئة، والأخ أحمد بن هرمس رئيس القسم القانوني وشخصيات أخرى».



إحدى الفعاليات النسائية برعاية وزارة العمل والشؤون الاجتماعية

الكفاءة أساس الاختيار

فعلى سبيل المثال: الشؤون الاجتماعية مُلئت بالنساء ! وحوالي ٥٠٪ من موظفي الوزارة كنّ من النساء ! نحن لم نمانع في توظيف المرأة لأن الأيام أثبتت كفاءتها واستعدادها لأداء الواجبات المنوطة بها على مختلف المستويات.

«لم أسعَ خلال فترة وزارتي إلى التفريق بين العاملين على أساس طائفي أو مذهبي، بل العكس، كان أساس الاختيار والتفضيل في التوظيف والترقية مبنيّ على الكفاءة المهنية. في عهدي كانت هناك فرصة حقيقية لتوظيف عدد كبير من الكوادر النسائية،



رضي السماك

إنجازات خالدة

يتحدث الشيخ عيسى بن محمد عن أهم إنجازات وزارة العمل خلال فترة عمله كوزير فيقول: «استطعنا خلال هذه السنوات إصدار قانوني العمل والتأمينات الاجتماعية، وإنشاء الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية، وأشرفنا على تأسيس إدارة خاصة بتنمية القوى العاملة، كما قمنا بوضع السياسة العمالية والاجتماعية بالوزارة، ووضع خطة خمسية للعمل الاجتماعي، ووضع حجر الأساس لمعهد البحرين للمعاقين والعديد من المراكز الاجتماعية، وتدشين مشروع الأسر المنتجة، وافتتاح معهد البحرين للتدريب المهني، ثم النشاط الدولي الكبير من خلال المشاركة الإيجابية والفاعلة في المؤتمرات العربية الدولية، والدعوة إلى عقد مؤتمر سنوي لوزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربي، سابقاً مجلس التعاون نفسه، والعديد من الإنجازات الأخرى».

ويعتبر الكاتب والصحفي البحريني الأستاذ رضي السماك فترة تولي الشيخ عيسى بن محمد مهامه في وزارة العمل من «أخصب فترات هذه الوزارة الفتية غداة الاستقلال»، حيث «كانت فترة تسلمه وزارة العمل أكثر فترات تاريخ هذه الوزارة ازدهاراً، وشهدت حيوية ونشاطاً متميزاً، وكانت هذه الفترة

أيضاً أكثر الفترات التي ضمت خلالها الكفاءات البحرينية الشابة بالعشرات من مختلف فئاتها الاجتماعية، وأتيح لها المجال لأن تتقلد مسؤوليات في الوزارة».

«لم أسع خلال فترة وزارتي إلى التفريق بين العاملين على أساس طائفي أو مذهبي، بل العكس، كان أساس الاختيار والتفضيل في التوظيف والترقية مبني على الكفاءة المهنية»

عيسى بن محمد

«كانت فترة تسلمه وزارة العمل أكثر فترات تاريخ هذه الوزارة ازدهاراً، وشهدت حيوية ونشاطاً متميزاً»

رضي السماك

لم تكن إقالة.. بل استقالة..

التطوعي والخيري عبر جمعية الإصلاح
نصيباً من الوقت والجهد.

يقول الأستاذ محمد علي المخضبي سكرتير وزير العمل الأسبق عن سبب استقالة الشيخ عيسى بن محمد: «عندما كان الشيخ عيسى مشاركاً في اجتماعات منظمة العمل الدولية في جنيف يونيو ١٩٨٠م ذكر في كلمته التي ألقاها بعض الإحصائيات عن العمالة في البحرين وبعض الدول الإقليمية القريبة من البحرين، فاعترض عليه وزير العمل لإحدى تلك الدول، وشكاه لدى المسؤولين في بلده، ومن ثمّ أوصلوا الشكوى للمسؤولين في البحرين، وهنا تم استدعاء الشيخ من جنيف على وجه السرعة وطلب منه الاعتذار.. أوضح الشيخ وجهة نظره بأن ما قرأه وما استدّل به من أرقام إنما استقاها من إحصائيات ذات الدولة، ومن مراجعها الرسمية، وليست من تأليفه، ولم يأت بشيء جديد من عنده، وهي مجرد إحصائيات لا أكثر ولا أقل.. أصر على موقفه بأنه لم يرتكب خطأ في حق أحد، وهو غير مستعد لا للاعتذار، ولا للانتقال إلى وزارة أخرى أريد له الانتقال إليها، فقدم استقالته، وقال: هذه الساعة المباركة!».

ويذكر الصحفي الأستاذ رضي السماك هذه اللحظات في الوزارة بقوله: «يخرج من الوزارات رجالٌ عديدون في الحكومات

كان خبر استقالة «أبي محمد» من وزارة العمل مفاجئاً للرأي العام البحريني، وصادماً لمنتسبي وزارته بشكل خاص، إذ لم يتصوروا سرعة تقديمه للاستقالة في مايو ١٩٨٠م، وسرعة قبولها في ذات اليوم! فعام ١٩٨٠م بالنسبة للشيخ عيسى بن محمد شهد نشاطاً غير مسبوق، وبدأت سياساته التي وضعها تؤتي الثمار، والنتائج الإيجابية تتحقق تباعاً، وعن ذلك يقول: «خروجي من الوزارة لم يكن إقالة، بل استقالة بمحض إرادتي، لما جاء عقد الثمانينيات بعد سنوات من العمل الحكومي، اعتقدت أنه آن الأوان لي أن (أطلق) الواجب الرسمي وأن أكون حراً. لقد وجدت نفسي غير قادرة على العطاء بأكثر مما قدّمت. لم يكن هناك أي خلاف بيني وبين الحكومة الموقرة، ولكن الإنسان عندما يلتحق بكلية الحقوق يحلم دائماً بمزاولة مهنة المحاماة، وهذا الحلم لم يغب عن ذهني لحظة، عندما يسألني أي شخص عن أيهما أفضل: لقب سعادة الوزير أم المحامي عيسى بن محمد؟ فأنا وبدون أي تردد أفضل التوصيف الثاني، وأقدم انتمائي للمحاماة قبل أي أمر آخر.. فأنا أعتزّ بمهنتي، وأتشرف بكوني محامياً، لذا قررت التفرغ لإدارة مكتب خاص بالمحاماة، بالإضافة إلى إعطاء العمل

«يخرج من الوزارات رجالٌ
عديدون في الحكومات
العربية كما دخلوا دون أن
يتركوا أي أثر طيّب، إن لم
يتركوا أثراً سلبيةً خطيرة،
لكن الشيخ عيسى من
نمط الرجال الذين تركوا
بصماتهم، ومنجزاتهم
الطيبة الواضحة في الوزارات
التي تولاهها»

رضي السماك



العاملون بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية
باستقالة هذا الوزير.. بكوّه جميعهم
صغاراً وكباراً، من أصغر المراسلين حتى
أعلى المسؤولين، وما زالوا حتى يومنا هذا لا
يذكرونه إلا بالخير، وهذا العمري أنبل وأعظم
وسام وتكريم يحق لأي مسئول في الدولة أن
يفخر به بعد انتهاء خدمته».

العربية كما دخلوا دون أن يتركوا أي أثر
طيّب، إن لم يتركوا أثراً سلبيةً خطيرة، لكن
الشيخ عيسى من نمط الرجال الذين تركوا
بصماتهم، ومنجزاتهم الطيبة الواضحة في
الوزارات التي تولاهها، ويشير في مقال آخر
كتبه عن ذكرياته مع الشيخ عيسى: «لقد
ذكرت ذات مرة أنه في اليوم الذي فوجئ فيه



الفصل الرابع |

حنين إلى القضاء الواقف

المحاماة ... حلمي الأول

بعد أن قدّم الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة استقالته من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، رأى أنه آن الأوان لأن يبدأ نشاطاً خاصاً بمهنة المحاماة أو (القضاء الواقف) كما يحب أن يشير إليها بعد حوالي عقدين قضاهما في العمل الحكومي بلا انقطاع، فبدأ العمل اعتماداً على شخصه في غرفة صغيرة (ببناية النور) بجوار باب البحرين.



أحمد خليفة العسمي



إبراهيم كمال إبراهيم

يقول الأستاذ أحمد العسمي سكرتير مكتب الشيخ عيسى للمحاماة: «قام الشيخ عيسى باستدعائي بادئ الأمر لمباشرة أعمال المكتب، ولعل أول رسالة إدارية خطّها بيده كانت تتعلق بحاجته إلى مساعدتي بعد الظهر خلال أيام الأسبوع، فوافقت بلا تردد على طلبه، لا من أجل الراتب وإن كان مجزياً في حينه، وإنما من أجل العمل مع رجل كالشيخ عيسى بن محمد».

فخرو إلى الانضمام إلى المكتب لاكتساب الخبرة، والتمرس في تداول القضايا والمسائل القانونية المختلفة، ومع تولي الأستاذ إبراهيم كمال إبراهيم مهام إدارة المكتب استطاع مع سكرتارته المنضبطة من وضع استراتيجية تعتمد على الارتقاء بمستوى العاملين باتجاه تحقيق الأهداف المرسومة وفق نظرية فريق العمل الواحد في جو عائلي يبدد ضغوط العمل اليومية، ويعزز روح انتماء الموظفين للمكتب. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ إبراهيم كمال:

أخذ المكتب بالتوسع تدريجياً بانضمام نخبة من المحامين والمستشارين القانونيين الأكفاء، فكان في مقدمة الركب المستشار أحمد عبدالرحمن فرح رحمه الله، والمستشار صفى الدين مصطفى سلامة، وخلال سنوات قليلة استطاع المكتب من حجز موقع مرموق له بين مكاتب المحاماة والاستشارات القانونية، وهو ما شجّع الحقوقيين الشباب - كما يقول الشيخ عيسى - من أمثال المحامي محمد أحمد بوجيري، والمحامي عبد الله جاسم



العقود الرسمية والعرفية المختلفة باللغتين العربية والإنجليزية، كعقود تأسيس الشركات بكافة أنواعها، وعقود المقاولة، وعقود الإيجار، والعقود التجارية والمالية، وعقود العمل، وعقود البيع والمقايضة والقسمة، وعقود الرهن الرسمي الحيازي، وعقود الهبة والوصية، وعقود الأحوال الشخصية، وغير ذلك من العقود القانونية مما يطلبه العميل.

كما يقوم المكتب بتقديم كافة الاستشارات القانونية الشفهية والتحريرية في جميع أبواب القانون والمعاملات المصرفية وعمليات البنوك، واتفاقيات القروض والرهن، والمعاملات المصرفية، وعمليات البنوك، واتفاقيات القروض والرهن، ومجالات التأمين والاتصالات، وعقود العمل، بالإضافة

«يعدّ مكتب الشيخ عيسى بن محمد من أوائل مكاتب المحاماة والاستشارات القانونية ووكلاء حقوق الملكية وأكثرها شهرة في البحرين ودول مجلس التعاون الخليجي، وقد ارتبط المكتب بشخصية مؤسسه المحامي الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله آل خليفة المرخص أمام جميع محاكم البحرين ودرجاتها، والذي شغل عدة مناصب حتى تأسيس المكتب الذي تم في عام ١٩٨٠م، ولقد كان لخبرة وشخصية الشيخ عيسى أثر كبير في السمعة الطيبة التي تمتّع بها المكتب طوال تاريخه وحتى هذه اللحظة. ويتميز المكتب -والكلام لا يزال للأستاذ إبراهيم كمال- بتقديم خدماته القانونية المتميزة لعملائه في مختلف المجالات القانونية من خلال كوكبة من المستشارين القانونيين المتخصصين من أقطار البلاد العربية ومن أبناء البحرين يعملون باللغتين العربية والإنجليزية، ويتمتعون بالمؤهلات الأكاديمية، والخبرة اللازمة.. ونذكر على سبيل المثال بعض الخدمات القانونية التي يقدمها المكتب لعملائه من مباشرة القضايا بجميع أنواعها التجارية والمدنية والشرعية والجزائية والعمالية لدى محاكم البحرين بمختلف درجاتها وتمثيل العملاء أمامها، تأسيس الشركات التجارية بكافة أشكالها التجارية، وتسجيل الوكالات والعلامات التجارية، إعداد صياغة كافة

حقوقيون عملوا بمكتب الشيخ عيسى بن محمد للمحاماة والاستشارات القانونية



المحامي محمد أحمد عبدالله



المستشار محمد الفاتح مدني



المستشار صفى الدين مصطفى



المستشار أحمد عبدالرحمن



المحامي زياد روفان قيومجي



المحامي فريد عبدالله حساني



المستشار د. محروس هلالى



المستشار أحمد محمد عمر

ويشير الأستاذ إبراهيم كمال إلى إنجازات المكتب فيقول: «هي كثيرة وحافلة كمّاً وكيفاً، فقد قام المكتب بمباشرة آلاف القضايا، وأسّس مئات من الشركات التجارية، ومئات العلامات التجارية يصعب حصرها أو تحديدها فذلك بالنسبة لكم، أما بالنسبة للكيف: فقد باشر

إلى تقديم النصح والمشورة في المجالات القانونية ذات الصبغة الدولية في مختلف أنحاء العالم، وذلك من خلال علاقة الشراكة والتعاون التي تربطنا بعدد من مكاتب المحاماة الزميلة في منطقة الخليج والبلاد العربية وكذلك من خلال مكاتب Clifford Chance وفروعها حول العالم».



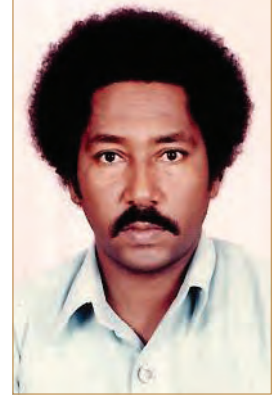
المحامي عبدالله جاسم فخرو



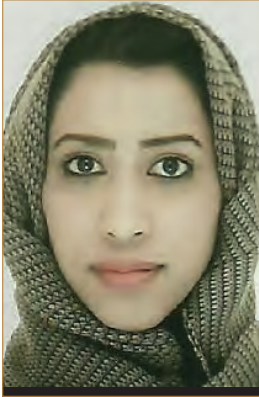
المحامي حسين محسن النزر



المستشار أ.د. محمد مهدي قنديل



المستشار حسن محمد إدريس



المحامية دعاء أحمد العسمي
«ماجستير عقود دولية»



المحامية سارة محمد بوحجي



المحامية مروة عبدالله حميد



المحامية دلال الزايد

وملابسات ووقائع كل دعوى، دون أن يكون تحايلاً، أو التفافاً على القانون، وإنما لتحقيق العدالة، وإحقاق الحق، علاوة على القضايا التجارية الكبيرة لشركات تجارية عملاقة، وبنوك تجارية محلية وعالمية استطاع المكتب أن يصل بها إلى بر الأمان، وقضايا عمالية تارةً عن أصحاب العمل، وأخرى عن العمال،

دعاوى جنائية، أسندت للمتهمين فيها عقوبات السجن المؤبد والمؤقت وأغلظ العقوبات الواردة بقانون العقوبات البحريني، واستطاع المكتب أن يحصل في بعض منها على أحكام بالبراءة، والبعض الآخر أن يعيد التكييف القانوني لها من جنائية إلى جنحة، وصدر أحكام الحبس فيها مع إيقاف التنفيذ طبقاً لظروف



مع عدد من مستشاريه بالمكتب

وبعيداً عن مهام المكتب القانونية، يحرص الشيخ عيسى بن محمد على أن تبقى أبواب مكتبه مشرعة لكل ضيف أو زائر، بل إن العديد من اللقاءات الصحفية، والمقابلات التلفزيونية، قد أجريت معه من مكتبه الخاص.. هذا المكتب التي تزيّن جدرانها الأربعة صوراً عائلية معبرة، وشهادات تكريمة عديدة نالها على مر السنين، لكن الزائر الفاحص لمكتبه يلاحظ صورة معلقة، قد ميّزت عن البقية، هي على الدوام تعلق جميع تلك الصور.. لأنها صورة الإمام حسن البنا..!

وقضايا مدنيّة شائكة استطاع المكتب أن يُحلّل عُقدها، ويحصل على أحكام قانونية عادلة أعادت الحقوق إلى أربابها، وقضايا شرعية عديدة أحوج ما تكون لمعالجة إنسانية منها إلى قانونية تسبب المكتب بانفراجها، وهذا المنهج الذي وضعه لنا سعادة الشيخ عيسى في مثل هذه القضايا وغيرها، بل إن استراتيجية العمل بالمكتب والتي تأخذ منحى العمل الودّي العادل لأطراف الدعاوى له الأولوية الأولى في سير القضية، حتى وإن كان ذلك سيحرم المكتب من أتعاب ودخل مالي وفير..»

رسالة في مكتبي أعتر بها

حينما قرر «أبو محمد» - بعد مضي ما يقرب من ثلاثة عقود على تأسيس مكتب المحاماة - الانتقال إلى مقر جديد في نفس منطقة باب البحرين، وفي أثناء عمليات الجرد والفرز للوثائق والمقتنيات التي يقودها سكرتير المكتب النشط الأستاذ أحمد العسمي، تم العثور على مخطوطة نادرة كتبت بخط الإمام الشهيد حسن البنا، يعود تاريخ كتابتها إلى عام ١٩٣٦م.



قصة الرسالة..



الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد آل خليفة

يقول الشيخ عيسى: «أما عن قصة الرسالة فهي كالتالي: في ذات يوم سعيد من عام ١٩٨٠م وبينما كنت أزاو مهنة المحاماة في مكتبي بالمنامة، إذ زارني -قبل وفاته- العم الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد آل خليفة، وأخبرني أن له صلة بالإمام حسن البنا، وأنه يحتفظ برسالة منه منذ العام ١٩٣٦م، ويريد أن يسلمني إيّاها لأنني -كما قال- أحق الناس بالاحتفاظ بها كوثيقة تُثبت ذلك اللقاء الذي جمعه في مكة المكرمة بالإمام الشهيد حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين خلال موسم الحج».

الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد آل خليفة

بينما كنّا -أنا وعائلي- نُصَيّف في (البدعة) ولا تفصل بيننا سوى قرية كرباباد. لقد كان أخي الأكبر خالد من رواد مجلس العم محمد، حيث كان يصطحبني معه صغيراً للمجلس الذي كان من رواده مشايخ آل مبارك من الإحساء، والشيخ عبد الرحمن المهزع القاضي، ومن تجار المنامة السيد جاسم كانوا رحمهم الله جميعاً، والحديث ينصبّ جله في الأدب والشعر والمجلات الأدبية كمجلة (الرسالة) التي كانت ترد من مصر».

«ودعوني أعرفّ بالعمّ الشيخ محمد بن إبراهيم -والكلام لا يزال للشيخ عيسى- فهو ابن شاعر البحرين وأديبها الشيخ إبراهيم بن محمد بن خليفة آل خليفة، لذلك نشأ الولد في حضن شاعر وأديب، فجعل اتصاله بأهل العلم والأدب وذوي الصلاح والإصلاح سمّته ودأبه. كان العم الشيخ محمد ينزل منطقة (الجابور) على الساحل الشمالي للبحرين،

نص الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمعية الإخوان المسلمين
بالناصرية رقم ١٣ بالقاهرة^(١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه
في ٥/٦ سنة ١٣٥٥ هـ
٢٢/٨ سنة ١٩٣٦ م

سيدي الأخ المفضل^(٢) الكريم السيد محمد بن إبراهيم بن محمد آل
خليفة حفظه الله

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

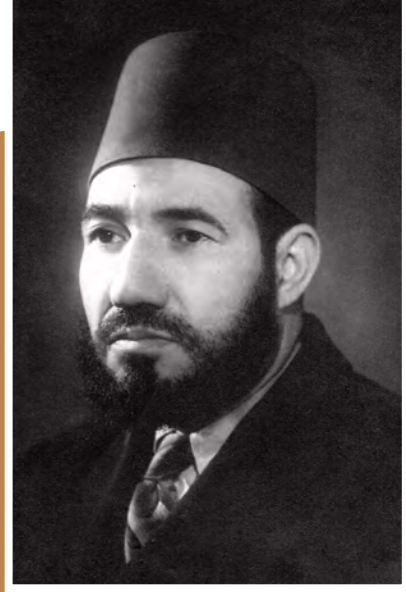
طالعت كتابكم الكريم بعد عودتي من سفر طويل^(٣) في أنحاء مصر،
فذكرني وأشاقني^(٤) ورعى الله تلکم الساعات.

مهما طال رشاء^(٥) القول - يا سيدي محمد - فهو إلى جانب العاطفة قصير
كليل^(٦)، فمعدرة، وأنا ننطوي^(٧) لكم على الحب العظيم، والشوق الشديد،
ونذكر بالحنين الدائم تلکم الأوقات الطيبة^(٨)، أعادها الله، وجمعنا وإياكم
في حرمة، وحرر رسوله صلى الله عليه وسلم.

يا أخي.. كنا نود أن تكون جريدة الإخوان^(٩) هدية صغيرة من المكتب إليكم،
فأبیتم إلا أن تتكرموا بالاشتراك، فجزاكم الله خيراً، ووقفنا جميعاً إلى
خدمة دينه الحنيف.

نحب - يا أخي - كثيراً أن تُديم صلتكم بنا، وأن تكتب إلينا كثيراً، ونحب
أن نخدم البحرین عن طريق جريدتنا إذا استطعنا ذلكم، فاکتبوا إلينا بما
تحبون للنشر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(١٠).

الفقير إليه تعالى
حسن البنا



الإمام حسن البنا

- ولد الإمام حسن البنا في المحمودية بالبحيرة عام ١٩٠٦ م.
- تخرج من دار العلوم بالقاهرة وكان ترتيبه الأول على الدفعة.
- أسس جماعة الإخوان المسلمين بالإسماعيلية عام ١٩٢٨ م.
- كثيراً ما كان يردد شعار الإخوان «الله غايتنا، الرسول زعيمنا، القرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».
- استشهد في ١٢ فبراير ١٩٤٩ م بعد إطلاق النار عليه أمام جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة.

هوامش وتعليق على نص الرسالة

رحلات دعوية جابت أركان القطر المصري ابتداءً بالوجه البحري من تاريخ ١٧ يوليو، وانتهاءً بأسوان وعواصم الصعيد حتى تاريخ ٣٠ أغسطس.

(٤) أشاقتي: هيّج شوقي.

(٥) الرّشاء: حبل الدلو الذي يُتوصّل به إلى الماء، وجمعه أرشية، وأرشى الدلو: جعل له رشاءً أي حبلاً.

(٦) كليل: واهن عاجز، تقول العرب: سيفٌ كليل: أي واهنٌ غير قاطع، ولسانٌ كليل: أي غير بليغ.

(٧) تنطوي: نكنّ ونضمّر، قال أفنون التغلبي: أبلغ كلاباً وخل في سراتهم

(٨) يستذكر الإمام حسن البنا الأوقات الجميلة التي قضاها والشيخ محمد بن إبراهيم (أول بحريني يلتقي الإمام البنا) في موسم الحج مطلع عام ١٩٣٦م، فهي المرة الأولى التي يؤدي فيها البنا فريضة الحج، وقد أشارت مجلة الإخوان المسلمين لهذا الحدث فقالت: «يؤدي الأستاذ المرشد فريضة الحج والزيارة هذا العام إن شاء الله، وسيكون سفره هو والإخوان الذين يصحبونه في هذا السفر

(١) تصدّر الرسالة عنوان المركز العام لجمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة وهو: شارع الناصرية رقم ١٣ بالسيدة زينب، وهو بالمناسبة المقر الرابع منذ انتقال الإمام حسن البنا بدعوته إلى القاهرة قادماً من الإسماعيلية عام ١٩٣٢م، فقبل هذا المقر تنقل المركز العام من حارة نافع ٢٤ إلى دار سوق السلاح ثم حارة الشماشجي رقم ٥. (وبعد شارع الناصرية ١٣ انتقل المركز العام إلى العتبة الخضراء-عمارة الأوقاف رقم ٥، ثم إلى دار شارع أحمد بك عمر رقم ١٣، إلى أن استقر المركز العام في الحلمية الجديدة قبل أن يُحرق في عهد رجال الثورة بعد حادثة المنشية الشهيرة سنة ١٩٥٤م).

(٢) الفضال: كثير الفضل، يقال: هو مفضّل على قومه، أي ذو معروف وفضل، وهي كلمة كثيراً ما كان يستخدمها الإمام حسن البنا في مخاطباته ومراسلاته. (راجع كتاب مذكرات الدعوة والداعية).

(٣) يشير الإمام الشهيد حسن البنا إلى هذا السفر الطويل في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»، إذ تشكلت في صيف ١٩٣٦م

الكرم: فتاده ب: (الكرم)، والأخرى: حبه للأدب والأدباء: وفي اقتراحه له بالكتابة عبر جريدة الإخوان تأكيد على ذلك. يقول أحد المعاصرين للشيخ محمد: «أن بيته الكائن في (الجابور) كان مفتوحاً للجميع، يسمع لهم، ويبيدي استعداداه لعون المحتاج منهم». تغمده الله برحمته، وأدخله فسيح جناته.. آمين.



الإمام حسن البنا محاطاً بإخوانه في أحد مواسم الحج

الميمون على الباخرة التي تغادر ميناء السويس في غرة ذي الحجة ١٣٥٤هـ - ٢٤ فبراير ١٩٣٦م.

(٩) ظهر العدد الأول لجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية بتاريخ ٢٨ صفر ١٣٥٢هـ الموافق لـ ٢٢ يونيو ١٩٣٣م، وأدارها الأستاذ محب الدين الخطيب. واستمرت في العمل لمدة أربعة أعوام، استصدر بعدها الإخوان رخصة أخرى لمجلة سياسية أسبوعية سميت بـ «النذير» عام ١٩٣٨م.

(١٠) تأتي كلمات الإمام حسن البنا في رسالته الجوابية على الشيخ محمد بن إبراهيم آل خليفة في سياق أسلوبه المعتاد (السهل الممتنع)، البليغ الموجز، الذي يأسر القلوب، ويحركها بلا شعور للعمل لدين الله ودعوته، فهو مع عباراته الأخوية العميقة التي نثرها في رسالته ك: (سيدي الأخ المفضل، الحب العظيم، الشوق الشديد، وتكرار لفظة يا أخي)، أقول مع هذه العبارات الأخوية الصادقة فإن الإمام البنا ومن نظرة دعوية لماحة قد أشار إلى صفتين تميّز بهما الشيخ محمد بن إبراهيم يرحمه الله هما:



الفصل الخامس

نَفْسٌ جَدِيدٌ يقود الصحة

جمعية الإصلاح.. نَفْسٌ جَدِيدٌ يَقُودُ الصَّحْوَةَ..

في عام ١٩٤١م قامت ثلّة من شباب المحرق يتقدمهم الشيخ خالد بن محمد بن عبدالله آل خليفة والشيخ عبدالرحمن بن علي الجودر بتأسيس ملتقى اجتماعي وثقافي أطلقوا عليه (نادي الطلبة الخليفي)، استقطب في أيامه الأولى نخبة من طلاب مدرسة الهداية الخليفية، ربطتهم بيئة اجتماعية وثقافية متقاربة نسبياً.



صورة تاريخية نادرة للحفل الذي أقامه نادي الإصلاح الخليفي بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بمقره في بناية بن مطر تحت رعاية المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين آنذاك بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٥م (٢٣ رجب ١٣٧٤هـ)، ويرى في الصورة: سمو الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة «ولي العهد آنذاك» - وفي الخلف: صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة (رئيس الوزراء الموقر) ممسكاً بيد الأستاذ عبدالرحمن عاشر ومن اليمين: الأستاذ محمد سالم الظاعن الكواري - الشيخ عبدالرحمن الجودر - ثم الأستاذ حسين محمد حسين (رئيس النادي)

والشيخ دعيج بن علي آل خليفة، وأخي الشيخ عبدالرحمن بن محمد، وهم تناوبوا على رئاسة مجلس إدارة النادي في تلك الفترة أيضاً. في بدايات التأسيس لم يحمل النادي فكراً معيناً بل كان يمثل تجمعاً طلابياً وشبابياً

يقول الشيخ عيسى بن محمد: «يعتبر أخي الشيخ خالد بن محمد -رحمه الله- هو المؤسس والرئيس الأول لنادي الطلبة الخليفي -والذي تغير اسمه إلى نادي الإصلاح- إلى جانب الشيخ عبدالرحمن بن علي الجودر،

«إن انتماءنا للإخوان المسلمين شرفٌ لا
ندعيه، ولكننا لا ننكره»



إحدى المسيرات التي نظمها «اتحاد الهيئة الوطنية، أمام نادي الإصلاح الكائن بعمارة بن مطر (١٩٥٦م)

يُسمى في حينه- الحركة الوطنية (الهيئة السياسية)، وغدّى هذا الصدام والتنافر انعكاسات الوضع المصري، حيث الصراع محتدم بين رجال الثورة وجماعة الإخوان المسلمين، ولأن فكرة القومية العربية التي أطلقها الرئيس جمال عبدالناصر كانت المسيطرة على تفكير عامة الناس ومشاعرهم، وأن من يعارض هذا التوجه لا بد وأن يكون عميلاً للاستعمار. وفي هذا المجال أقول إن انتماءنا للإخوان المسلمين شرفٌ لا ندعيه، ولكننا لا ننكره».

يؤمن برسالة الثقافة، ونشر التوعية، من خلال إقامة المنتديات والمسرحيات، وإحياء المناسبات الإسلامية، وقد كوّن النادي بادئ الأمر فريقاً كروياً لم يفلح، فانصب الاهتمام على المجال الثقافي. وفي بداية الخمسينيات الميلادية، بدأ نادي الإصلاح في تبني فكر الإخوان المسلمين مع عودة الشيخ عبدالرحمن الجودر من القاهرة، وانتظامه في عضوية مجلس إدارته، ثم رئاسته له».

ويضيف: «خلال تلك المرحلة تحديداً اصطدم تيار نادي الإصلاح بتيار -ما كان



بعض أعلام الحركة الإسلامية في الخليج العربي من اليمين: الأستاذ/ عبدالله العلي المطوع - د. يوسف القرضاوي الأستاذ يوسف الحجّي - الصحفي عزت الصياد - الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة

إلى قيادة نادي الإصلاح

«في العام ١٩٦٢م تخرّجتُ من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وعدت للبحرين، انضمت بعدها لعضوية مجلس إدارة نادي الإصلاح ثم أصبحت رئيساً لها بدءاً من عام ١٩٦٨م.

كانت مجالس إدارة النادي السابقة ضعيفة لعدة أسباب: أولها: ضعف تواجد الأعضاء في النادي أصلاً، والسبب الثاني: بحكم أن النشاط الرئيسي كان موزعاً على مناطق البحرين، أما السبب الثالث والمهم: فهو واقع المرحلة التي كان يعيش في زخمها نادي الإصلاح ذو التوجه الإسلامي ألا وهو: المد الناصري قبل هزيمة ١٩٦٧م».

وبالرغم من ذلك يشير «أبو محمد» إلى التحركات التي قام بها النادي من أجل التواصل مع العالم الإسلامي ومكوناته، نافياً في الوقت ذاته ما يُتهم به نادي الإصلاح من تقوقع وانعزالية، وانكفاء على الذات، فيقول: «وخلال تلك الحقبة وما تلاها، كانت لنا اتصالات أخوية بالعديد من أعلام الدعوة وأقطاب الفكر الإسلامي، وقد كان للشيخ عبدالرحمن بن علي الجودر -رحمه الله- دورٌ كبيرٌ في ذلك من خلال معرفته الواسعة بأعلام ورموز الحركة الإسلامية في مصر والخليج، وبحكم عضويته في المجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة، وهذه العلاقات المتميزة استثمرها الشيخ الجودر وإخوانه في



العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز الشيخ عبدالله الأنصاري



المستشار عبدالله العقيل



الشيخ عبدالرحمن الجودر

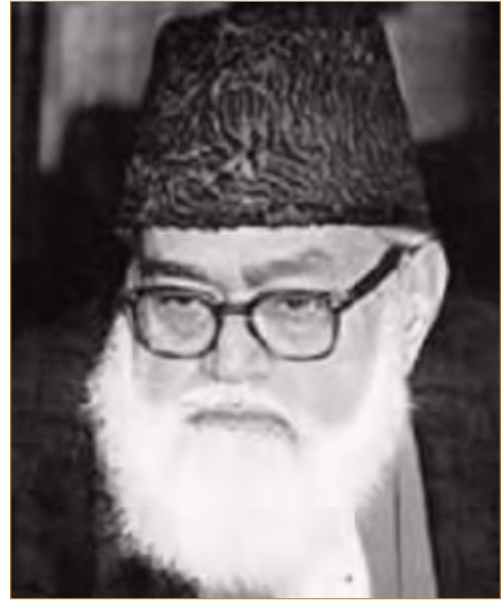
فيه: «لقد فتح مجلسه، وانفتح على الحركة الإسلامية، وكان له الفضل -بعد الله- في جمع التبرعات لبناء مبنى جمعية الإصلاح الحالي حين زكنا للقيادة السعودية التي قدّمت لنا تبرعاً في حينه، وفي قطر الشقيقة.. كان الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري -رحمه الله وجزاه خيراً- عوناً في استقطاب عدد من الإخوان الفارين بدينهم من حكوماتهم آنذاك، من أمثال: الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبدالمعز عبدالستار، والذين هياؤا أرضية خصبة للصحة الإسلامية في الخليج، فكانت لنا معهم اتصالات واجتماعات دائمة من باب المساندة والدعم وتبادل الخبرات. والكلام ينطبق كذلك على الإخوة في دولة الإمارات العربية المتحدة عندما أسّس الشيخ محمد صالح الرئيس جمعية الإصلاح هناك، وكان للإخوة في البحرين إسهام في ذلك».

النادي لمصلحة العمل الخيري والدعوة إلى الله، وأذكر من أوجه تلك الاتصالات على سبيل المثال: تواصلنا مع الشيخ محمد بن زيد القاضي بمنطقة القطيف، حيث كانت لنا معه علاقة ودية وزيارات متكررة، فقد كان محباً للعاملين من أبناء الحركة الإسلامية، كما كانت لنا علاقاتنا المتميزة بإخواننا من أهل الزبير، ومنهم الأخ المستشار عبدالله العقيل وغيره، ممن نزحوا من منطقة الزبير في العراق، واستقروا في الكويت والمنطقة الشرقية بالسعودية، لذلك قد تجد الكثير منهم يحمل ثلاث جنسيات: عراقية -كويتية- سعودية!.

وفي ذات السياق لا ينسى الشيخ عيسى بن محمد الوقفة الأخوية لفضيلة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية، فيقول

أبو الأعلى المودودي يصرّح ثم يتراجع

«من المواقف التي أذكرها زيارة الشيخ أبو الأعلى المودودي القصيرة للبحرين في نهاية الستينيات، حينها اتصل بي الأخ قاسم الشيخ هاتفياً وأخبرني بأن الإمام أبو الأعلى المودودي متواجد في المطار لبعض الوقت قبل استئناف رحلته، فالتقيناه هناك، وعرفناه بأنفسنا، ونشاطنا الدعوي في البحرين، ثم روى لنا ذكرياته عن زيارته الأولى للبحرين فقال: أُسكنتُ في فندق (عبد النور) بالمنامة، وحينما تجولت في المنطقة المحيطة، اكتشفت



الإمام أبو الأعلى المودودي

بأن الحي الكائن خلف الفندق به ممارسات غير سوية، مما دعاني أن أكتب في إحدى مقالاتي: البحرين.. ذلك البلد الملعون، أما وأنّي قد عرفتكم الآن، وعرفتُ أن لكم برنامجاً وأنشطة إسلامية، فإنّي أراجع عما قلته، وأحمد وأشكر مساعيكم».

رياح التغيير تهبّ بعد النكسة

شكّل عام ١٩٦٧م نقطة تحول مهمة في التاريخ العربي المعاصر، فبهزيمة قطب العرب الأكبر (مصر) أمام الكيان الصهيوني الفاصب فيما اصطلح على تسميتها حرب الأيام الستة، والتي احتلّت فيها شبه جزيرة سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية، بالإضافة إلى باقي الأراضي الفلسطينية وأهمها القدس الشرقية، هذه الهزيمة التي قلبت الطاولة على أصحاب النظرية القومية بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر، الذي عاجلته المنية خريف ١٩٧٠م.

فبدأت إرهابات الصحوة الإسلامية تتشكل سريعاً في العالم العربي والإسلامي، وانطلق حماتها المخلصون من قادة وشباب الحركة الإسلامية برعايتها وتأسيسها تأسيساً يضمن استمراريتها، ويرشّد عنفوانها. ففي البحرين استطاعت الحركة الإسلامية من استيعاب



الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة يكرم أحد الطلبة في ختام أحد أنشطة مراكز تحفيظ القرآن الكريم بالجمعية ويظهر مشرف المراكز الأستاذ أحمد المالود بالخلف

القريب بمهام إدارة العمل الإسلامي بالجمعية، تلتها خطوة ثالثة تمثلت في إقامة أول معرض للكتاب الإسلامي في البلاد عام ١٩٧٩م، حيث تفضل صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر بافتتاحه، وجاء ترسيخاً للثقافة الإسلامية الصحيحة، والعمل وفق منهج واضح مستنير يقي مصارع الطريق وملّمات الفتن، ويثبت ثقافة المجتمع البحريني الأصيلة.

نادي الإصلاح في عام ١٩٧٠م استيعاباً يؤهلها لقيادة العمل الإسلامي، فبادرت إلى تأسيس اللجنة الاجتماعية في ذات العام، وفي خطوة أخرى غير مسبوقة تم إنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم في عام ١٩٧٥م، كأول مراكز حديثة تعنى بتدريس القرآن الكريم وعلومه تؤسس في تاريخ البحرين المعاصر، واعتبرت هذه الخطوة لبنة أولى في بناء قاعدة عريضة من الشباب يؤمل لها أن تضطلع في المستقبل



صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر مفتتحاً معرض الكتاب الإسلامي الأول الذي أقامه نادي الإصلاح (١٩٧٩م)

جامعات مرموقة عبر منح تُشرف عليها مباشرة.. تواصل تثقيف العامة عبر معارضها المتتالية للكتاب.. ترفع إيمانيات المصلين من خلال إقامة سلسلة من الدروس الأسبوعية في مساجد وجوامع البحرين الكبرى.

وأدرك القائمون على جمعية الإصلاح -حينها- الدور المنوط بجمعيتهم في ترشيد الصحوة، والأخذ بيد الشباب المتحمس لدعوته، والمتعطش للعمل لدينه ووطنه،

لقد شكل عقد الثمانينيات من القرن العشرين تمهداً لافتاً للعمل الإسلامي، ونجاحاً منقطع النظير لبرامجه وفعالياته، تواكب ذلك مع افتتاح جمعية الإصلاح لمقرها الدائم برعاية ومباركة رسمية، فكان هذا الصرح خير مكافأة لجيل التأسيس وجيل الصحوة على حد سواء. وبدأت جمعية الإصلاح تقود تياراً عريضاً في المجتمع.. تُسهم في تربية الطلاب.. تشارك في ابتعاث المتفوقين إلى



الشيخ عبدالمجيد الزنداني



الجمهور الغفير الذي ملأ ملعب ومدرجات صالة الجفير خلال إحدى المحاضرات التي نظمتها جمعية الإصلاح للشيخ عبدالمجيد الزنداني (يناير ١٩٨٨م)

وجاء التفاعل مع انتفاضة أطفال الحجارة منذ عام ١٩٨٧م شاهداً أكثر وضوحاً لذلك التألق.. وبدأت جمعية الإصلاح جمعية أهلية تقود العمل الإسلامي المحلي، وتنهض بأعباء المجتمع واحتياجاته.

وبالرغم من آثار غزو النظام العراقي للكويت صيف ١٩٩٠م، والتي ألفت بظلالها على المنطقة، وانعكست بشكل سلبي - على العمل الخيري والإسلامي في الخليج، رغم ذلك كله استمر العطاء الذي تقوده الجمعية حتى منتصف التسعينيات الذي شهد ولادة أول مؤتمراتها العامة في عام ١٩٩٦م تحت شعار (نحو ارتباط أوثق بالمجتمع)، وتوالت المؤتمرات التي هدفت إلى استشراف مستقبل العمل الإسلامي وتأطيره لما بعد عصر الصحوة.

فقامت بتربيتهم تربية تؤهلهم للنهوض مستقبلاً بأعباء المرحلة، وتصلق ميولهم لبناء الوطن بمقاييس المنهج الإسلامي الوسطي القويم، بعيداً عن حدي التطرف: الإفراط والتفريط، فانبرت لإقامة سلسلة من المحاضرات والندوات والمسرحيات والأمسيات الدورية، واستقطبت نخبة من العلماء والمشايخ والدعاة من مختلف دول العالم الإسلامي.

لقد مثلت نهاية عقد الثمانينيات فترة ذهبية لهذه الصحوة المباركة في البحرين والعديد من الدول العربية والإسلامية، إذ لا تزال محاضرات الشيخ عبدالمجيد الزنداني - التي لاقت صدًى منقطع النظير- شاهداً على تلك الصحوة التي عايشها أهل البحرين،



الشيخ عيسى بين إخوانه وأبنائه أعضاء الجمعية في إحدى المناسبات

فقد تسلمت خطابكما الأخير، وكدت أحسبه رسالة من أخوين لأخيهما، بينانه الهم، وما يلاقيناه من عنت، إلا أن انتهاء الخطاب بالاستقالة أحاله إلى خطاب رسمي كان لزاماً عليّ أن أحيله للأخ المختص للبت فيه، بالقبول أو الرفض.. إلا أنني أسمح لنفسني أن أنبه إلى نقطتين هامتين: الأولى: أنكما أيها العزيزان إذا كان عملكما تحتسيبانه لوجه الله، وإخلاصاً للدعوة - وأحسبه كذلك - فإن الاستقالة لا معنى لها، وأن أداءكما سيكون في جهة أخرى من الجمعية أو الدعوة. أما إذا هجرتما الجمعية والدعوة، فإن ذلك سيكون دليلاً واضحاً أن العمل كان للدنيا وليس للأخرة. الثانية: قال بعض الفقهاء الصالحين: رأينا صواباً يحتمل الخطأ ورأي غيرنا خطأً يحتمل

وكشأن أي مؤسسة تطوعية كبيرة فإن جمعية الإصلاح نالها ما نال مثيلاتها، من قلة في الكوادر، وتسرب لعدد غير قليل من كفاءاتها وطاقاتها ممن أثرت برامج الجمعية وساهمت في إبرازها، ولعل ابتعاد عدد من الأعضاء عن العمل الإداري والتنظيمي بالجمعية كان كثيراً ما يؤلم الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، والذي ما برح يعالج ويدأوي - بكل ما استطاع من حضور وتأثير- تلك السلبيات التي ولا بد قد تصيب أي مؤسسة تشعبت مهامها، واتسعت قاعدتها، ومن ذلك ما جاء في رسالة بعث بها إلى عضوين أثرا الاستقالة من العمل، بعد زمن من العطاء والدعوة إلى الله، يقول فيها الشيخ عيسى: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

الصواب.. وإنها لمسئولية من يحملها ويديرها
إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران إن
شاء الله.. هذا ما لزم بيانه والله يحفظكما
والسلام».

لم تكن جمعية الإصلاح تمثل في نفس الشيخ
عيسى بن محمد سوى بوتقة لتجميع القلوب
على الإيمان والأخوة والحب في الله، هذا ما
يؤكد في كل مناسبة تسنح له، وفي كل تجمع
يُدعى إليه، حيث يقول في أحد هذه التجمعات
الأخوية: «أيها الإخوة الكرام.. هناك حقيقة
عظيمة أراها تتأكد لي يوماً بعد يوم، وهي
أن عضو جمعية الإصلاح يظل عضواً حتى
لو انقطع عنا. إن صفة انتمائه للجمعية تظل

ملازمة له حتى القبر، وهذه ميزة كل من سار
في هذا الدرب، والسبب في ذلك أن علاقتنا
في الله، وفي سبيله، ففيها تذوب الفوارق
والحواجز، وتنصهر القلوب كلها في بوتقة
واحدة؛ لتحقيق أهدافاً موحدة.. أيها الأخوة:
تظل جمعية الإصلاح فاتحةً بابها لكل طارق،
ولكل مضجٍ يريد أن يسير في ركب الخير،
وسنظل أوفياء لكل من عمل معنا. فالجمعية
مكان للجميع، ومرحى لكل عامل مخلص
يريد أن يعمل لدينه ووطنه، نحن في جمعية
الإصلاح تغلب علينا الأخوة أكثر من أي اعتبار
آخر، وهو تراث زرع في قلوبنا، وتعلمناه جميعاً
ممن سبقنا على طريق الدعوة».



مجلس إدارة جمعية الإصلاح مطلع ثمانينيات القرن الماضي من اليمين: الأستاذ مبارك الخاطر - الأستاذ مبارك بن دينه
الشيخ عبدالرحمن الجودر - الأستاذ محمد جميل - الشيخ عيسى بن محمد - الأستاذ أحمد المالدود - الأستاذ إبراهيم الحسن
الأستاذ أحمد بوقحوص - الأستاذ قاسم الشيخ



تربية الأفراد.. ما يميزنا

وهو يؤمن بأن ما يميّز جمعيته في سبيل تحقيق رسالتها عن كثير من الجمعيات الموجودة على الساحة هو: «نابع من اهتمامنا بتربية شبابنا -أعضاء وعضوات- لذلك أعتقد أنها ثوابت ينبغي بل لا بد أن نصرّ عليها، ونستمر فيها، ولكن في الوقت ذاته ينبغي أن لا نغفل عن التيار العام الموجود، والذي يحوي طاقات وخبرات يمكن التعاون معها، والاستفادة منها، حتى وإن لم يكن أصحابها أعضاء منتظمين في الجمعية».

نبرة الشيخ عيسى بن محمد عندما يتكلم عن جمعية الإصلاح دائماً ما تتسم بالتفاؤل والإيجابية، فرغم الصعوبات والتحديات المتزايدة التي تواجه العمل التطوعي بشكل عام، والإسلامي بشكل خاص، فإنه يراهن -بعد التوكل على الله- على أن رسالة جمعية الإصلاح إلى المجتمع لا بد وأن تصل، وأهدافها لا شك وأن تتحقق، ويستدرك بقوله: «مشكلتنا أن طموحنا أكبر بكثير من إمكانياتنا، فلذلك نحس دائماً بالقصور».

عَقْدُ «العمل المؤسسي»:

مع بداية الألفية الثالثة دخلت جمعية الإصلاح في تحدٍّ مع الزمن لاستكمال وتطوير عملها الإداري، فعمدت إلى مأسسة لجانها، عبر إطلاق مجموعة من المشاريع التي تخدم قطاعات واسعة من المجتمع ولاسيما الشباب منها، فتهضمت بالعمل الخيري عبر لجنة الأعمال الخيرية، وحققت من خلالها معايير عالية من الجودة، مكّنها من إحراز شهادة (الآيزو) في عام ٢٠٠٦م، وعلى صعيد القطاع الطلابي أطلقت الجمعية مشاريع تُعنى بالشباب والناشئة، فكان مركز البذور الصالحة وواحات القرآن الكريم للمرحلة الابتدائية، ومركز شباب المعالي الذي يخاطب

فيه طلاب المرحلتين الإعدادية والثانوية، بالإضافة إلى منتدى الجامعيين الذي يركز على طلاب الجامعات ويهتم بهمومهم وقضاياهم، وتلا ذلك بمدة قصيرة تأسيس ناد خاص للفتيات أصبح بعد سنوات قليلة من تأسيسه يضم نخبة من العضوات الجامعيات الفاعلات في المجتمع.

يقول الشيخ عيسى: «المستقبل لا يمكن حصره في فكر اليوم، ولكن نطمح على الأقل أن يكون مستوى الأداء الذي تؤديه جمعية الإصلاح، ونوعية الكوادر الذين يخدمون في نشاطات الجمعية من القدوة والعلم والمعرفة والتجربة بحيث نستطيع أن نطمئن على أن يكونوا خير خلفٍ لخير سلف».

رؤية الجمعية:

سوف نسعى إلى تعزيز التماسك الداخلي للمؤسسة وتنمية قدراتها وأدوات التأثير والفعل لديها، لتصبح قادرة على تحقيق انتشار أوسع وانفتاح شامل وتطوير وجودها مؤثراً على الساحة المحلية لصالح الإسلام وأهوية والقيم.

رسالة الجمعية:

نحن جمعية إسلامية أهلية، تلتزم بالمنهج الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة، والقائم على الشمول والوسطية. نسعى إلى التوجه مع المجتمع، أفراداً ومؤسسات ونظماً نحو الالتزام بالإسلام كمرجعية عليا ومنهاج شامل للحياة. ونتعاون مع كافة الجهات الرسمية والأهلية على تنمية الوطن وازدهاره وتعزيز وحدته الوطنية. ونؤمن بالوحدة الخليجية، وتدفع نحوها. كما نسعى إلى تعزيز انتماء المجتمع للعالمين العربي والإسلامي. ونؤازر الشعوب العربية والإسلامية في سعيها إلى النهوض والوحدة. وسبيلنا في ذلك: الدعوة والتوعية العامة، وبناء النماذج المؤسسية المتميزة، والاستثمار الفعال للعلاقات المجتمعية في إطار التكامل والمشاركة. ونؤكد أن ما يؤهلنا لتحقيق ذلك هو اهتمامنا بالبناء الداخلي، وتربية المنتسبين تربية شاملة، وحسن توظيف طاقاتهم، لحمل رسالتنا باقتدار.





المقر الأول: نادي الشباب

المكان: مجلس الشيخ خالد بن محمد آل خليفة
(أصبح موقفاً للسيارات حالياً)
الفترة: ١٩٣٨-١٩٤٠م
العنوان: على شارع الشيخ عبدالله بن عيسى
- غربي بيت الشيخ عيسى بن علي -
مجمع ٢٠٩

المقر الثاني: نادي الشباب

المكان: غرفة في عمارة لعبدالله أحمد السيساس
(أصبحت موقفاً للسيارات حالياً)
الفترة: ١٩٤٠م (لشهور)
الإيجار: روبيتين
العنوان: ببراحة بن غتم - طريق ١٣٩-
مجمع ٩٠٢ (خلف مسجد البوكورة
حالياً).



المقر الثالث: نادي الشباب

المكان: غرفة في مقر النادي الأدبي
(مبنى تابع للحاج سلمان بن مطر)
الفترة: ١٩٤١م
الإيجار: ٤ روبيات
العنوان: جنوب شرقي عمارة بن مطر على
طريق ٣٢١١ - مجمع ١١٢ - المحرق
(مقابل محراب مسجد بن خاطر)



المقر الرابع (السوق): نادي الطلبة الخليفي
ثم نادي الإصلاح الخليفي

المكان: غرفتان علويتان وسطح بعمارة تابعة
لدائرة أموال القاصرين في سوق المحرق
الفترة: ١٩٤١-١٩٥٤ م
الإيجار: ١٥ روبية ابتداءً، ثم بلغ الإيجار بحلول
١٩٥٤ م ٤٠ روبية
العنوان: بالقرب من شارع الشيخ حمد (السوق) -
مبنى ٧٨١ - ممر ١٣٣٩ - مجمع ٢١٣



المقر الخامس: نادي الإصلاح الخليفي
ثم نادي الإصلاح

المكان: الطابق الأرضي بعمارة منيرة بنت
سلمان بن مطر
الفترة: ١٩٥٤-١٩٨٢ م
الإيجار: ١٣٣ روبية ابتداءً
العنوان: شارع الشيخ سلمان - طريق ١١٢٩ -
مجمع ٢١١



المقر السادس: جمعية الإصلاح

المكان: مبنى جمعية الإصلاح
الفترة: منذ العام ١٩٨٢ م
(افتتح رسمياً في ١٠ مايو ١٩٨٣ م)
العنوان: طريق ٧١٨ - مجمع ٢٠٧





الفصل السادس

نحن وأحداث التسعينيات



جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة رافعاً ميثاق العمل الوطني بعد الانتهاء من صياغته (فبراير ٢٠٠١م)

كان عقد التسعينيات من القرن الماضي فترة احتقان سياسي بامتياز، وقد سعت جمعية الإصلاح وتيارها العام - في حينه - إلى اقتناص الفرصة المناسبة لعرض رؤاها متى ما تهيأت البلد للتغيير، وكانت هناك إرادة حقيقية للتحوّل الدستوري، غير أن آليات تحرك بعض النخب وأسلوبها في المطالبة بالتغيير، وما تلا ذلك من تحركات وممارسات لم تحظ بالتأييد الكامل.

بمعنوان: (ثوابت المجتمع.. وتحديات النهوض والانفتاح) في نوفمبر ٢٠٠٠م.

وفي الثالث والعشرين من نوفمبر ٢٠٠٠م قام سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير

وقد استشرّف «أبو محمد» وإخوانه في جمعية الإصلاح تلك التغييرات المتسارعة للحياة السياسية بعيد تولي جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة مقاليد الحكم في البلاد ٦ مارس ١٩٩٩م، فأطلقوا مؤتمراً الثالث



يكرم الشيخ د. عبد اللطيف آل محمود في ختام مؤتمر الإصلاح الثالث (نوفمبر ٢٠٠٠م)



المستشار علي صلاح الدين

وفي هذا الصدد يقول الشيخ عيسى بن محمد: «دعيت للمشاركة في لجنة صياغة مسودة الميثاق الوطني، وساهمت في إعداده لا بصفتي الشخصية، بل بصفتي ممثلاً عن جمعية الإصلاح، بمعنى أنني لم أعمل بمفردي في إعداد مشروع الميثاق بل ساعدني في هذه المهمة أعضاء من الجمعية في لجنة موازية لتلك المشكلة لصياغة مسودة الميثاق، كما ساعدني عدد من المستشارين القانونيين».

يقول المستشار علي صلاح الدين عن تلك المرحلة التاريخية المهمة من حياة البحرين السياسية: «كنت شاهداً على ما قام به الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في ميثاق العمل الوطني، إذ أنه مع فجر مرحلة

البلاد المفدى (جلالة الملك لاحقاً) بطرح مشروع للإصلاح، تشكلت على إثره لجنة من شخصيات اعتبارية في المجتمع لإعداد ميثاق توافقي للعمل الوطني، كان من ضمن أعضائه البارزين معالي الشيخ عيسى بن محمد ورئيس جمعية الإصلاح.

وبالتوازي مع اللجنة المشكلة لصياغة ميثاق العمل الوطني عكفت قيادات جمعية الإصلاح على كتابة مسودة لمشروع إصلاحي وطني مطلع مارس ٢٠٠١م يُعيد الأمل للناس ويتجاوز مرحلة قانون أمن الدولة، ثم طُرحت هذه المسودة على عدد من الأعيان والفعاليات السياسية خلال حفل عشاء أُقيم بأحد الفنادق الكبرى بالعاصمة.



د. بهية الجشي

الإصلاحات الكبرى التي شهدتها المجتمع البحريني في العهد الزاهر لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة تم تكوين لجنة وطنية لصياغة ميثاق للعمل الوطني ليكون هادياً ومرشداً للمجتمع البحريني مع الألفية الثالثة، فكان ولا بد أن يكون الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في مقدمة هذه اللجنة؛ لما أفاض الله عليه به من علم وفضل خبرة وتفان في حب الوطن. فمنذ الاجتماع الأول للجنة الوطنية لعمل ميثاق العمل الوطني شَمَّر الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة عن ساعد الجد، وقام بإعداد مسودة مختصرة لميثاق العمل الوطني نابع من تاريخ وحضارة وخصوصية دولة البحرين، وكان هذا المختصر مكوّن من ثماني صفحات، وقام بطرحها على لجنة صياغة الميثاق حيث تحمّس جُل أعضاء اللجنة لهذا المختصر، وقد كان من أبرز ما

ابتكره المحور الاجتماعي - حيث لم يكن له ذكر بالمشروع الاسترشادي الذي وُزِعَ على أعضاء اللجنة - ولقد تحمس لهذا المحور الكثير من أعضاء اللجنة وكان على رأسهم الدكتورة بهية الجشي، وقد طلبوا من سعادته تطوير هذا المختصر وصياغة ميثاق متكامل». ويواصل الأستاذ علي صلاح الدين

سنوات الاحتقان السياسي وما تلاها من إصلاحات سياسية:

- ١٥ نوفمبر ١٩٩٢م: توقيع حوالي ٣٠٠ شخصية معارضة بحرينية على عريضة تطالب بإعادة الحياة الديمقراطية من جديد عبر مجلس وطني منتخب.
- أكتوبر ١٩٩٤م: رموز المعارضة تطرح عريضة موسعة يوقع عليها ٢٥ ألف مواطن تطالب بتفعيل الدستور.



حديثه: «وفي هذه المرحلة من مساهمة الشيخ عيسى في صياغة الميثاق تعلّمت من معاليه كيف يكون العمل المؤسسي، إذ قام من فوره بالاعتكاف التام لهذا العمل واطلع على الكثير من المراجع المتخصصة في كل محور من المحاور، وصاغ المواد التفصيلية له، وقد بلغ خمساً وثلاثين صفحة، وبعد أن راجع ودقق الصياغة القانونية الفنية قام بتوزيع نسخ منها على كفاءات بحرينية في كافة المجالات الاقتصادية والتعليمية والسياسية والاجتماعية حيث تدارسه كل هؤلاء، وقام بدعوتهم مجتمعين لمناقشة ملاحظاتهم التي توصلوا إليها على مدار اجتماعات متتالية شهدتها غرفة الاجتماعات بمكتب معاليه وبعد أن اطمأن على أن كل مختص قد راجعه وأبدى ملاحظاته كاملة قام بتنقيح مشروع الميثاق والصياغة النهائية وقدمه كوثيقة من وثائق لجنة صياغة الميثاق».

• ٢٥ نوفمبر ١٩٩٤م: مجموعة تحاول اعتراض سباق ماراثوني أثناء مرورها إلى جانب قرية القدم وتصبح الشرارة التي أطلقت الأحداث التي تلتها بعد ذلك ولسنوات.

• ١٦ ديسمبر ١٩٩٤م: البحرين تشهد مظاهرات وصدامات بين المعارضة الشيعية وقوات مكافحة الشغب.

• ٣ يونيو ١٩٩٦م: الكشف عن مخطط لقلب نظام الحكم في البحرين، والحكومة تعرض اعترافات متلفزة تتحدث عن تفاصيل المخطط.

في معترك السياسة من جديد

في الرابع عشر من فبراير ٢٠٠١م، صوّت شعب البحرين مؤيداً لمبادئ ميثاق العمل الوطني ونسبة ٩٨,٤٪، وبدأ أن عهداً جديداً لتاريخ البحرين السياسي قد بدأ بالفعل، وبدأ معه فصل جديد من فصول الجهاد السياسي للشيخ عيسى بن محمد بعد أكثر من ٢٠ عاماً عن تطبيقه للعمل الرسمي الحكومي.

خلال هذه الفترة تم طرح مسودة المشروع الوطني لجمعية الإصلاح، يقول «أبو محمد»: «شكّلنا في الجمعية لجنة صياغة مسودة المشروع الوطني، وكان هدفها تقديم رؤية وطنية وإسلامية متماسكة للمجتمع البحريني، وأجرينا في سبيل ذلك اتصالات حثيثة بعدد من الإخوة ممن ينتمون إلى أطياف مختلفة في المجتمع، غير أن التجاوب والتعاون معنا

كان ضعيفاً، لكن هذا لم يوهن من عزيمتنا، بل عملنا بمفردنا وأخرجنا مسودة مشروع وطني إسلامي، فكّنّا بذلك الهيئة الوحيدة في البحرين التي قدّمت رؤية متكاملة لمشروع إصلاح إسلامي ووطني».

وفي خطوة تاريخية أخرى قادها الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة استضافت جمعية الإصلاح بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٠١م بالمحرق القيادي المعارض، والرمز الشيعي البارز الراحل الشيخ عبدالأمير الجمري وعدداً من أقطاب الفكر السياسي في البلاد وسط حشد جماهيري غير مسبوق اكتظت به قاعة الشيخ عبدالرحمن الجودر والردّهات الخارجية للجمعية، وقد اعتبر الشيخ عيسى بن محمد هذه الخطوة «بمثابة الأساس للتعاون بين الجميع، واحتفالاً حقيقياً بتفعيل الميثاق».

سنوات الاحتقان السياسي وما تلاها من إصلاحات سياسية: «تابع»

٦٠ مارس ١٩٩٩م: وفاة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد عن ٦٦ سنة.

٢٣ نوفمبر ٢٠٠٠م: صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى يطرح مشروعاً للإصلاح، ويشكل لجنة من ٤٦ شخصية لإعداد ميثاق العمل الوطني.

١٤ فبراير ٢٠٠١م: التصويت العام المباشر على ميثاق العمل الوطني.



الزيارة التاريخية للشيخ عبدالأمير الجمري لجمعية الإصلاح (٢٤ مارس ٢٠٠١م)

إحداهما عن الأخرى، ناهيك عن أن تتفي إحداهما الأخرى، وأن ما يجمع بين الجهتين من علائق حميمة، وما يربط بينهما من صلات متينة، وأن الوعي المترسخ بينهما منذ دهور

وفي اللقاء ذاته أضاف الدكتور محمد السيد عضو مجلس إدارة جمعية الإصلاح في كلمة بهذه المناسبة بأن: «السنة والشيعية في هذه البلاد وجهان لعملة واحدة لا يمكن أبداً أن تستغني

١٦ فبراير ٢٠٠١م: التصديق على النتيجة النهائية للاستفتاء الشعبي على الميثاق الذي وافق عليه المصوتون بنسبة ٩٨,٤٪.

١٨ فبراير ٢٠٠١م: إلغاء قانون أمن الدولة ومحكمة أمن الدولة.

١٩ فبراير ٢٠٠١م: المعارضة تعلن تأييدها للإصلاحات التي قادها أمير البلاد المفدى.

١٤ فبراير ٢٠٠٢م: إصدار دستور جديد يعلن تحوّل النظام إلى ملكية دستورية، ويتغير بموجب مسمى دولة البحرين إلى مملكة البحرين، وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة.

الإصلاح من أفكار إسلامية ووطنية سيكون له الأثر في إثراء الحوار، وتنشيط الساحة السياسية.. وسأكون شاكرًا لو حصلت على ما تطرّحه الجمعية».

إيقاظ الجناح الآخر من المعادلة

خلال عام ٢٠٠١م كان للشيخ عيسى بن محمد حركة منهجية دؤوبة على كافة المستويات، فبعد الانفتاح على أقطاب الطائفة الشيعية كان لابد من الانفتاح على مكونات الطيف السني الموجودة على الساحة، فقد استشعر الغفلة السياسية والفتور على الجانب السني فسعى إلى استنهاض همته، وتوعيته بأهمية هذه المرحلة وضرورة الإمام بأسياسيات التحرك السياسي، فلم يأل جهداً في زيارة المجالس الأسبوعية، وغشيان المحاضرات والندوات الكبرى التي كانت تعقد. لم يجد مناسبة جديرة بالحضور إلا وكان السباق إليها، وخلال هذه التحركات أدرك الشيخ عيسى بن محمد صعوبة توحيد الشارع السني بعد سنين من البيات الطوعي عن السياسة. لم يكن لتحركاته أي نفس طائفي البتة، فالجميع يشهد له بالإنصاف والانفتاح على الآخر، ولكن كان دائماً يصرّح: «لهذا البلد جناحان.. ولن يستقيم الجناح الشيعي إلا بوجود جناح سني يساعده على التحليق».

طويلة أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه عصيّ على الاختراق، منيع على التمزّق والانهيال.. موضحاً: «أن الفشل دائمٌ لكل محاولات الذين يصطادون في الماء العكر من الطائفتين».

كما ألقى الشيخ عبدالأمير الجمري كلمة أشاد فيها بهذا اللقاء وقال: «إنني أفتح قلبي لكم، ونحن نمرّ بهذا المنعطف التاريخي لبلدنا، إذ نحن أحوج ما نكون إلى التمازج والتلاحم وردم الهوة الوهمية التي تفصل بين الأخ وأخيه، مؤكداً الحاجة إلى التحرك على طريق تأكيد الوحدة التي تعلو فوق أي فرقة أو اختلاف».

وبدوره عبّر المعارض في الخارج -آنذاك- د. منصور الجمري في رسالة خطية للشيخ عيسى بن محمد عن تقديره وامتنانه لهذه الخطوة السياسية الجريئة التي خطتها جمعية الإصلاح، بقوله: «لقد كانت لخطواتك لتوحيد الصفوف الوطنية بدعوة الشيخ عبدالأمير الجمري للتحدث في جمعية الإصلاح الرائدة الأثر الكبير في نفوس المواطنين».

ويضيف: «وبوَدِّي لو أحصل على ما تكتبونه كمشروع للعمل السياسي القائم على الأسس الدستورية، والمواد التي وردت في الميثاق الوطني، ونحن هنا بصدد مراجعة برامجنا وإعادة صياغة الأطروحات بما ينسجم مع الإجماع العام، ولهذا فإن ما تقوده جمعية

«لن يستقيم الجناح الشيعي إلا بوجود جناح سنّي يساعده على التحليق»



نشاط سياسي دؤوب في زيارة المجالس والمنتديات لمختلف أطياف المجتمع البحريني

ومحكاً أساسياً لتفعيل المواطنة، إذ أن العمل العام حق لكل مواطن، وهو في الوقت ذاته واجب على كل قادر مخلص، وثمة أمر غاية في الأهمية وهو أن الحياة النيابية بدولة البحرين مازالت بكرة لم تشوّه بعد، والذي سوف يحدد ملامحها الأساسية هم المواطنون، وهم حقيقةً أمام خيارين:

الأول: أن ينشط ذوو الفكرة الأصلية النقية القوية، ويتقدموا الصفوف، ويتقدموا الجموع

إحدى الوسائل التي اختطّها الشيخ عيسى بن محمد لنفسه إبان الإصلاحات السياسية التواصل مع المجتمع عبر سلسلة مقالات دورية من خلال الصحافة المحلية تهدف لتثقيف المواطن بحقوقه وواجباته، وتذكّره بأولويات العمل، وبآليات التحرك من خلال الدستور والميثاق الجديد.. من ذلك ما جاء في مقالة (المواطنة في ضوء الدستور) يقول فيها: «وتأتي الحياة النيابية لتمثل معلماً بارزاً،



«ليس المهم وجود القانون العادل، بل الأهم هو القاضي العادل، فقد يكون القانون عادلاً ويحوّله قاضي الجور إلى ظلم وفساد»

إلى الخير والعدل والسلام، وذلك لن يكون إلا بالبذل الدائم المتواصل من هؤلاء ومن اللحظة الراهنة؛ ليكون لهم وجود فعلي في صفوف المواطنين، وهذا يبدأ من هذه اللحظة حتى يكون لهم وجود حقيقي وفعال عند إجراء الانتخابات الأولى بعد ثلاث سنوات.

الثاني: أن يتوارى هؤلاء الصالحون الأقوياء أو يندثروا بزهد -ليس هذا مجاله- وينسوا واجبهم، وهنا سوف تمتلئ الساحة بالنفيعين والطفيليين ومحترفي الانتخابات لمنافع ومكاسب شخصية، ويخسر المواطنون والوطن كل شيء. وعلى ذلك فإنني أؤكد أهمية التصدي لهذا العمل من أجل صالح الجميع وصالح أبناء الوطن».

ويضيف الشيخ عيسى في ذات المقال: «في مجال القانون لدينا مقولة أساسية وهي أنه ليس المهم وجود القانون العادل، بل الأهم هو القاضي العادل، فقد يكون القانون عادلاً ويحوّله قاضي الجور إلى ظلم وفساد، وقد يكون القانون جائراً ويحوّله القاضي العادل إلى عدل وصلاح. ليس المهم أن تكون نصوص الميثاق كأرقى ما تكون على المستوى العالمي، بل المهم والمحك الجوهري هو تفعيلكم لها، ومدّها من قوتكم وأرواحكم وجهودكم، حتى تنمو وتثمر وتزدهر، وهذا ليس حق الجميع فحسب بل هو واجبهم».

هجمة صحفية..

هدفها تحطيم الإرادة..

تحركات رئيس جمعية الإصلاح خلال عام ٢٠٠١م (عام الإصلاحات السياسية) لم تعترضها سوى عدة مقالات جارحة طالته، وتناولت على تاريخه الوطني الناصع، كان مصدرها أحد الصحفيين المحسوبين على الاتجاه العلماني، والمعارضين لتوجهات الشيخ عيسى بن محمد الإسلامية والوطنية. يقول في إحدى مقالاته: «مَن هذا الذي يريد أن يوصلنا إلى هذا الأمر: التخندق والتمترس وراء متاريس طائفية: جمعية شيعية مذهبية ضد جمعية مذهبية سنية، وجمعية سياسية شيعية مقابلها جمعية سياسية سنية.. أهذا هو مشروع البحرين الإصلاحية؟».

ثم طفق ذات الصحفي في مقال آخر بطرح نفس الأسئلة، وبشكل مباشر، متهجماً على

توجهات رئيس جمعية الإصلاح وتحركاته على الساحة الوطنية، يقول فيها: «من ذا الذي أعطى توكيلاً على بياض للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة رئيس جمعية الإصلاح لكي يتكلم باسم السُّنة؟! من أعطاه هذا التوكيل على بياض ليتكلم باسم نصف شعب البحرين؟! أهكذا بجرّة لسان، وبجرأة وبشطط يعلن الشيخ الفاضل بأنه (لا بد من أن يدخل التيار الإسلامي السُّني المعترك السياسي، ولا يكون كمّاً مهملاً، وعالةً على غيره..) من أعلن بأن السُّنة ناطقين باسمهم؟ ومَن أخبره بأن السُّنة سياسة وجوازاً وهويّة وجغرافيا ووطناً؟».

بالطبع كان لهذه الكتابات وهذه الاتهامات غير المستندة إلى أدلة أثر مؤلم في نفس الشيخ عيسى بن محمد ومحبيه وكل منصف عرفه عن قرب، لم يَغضب من هذا التهجم

«الوحدة الوطنية في البحرين يجب أن تكون للجميع، وأن البحرين يجب ألا تكون طائفية أو قُتُوية.. كما لا نريد للبحرين أن تتحزب لأن بعض الدول لا يمكن أن تمارس السياسة إلا من خلال الحزب، ونحن في البحرين لا نريد ذلك».

عيسى بن محمد

صحيفة «الأيام» البحرينية العدد المنشور بتاريخ ٢٥ أبريل ٢٠٠١م

حزبي منفرد، أو بنظرة أستاذية متعالية، وإنما يتم ذلك بالتعاون والمشاركة وتكامل الأدوار مع المؤسسات الرسمية والأهلية كافة، بل ومع مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية». ثم يشير في ذات المقال: «ولا شك عندي أنكم بحكم انفتاحكم الفكري، وخبراتكم الثقافية المتعددة تؤمنون بأن من حق جميع التيارات الفكرية أن تكون لنفسها المنبر الذي يمكن لها من خلاله تحقيق الأهداف العامة للمجتمع من خلال ارتباطها ومعايشتها لجميع المواطنين، ومن ناحية أخرى فإنني أعتقد أن منهجكم الفكري المتميز لا ينكر على الصوت الإسلامي الملتزم بالشمول والوسطية أن يأخذ مكانه الطبيعي، وحقه الأصيل في المشاركة في العمل الوطني، وتقديم الحلول والتصورات لمشاكل المجتمع برؤية مستمدة من التراث الإسلامي النقي، ضمن باقي الرؤى التي أخذت أو مازالت تأخذ مكانها على الساحة الوطنية.

على أنني أود أن أوضح في هذا المجال أننا لا نسعى لاحتكار العمل الإسلامي في مجال العمل العام، بل نؤمن كل الإيمان بتعددية الرؤى الإسلامية، وبأحقية كل مدرسة فكرية

«لا نسعى لاحتكار العمل الإسلامي
بل نؤمن كل الإيمان بتعددية الرؤى
الإسلامية التي تتحاور من خلاله مع
أطراف المجتمع»

الشخصي والتجني غير المبرر على تاريخه بقدر ما آلمه سيل المغالطات التي ساقها هذا الكاتب بقلمه غير السديد. وقد كتب الشيخ عيسى رداً مهذباً على الكاتب في ذات الصحيفة التي نشرت مقالاته، يقول فيه: «أود أن أوضح وأؤكد لكم أنني وجميع الإخوة الذين تقدموا لوزارة العمل والشئون الاجتماعية بطلب تأسيس المنبر الوطني الإسلامي لا ننبذ فقط الطائفية كأسلوب في العمل السياسي لكننا بالإضافة إلى ذلك نرفض كل أشكال وألوان العلاقات الاجتماعية المتخلفة سواء منها العصبية العائلية أو القبلية أو الإقليمية، فتلك كلها أنماط من السلوك تهدد وحدة وتماسك المجتمع، وسوف تؤثر تأثيراً سلبياً وسيئاً على المشروع الإصلاحي العظيم الذي يقوده حضرة صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أمير البلاد المفدى».

ويواصل في رده: «ومن هنا كان حرصنا في استمارة عضوية الهيئة التأسيسية للمنبر الوطني الإسلامي المرفقة على أن نؤكد أن منبرنا سيكون منفتحاً بعيداً عن الحزبية المنغلقة، والطائفية الضيقة، يؤمن بالحوار المستمر مع الآخر، ويفتح عضويته لكل من يؤمن بمشروعه الإسلامي الواسع العريض لنهضة المجتمع البحريني، وفي موضع آخر أوضحنا أن أهدافنا لا يمكن أن تتحقق بجهد

هذا الرد لم يمنع أقلاماً أخرى من أن يسيل مدادها دفاعاً عن هذا الرجل الوجدوي بامتياز، ولعل أقوى الردود في تلك الفترة جاءت بقلم الكاتب البحريني حافظ الشيخ صالح كتبها على صفحات صحيفة (الشروق) القطرية، وعَنونها بـ (الهجمة على الشيخ عيسى بن محمد) يقول في هذا المقال: «قبل أن يكتب أخونا العزيز وزميلنا في إحدى الصحف مقالته غير السعيدة، وغير السديدة، عن رئيس جمعية الإصلاح البحرينية، الرجل الكبير الفذ، نادرة زمانه ودرة مكانه، الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله بن عيسى بن علي آل خليفة، حفظه الله تعالى، كان في مقدوره رفع السماعه ومهاذفة الشيخ عيسى ليسمع منه تفاسيره لعبارة قيل إنها وردت على لسانه، ولكن أيضاً لكي يجتنب التخليط الذي وقع فيه عندما قال: إن الشيخ عيسى كان طالباً في القاهرة في الأربعينيات، وأنه هاجر إلى صحراء سيناء. فها هنا حصل التباس عنده بين الشيخ عيسى وبين شقيقه الأكبر الشيخ خالد، رحمه الله تعالى، فهذا هو الذي كان في الأربعينيات طالباً في القاهرة، وتأثر بأفكار الشيخ المصري أحمد شويهان صاحب كتاب (التصوف في الإسلام). ولكن بينما صاحب الكتاب المصري، رحمه الله تعالى هو الذي بالفعل هاجر إلى سيناء قليلاً من الوقت، على عقيدته بأن الإسلام يحتاج إلى بيئة بريّة



حافظ الشيخ صالح

مادامت تظال بفكرها العمل السياسي العام في إنشاء منبرها المستقل الذي تتحاور من خلاله مع أطراف كافة في المجتمع».

الانزعاج ، يتساءل في حرقه: أهكذا يُكتب عن الشيخ عيسى بن محمد، أشجع الشجعان، القاضي من قبل، والوزير من بعد، ذي المناقب والأخلاق، الذي انتصر لقضايانا العمالية في دهور التواطؤ عليها، ودهور الخوف، والذي أفضاله على الحركة العمالية والنقابية ينتهي الزمان وهي باقية لا نهاية لها؟

طبعاً لستُ أودُّ هاهنا الردَّ على أخينا العزيز وزميلنا الصحفي، فهو ما دام وقع في التخليط هكذا عن سنَّ الشيخ عيسى، وعن نشأته الفكرية الإسلامية، وعن (هجرته) المزعومة إلى صحراء سيناء، وعن إقامته في القاهرة، فإنه إذن لأجدرُّ بأن يواصل في نفس واحد التخليطات إلى نهايات المقال».

وينتهي الأستاذ حافظ مقاله بجزم وتأكيد بأن: «هنالك الآن هجمة على الشيخ عيسى شخصياً، قد تصاعدت من سنة، من صوب بطانات ومراكز قوة معلومة، لا ترقُّب في أخيار الناس إلا ولا ذمة، ولا ترعى عهداً ولا ميثاقاً، وإنَّ أخانا الزميل لبراء من هذه الهجمة، ولكنه من حيث لا يدري دخل في سياقها - وساعد سهواً في نشر أتربتها، إلا أنَّ الشيخ عيسى ليس هو الذي تزلزله الهجمات فهو تلميذ (بو علي.. الأفندي المصري راعي الطربوش الحمر!) الإمام الشهيد حسن البنا.

طازجة، لا مدنية ولا ريفية، لكي تتجدد من تلقاء نفسها روحه المعاصرة، ويتحقق انبعاثه، فإن الشيخ خالد إنما هاجر إلى ديار بني خالد، هنا في شرق الجزيرة العربية، وعاش معهم زمناً وجيزاً، وتزوَّج منهم. وهذه قصة تستحق الرواية والتدوين، فلقد خرج معه ثلاثة نفر أيضاً من أهالي البحرين، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى البحرين لأنهم لم يجدوا من قبيلة تؤويهم ويعيشون بينها كما كانت حال الشيخ خالد مع الخوالد.

أما الشيخ عيسى بن محمد -والحديث لا يزال للكاتب حافظ الشيخ- فقد كان في الأربعينيات في البحرين، طفلاً أو صبيّاً صغيراً، وهو إنما من بعد ذلك -في الخمسينيات- التحق بالمرحلة الثانوية في القاهرة، وأتمها، وفي هذه الأثناء انتسب إلى (الإخوان المسلمين) قصراً وحصراً، ولم يتأثر بأي فكر إسلامي غير فكرهم، ثم في النصف الثاني من الخمسينيات صار طالباً في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، إلى أن تخرج فيها وعاد إلى البحرين.

أمس الأول اتصل بي أخي الأستاذ عبد الله مطيوع (وهو من قيادات العمل النقابي في البحرين، وكان في السبعينيات والثمانينيات قد لبث في السجن زهاء تسع سنوات من غير تهمة ولا محاكمة)، اتصل وهو شديد



غسان الشهابي



عبدالله مطويح

لكن كان الأخرى به أن يتحرى الأشياء من صاحب الشأن، فيسأل الشيخ عيسى نفسه عن تفسيره أو تأويله لما نقل عنه من تعبير، لا أن ينبري هكذا من عنده للكتابة عن الشيخ بهذا الأسلوب غير السعيد وغير السديد».

منبر سياسي لـ «إخوان البحرين»

وعلى العموم، فضّل الشيخ عيسى بن محمد الابتعاد عن الساحة لبعض الوقت، والاكتفاء بمتابعة الأحداث من خارج البلد، فطالت أسفاره، وانقطع عن مريديه، وابتعد عن الأضواء التي كانت تحيط به من كل صوب، وبدأت الأوساط السياسية تتساءل عن سر هذا الابتعاد، وعن سبب هذه (الغيبه) الاختيارية!

وهذا ما دعا الصحفي في جريدة (الوسط) غسان الشهابي إلى أن يتساءل في عنوان عريض: «نشط في تقريب وجهات النظر، والتقى الشيخ الجمري.. واعتكف.. العيد ينتظر عودة الشيخ عيسى» ثم يقول في ثانيا مقالته: «غيبه الشيخ عيسى بن محمد لا تزال مقلقة، لا أحد يعلم - حقيقةً - كنهها، وهو الذي كان يُتوقع وجوده في الأيام العصيبة التي تراوحت فيها البحرين بين مشارك ومقاطع، وبين داخل وخارج من اللعبة السياسية».

حمل شهر مارس من عام ٢٠٠٢م الولادة الرسمية لجمعية المنبر الوطني الإسلامي، أو ما اصطلح على تسميته بين هلالين (الذراع السياسية لإخوان البحرين)، وقد خرج الشيخ عيسى إلى الصحافة قبل تأسيس هذه الجمعية السياسية بأنه لن يستقيل من رئاسة جمعية الإصلاح (الخيرية) لصالح العمل السياسي في المنبر الوطني الإسلامي والذي يُعد هو أحد أبرز مؤسسيه وداعميه، ولعل في هذا التصريح -كما رأى بعض المراقبين- إشارات تطمينية للأطراف التي ارتأت في حركة الشيخ عيسى سياسياً عامل إزعاج ومشاغبة، فأراد أن يبعث برسالة غير مباشرة يُشير فيها إلى ابتعاده عن واجهة الأحداث السياسية محلياً، وهذا ما تؤكدته إحدى الرسائل الشخصية التي بعث بها إلى أحد محبيه حينما قال له: «لا أسأل العافية لي، ولكن ما في عنقي من مسئولية تجبرني أن أخفف الضغط، ونسأل الله العون».

المحيطون والقريبون من الشيخ عيسى بن محمد لا يزدون عن أنهم يقولون إنه قد ذهب صيفاً إلى فرنسا ليتلقى العلاج، ولكنه بعد ذلك غادر فرنسا إلى دولة عربية يرجحون أنها لبنان، ولكن الاتصالات شبه منقطعة، وأسباب هذا (الاعتكاف السياسي) لا تزال غير واضحة».

قبل أن يُلَخَّص الشهابي في ذات المقال الخطوات التي قام بها الشيخ عيسى بن محمد لإنجاح المشروع الإصلاحي هو وإخوانه في جمعية الإصلاح بقوله: «ومع مطلع عام ٢٠٠١م حيث بدأت تبشير حركة إصلاحية بقيادة عظمة الملك، وبالتالي وجد عيسى بن محمد، السياسي المخضرم، أنه قد آن الأوان أن تخرج هذه الجمعية التي تتبع منهج الإخوان المسلمين من سنايك الدور الدعوي الخيري؛ لتتفتح على دور أكثر فاعلية في المجتمع السياسي والمحلي، وهذا الأمر قد حدث بوادره في ديسمبر/كانون الأول من عام ٢٠٠١م، إذ انعقد المؤتمر الثالث لجمعية الإصلاح، وتمت فيه مناقشة أولية للدور الوطني من خارج الشكل الدعوي الخيري الذي من الممكن أن تسهم فيه الجمعية بكوادرها في مسيرة الوطن».

ربما كان الشيخ عيسى آنذاك يستلهم من روح (الميثاق الوطني) آفاق المستقبل الذي

ينتظر البحرين، إذ كان أحد أعضاء اللجنة التي صاغت مبادئ الميثاق، فاستشعر بأن هناك تغييراً جوهرياً ستقدم عليه البحرين في السنوات المقبلة، وهذا ما شجّع على أن تبذل جمعية الإصلاح جهداً -لم تعتد عليه قبلاً ربما- في صوغ مشروع برنامج سياسي، شاءت أن تقدمه إلى القيادة السياسية للبلاد كنوع من الإسهام والرؤية لعدد من القضايا الوطنية، كحقوق المرأة، والشأن الاقتصادي، والثقافي، والبيئي، والتربوي، أخذاً بالتناصح ما بين القادة والشعب.

وفي واحدة من التفاعلات عيسى بن محمد، دعا إلى مقر جمعية الإصلاح الرمز الديني والوطني الشيخ عبدالأمير الجمري، وربما طغت احتفالية الناس الذين تدفقوا ليشهدوا هذا اللقاء -الذي أطلق عليه (اللقاء التاريخي)- على المشروع التنسيقي بين الطرفين، وكان ذلك في الرابع والعشرين من شهر مارس/آذار ٢٠٠١م، أي بعدما استقر التصويت على الميثاق، وعلم الناس ما هم مقدمون عليه، أو تلمسوا طريقهم للمشاركة السياسية المستقبلية».

ويضيف الشهابي: «لم يكن الشيخ الجمري ولا الشيخ عيسى يمثلان طائفتيهما، ولم يكونا -كذلك- مكلفين من قبل أحد، ولكن الرغبة في تذويب عصر جليدي مصطنع،



الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في بني جمرة (أبريل ٢٠٠١م)

المشارب، بعضهم أتت بهم الحافلات الكبيرة لحضور هذا اللقاء. ولم يكتف الرجل بهذا اللقاء حتى لا يصبح اللقاء (يتيمة الدهر)، وينطوي كما انطوى غيره من اللقاءات وسط الأحداث المتلاحقة، والتي كما لا تزال طرية في أذهان من عاش السنتين الماضيتين هنا، كانت لا تترك لأحد أن يختار ما سيفعل في ليله أو نهاره لشدة الحركة السياسية، وما هبّ على البلاد من رياح التغيير فزاد من تحركاته -على ما كان يقاسيه من ألم في المفاصل- ليقوم في ١٥ من أبريل/نيسان من ذلك العام -أي بعد حوالي ٢٢ يوماً من زيارة الرموز الدينية الشيعية إلى جمعية الإصلاح-

تراكمت على جنباته الثلوج، أو كما عبّر عنه الشيخ الجمري في هذا اللقاء بقوله: إننا الآن في مثل هذا المنعطف التاريخي الذي تمر به بلادنا، أحوج للتلاحم والحوار وردم الهوة الوهمية التي تفصل الأخ عن أخيه، مشيراً إلى أن التاريخ الإسلامي يحمل الكثير من الإضاءات المشرقة في مجال الوحدة بين الطائفتين اللتين تتلمذ علماؤهما على أيدي بعضهما. كان هذا اللقاء جامعاً لم يكتف فيه عيسى بن محمد بالجمع بين الفريقين من الطائفتين، بل زاد عليهما جملة من الليبراليين والمستقلين، فاكتظت قاعة وباحة الجمعية بحشد غفير من الناس من مختلف



من الاحترام والتأثير ما لا يمكن التفاوض عنه، وهو الشيخ الجمري، فكان اللقاء الثاني السريع قد أوشك أن يندرج في سياق الاجتماعات الاعتيادية، إذ كرت حبات اللقاءات المشتركة من بعدها، والتي يكون فيها عيسى بن محمد طرفاً أو داعياً.. ضيفاً أو مستضيفاً، إذ نظمت جمعية الإصلاح ندوة (أولويات العمل الوطني في المرحلة المقبلة) في ٢٤ من الشهر نفسه، شاركت فيها الأطياف السياسية بعدما اتضحت معالمها، وسرت الأقوال حول تشكلها، فكان

بزيارة إلى منزل الشيخ عبدالأمير الجمري برفقة وفد من نشطاء الجمعية؛ لتعزيز ما تم الاتفاق عليه من المضي قدماً في صوغ مشروع إسلامي شامل تتحرك في ضوئه القوى السياسية الإسلامية في البحرين بشكل واضح ومتسق مع ما تدعو إليه نظرياً. الشيخ عيسى الذي عاصر البرلمان في ذلك الوقت بصفته وكيلاً ثم وزيراً العدل وعضواً في محكمة الاستئناف العليا، ربما وجد أن خير من يفهم خطابه رجل في ذات عمره تقريباً، وصاحب تجربة برلمانية سابقة، وله

عيسى بن محمد مشاركاً أساسياً فيها، إلى جانب كل من عبدالرحمن النعيمي، الشيخ علي سلمان، الشيخ عبداللطيف آل محمود، الدكتور عبداللطيف الشيخ، وشهدت أروقة الجمعية في تلك الليلة حشداً لم يكن أقل من حشد (اللقاء التاريخي).

ارتفعت - تبعاً لهذه المبادرات - الدعوات التي ترمي الكرة في ملعب (الوفاق) -تحديداً- للقيام بخطوة في المقابل لتعزيز هذا التوجه، غير أن تتالي الوقائع كان أصعب من أن يتم من خلاله الالتفات إلى شأن كهذا، خصوصاً مع تجلي الانتخابات البلدية التي جعلت الدعوات الأولية تتجمد في انتظار ما سيأتي، فبادر الشيخ عيسى بن محمد من جديد لدفع التواصل إلى حد جديد، فدعا إلى لقاء في منزله ضم رموز التيار الشيعي، وعدداً من القيادات السياسية والوجوه الوطنية، فحضره -من جملة من حضر- الشيخ عيسى قاسم، والشيخ الجمري، والشيخ علي سلمان، وعبدالوهاب حسين، ومنصور الجمري - الذي كان قد عاد لتوه من منفاه - وجملة من الفاعلين على الساحة السياسية المحلية. ولعل من أهم ما قام الرجل بتسجيله في أحد المنتديات التي شارك فيها في ديسمبر من العام الماضي، أهمية احترام الدستور، وتقديس الحياة الديمقراطية من

قوانين انتخاب، ولجان انتخاب، ولوائح، لضمان انتخابات حرة نزيهة، وكذلك أهمية تساوي جميع الأطياف السياسية أمام وسائل الإعلام في الحملات الانتخابية، وضمان العدل والمساواة في المساحة المقررة لكل منها بلا زيادة أو نقصان، والتمسك بمبدأ فصل السلطات الثلاث، واستكمال بناء الأجهزة القضائية المستقلة، وعلى رأسها المحكمة الدستورية والقضاء الإداري.

ويختتم الشهابي سطور مقاله بالقول: «لقد شكّل الوجود المكثف للشيخ عيسى بن محمد في الكثير من المجالس والمنتديات التي زارها وشارك فيها توازناً مطلوباً في المرحلة الماضية، وربما كان افتقار أثره في المرحلة القريبة التي انقضت، دليلاً على حيوية الرجل ونضج رؤاه، فلا تزال قضية (الاعتكاف السياسي) غير مبررة لمن يرى الموضوع من خارجه، مع تحفظ القرييين منه عن البوح بالأسباب المباشرة التي جعلته بعيداً عن (المنبر الإسلامي) في الوقت الذي كان فيه يختبر (المنبر) -لأول مرة- مقدار ما يملكه من تأثير على الشارع البحريني. إذا كانت غيبة الشيخ الجمري معلومة الأسباب، مرهونة بالنتائج الطبية، فغيبة الشيخ عيسى بن محمد عن الشارع البحريني تفتح الباب على أكثر من تفسير»^(١).

(١) صحيفة «الوسط» البحرينية - العدد ٨٨ - الثلاثاء ٣ ديسمبر ٢٠٠٢م.



فهمي هويدي



محمد مهدي عاكف



الشيخ فيصل مولوي

(جبل عامل)، وهي مقر للطائفة الشيعية، وتبين لي أن أحد حكامها قدم إليها من نجد، وينتمي إلى قبيلة (عنزة) نفس القبيلة التي خرجت منها عائلة (آل خليفة) التي أنتمي إليها. ذهب هذا الرجل إلى لبنان، وسمى نفسه بـ(الوالي)، وسميت عائلته بذات اللقب. واعتنقت المذهب الجعفري، وكانت مدة حكمه من أطول فترات حكم منطقة جبل عامل. الشاهد الذي أريد أن أرمي إليه هو أن الحياة في لبنان تشجع المرء على القراءة. يستوقفني أحياناً ديوان من الشعر فأقرؤه. أما خلال فترة الحرب الأهلية اللبنانية والتي كانت فيها لبنان مسرحاً للقتال بين طوائفه، فقد اتخذت لي بيتاً جنوب باريس بدءاً من عام ١٩٨٤م على تلة جبلية، حيث الهواء العليل، بعيداً عن ضجة

خُلُوات السنوات الأخيرة

يقول عيسى بن محمد: «يسألني من حولي عن كثرة أسفاري، وطول مكثي في الخارج فأجيبهم: هذه أحكام السن التي تتطلب الراحة والاستجمام وتقليل النشاط. أحرص أثناء السفر على القراءة، وخصوصاً القراءات الصحفية، والمقالات الخفيفة، إذ ما عادت القراءة العنيفة تجدي. أقرأ للدكتور محمد سليم العوا، والأخ فهمي هويدي الذي أقرأ كل مقالاته بحكم الزمالة والأخوة التي بيننا، وأتابع ما يهتم به. ولما استقر بي المقام في لبنان في السنوات الأخيرة، شدتني طبيعة البلد، فبدأت أقرأ كثيراً عن قراها، عن جبالها، وعن أهلها، من ذلك منطقة في الجنوب اللبناني تسمى



د. أحمد العسال



محمد خيرت الشاطر



إبراهيم المصري

بعد وفاة المرشد السادس للإخوان المسلمين الأستاذ محمد المأمون الهضيبي، ذهبت للتغذية فيه، وللمباركة بالمرشد الجديد الأخ محمد مهدي عاكف، وكذلك الأخ النائب الثاني المهندس خيرت الشاطر، الذي تربطني به صلات شخصية. كانت زيارتي تلك مناسبة طيبة للقاء الإخوة، قاموا بتكريمي، وجمعوني في عشاء بأخ عزيز هو الدكتور أحمد العسال الذي عرفته عندما كنت طالباً في القاهرة، إذ كان يزورنا في حلوان كثيراً، ويلقي علينا دروس شعبة حلوان. الشيخ أحمد العسال له عندي مكانة خاصة، وكان التقائي به في تلك الحفلة مفاجأة سررت بها كثيراً، ويبدو أن الإخوان يعرفون الصلة بيني وبينه، فجزاهم الله خيراً».

المدن وصخب الحياة، وأنزل أحياناً للتسوق داخل البلد. وعندما استقرت الأوضاع مرة أخرى في لبنان اشترت شقة فيها. فلبنان قريبة إلى نفسي، ألتقي فيها إخواني من الجماعة الإسلامية، وفي مقدمتهم الأخ الشيخ فيصل مولوي رحمه الله، والأخ العزيز إبراهيم المصري، وإخوة آخرين عرفني بهم الأخ قاسم الشيخ حفظه الله».

زيارتي للقاهرة ولقاء الأصدقاء

«كذلك لي زيارتي الخاصة للقاهرة، ولي فيها بيت وحياة لم أتركها، وفي نفس الوقت إخوان تربيت بينهم ومعهم في شعبة (خط حلوان) جنوب القاهرة.



أمنياتي أن نعود إلى الإسلام..
وأن يحل السلام..

«لا يتمنى الإنسان بعد هذه الرحلة الطويلة إلا السلامة والأمن في بلده، وفي جواره، وعزة لهذه الأمة، وعودة إلى مصادرها، وأوبة إلى التزامها، وعدم تمكين أي صاحب غرض من القوى الدولية أن تتدخل في شئون هذه الأمة وتفرق بينها، وتجعلها أحزاباً متناحرة، وفئات مختلفة. ولو أنصف حكامنا واهتدوا بهدي رسولهم صلى الله عليه وسلم، وتمسكوا بما ترك فينا: كتاب الله وسنة رسوله، لو تمسكوا بهذين الأمرين لصلح العباد، ووصلحت البلاد، وصرنا نحمي جوارنا، ونحمي حتى الأقليات الموجودة بيننا، لكن مع الأسف، ما يجري الآن في البلاد الإسلامية ومنها بلد عزيز مثل العراق هو إفساد وتقويض لأمل الأمة إن كان هناك أمل، ولكن الله غالب على أمره».



عيسى بن محمد يتوسط مجموعة من أعضاء جمعية الإصلاح في إحدى المناسبات



الفصل السابع

من وحي المنهج الأصيل..

كلمات ومقالات مختارة للشيخ عيسى بن محمد
ألقيت في مناسبات ومحافل مختلفة

علمتنا الحياة... *

علمتنا الحياة أن عطاء الواحد منا هو في حقيقته عطاء لنفسه لا لغيره، أنه يستمدّ القوة من مساعدة الضعفاء، والغنى من إعانة الفقراء، والسعادة من إغاثة الحزانى والمكروبين، والوفاء من خدمة الوطن. إن بذله المعروف هو في حقيقته تربية يربي بها ذاته، ومعروف يسديه إلى نفسه، لا فضلاً يتفَضَّل به على غيره.. ثم يبقى الكنز الأعظم، أننا حين نبذل ونعطي، من مال ووقت وجهد، فإنما نعطي مما يفنى، ويبقى كل ذلك عند الله دائماً خالداً إن شاء الله، «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، هو خيراً وأعظم أجراً». إن عملنا حين ننويه خالصاً لوجه الله، فإنما نحن في الحقيقة نهديه لأنفسنا، ليس ترفعاً على الناس ولا منة، بل لله المنة وحده، وله الفضل سبحانه، ونسأله القبول.

علمتنا الحياة أن الواحد منا ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه، إذ ما أسهل - في هذه الحياة - أن ينظر الإنسان الفرد إلى طول الطريق فيمِلّ، وإلى صعوبته فييأس، أو يفكر في قلة الثمار فيكسل، وفي مرارة الصبر فيقنط، وقد يلتفت حوله فيرى قلة المشجعين فيستوحش، أو يستمع إلى قول المثبطين فيقعده إيثاراً

كمثل المسافر في القطار، تمضي بنا الحياة بحُلُوها ومرها، وصفوها وكدرها، ونشاطها وركودها. نقف كل يوم في محطة من محطات الحياة نتزود منها لنواصل المسير.. نتعلم الدروس، ويحدونا الأمل، ولا نسأل الله إلا القبول.

أقف اليوم - أنا وإخواني - نراجع صفحات الذكريات، فتبرز من بين سطورها واضحة جليلة دروس الحياة.

لقد علمتنا الحياة فيما علمتنا أن عمر الإنسان لا يقاس بالأيام والسنين، من يوم أن أبصر الحياة، إذ لا يحسب من حياته إلا ما عاشه الواحد منا لمجتمعه وأمته، لا ما عاشه لخاصة نفسه. فحياتنا أشبه ما تكون بتلك الشاة التي تصدّق بها أهل بيت النبوة، ولم يبقوا منها إلا كتفها، فأنبأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقتها فقال: «بل كلها بقيت إلا كتفها».

«علمتنا الحياة أن عطاء الواحد منا في حقيقته عطاء لنفسه لا لغيره، أنه يستمدّ القوة من مساعدة الضعفاء، والغنى من إعانة الفقراء والوفاء من خدمة الوطن»

* الكلمة التي ألقاها في افتتاح حفل «منتدى الشيخ عيسى بن محمد وأصحابه للنجاحات الخليجية» الذي أقامه مركز البديل للتدريب والتطوير في فبراير ٢٠٠٨م.



نظرات السعادة والتفاؤل بادية على محيا الشيخ عيسى بن محمد وإخوانه من اليمين مبارك بن دينة - قاسم الشيخ محمد جميل خلال احتفالية وضع حجر الأساس لمبنى جمعية الإصلاح (٢١ يونيو ١٩٧٩م)

غير أن سعادتنا وغبطتنا لن تنسينا أن نردّ الفضل إلى أهل الفضل، وأن نشكر أهل الشكر.

إن الفضل والشكر والحمد لله أولاً وآخراً أن هدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأن جعلنا من أبناء هذه الدعوة المباركة، التي أضافت إلى أعمارنا أعماراً، وألبستنا بفضل الله عزاً وفخاراً.

إن هذا الاحتفاء -أيها الإخوة الكرام- ليس احتفاءً بعيسى بن محمد ورفاق دربه، بقدر ما هو احتفاء بالدعوة التي تربي في محاضنها عيسى بن محمد وإخوانه. إنه

للسلامة. غير أن الواحد حين يعيش مع إخوان له، يشاركونه همه، ويعينونه في الحق، فإنه تغمره سعادة يتقاصر أمامها بُعد الشقة، وأمل يهون معه الحزن، ونشاط يدفعه دون كلل إلى بذر الحب، وحرث الأرض، لأنه يعلم أن الثمرة بيد الله. بالإخوان يحلو صبره، ويستأنس من وحشته، ويتشجع حين يخفت صوت المشجعين، وترتفع أصوات العاذلين.

أيها الإخوة الكرام...

لقد جُبِلت النفس على حبّ الشكر والعرفان، وانتظار الإحسان بعد الإحسان، ونحن اليوم سعداء بهذه الحفاوة، مغتبطون بهذا التكريم.

بشيء من الخير والعدل والإنسانية، في الوقت الذي لم نعد نسمع فيه إلا أخبار الموت والظلم والدمار؟ ولكن ما يؤلمنا أن يأتي النيل من مؤسساتنا الخيرية والإنسانية لا من أعداء الأمة المتربصين بها فحسب، بل من إخوان لنا في الدين والأوطان، دون جرم

احتفاء بجمعية الإصلاح التي نشأوا فيها منذ الصغر، فتعلموا فيها أصول الدين والدعوة، وتربوا فيها على البذل والعمل. إنه احتفاء بمؤسسة دعوية وطنية رائدة، أسستنا بأقوى مما أسسناها، ورعتنا أفضل مما رعينها، وأعطتنا أكثر مما أعطيناها. إنه احتفاء بجمعية جمعتنا على الأخوة في الله، على غير أرحام بيننا، وبيئة صالحة علمتنا أن نعيش للناس ومع الناس، ومحضن تربينا فيه على أن ما عند الناس يفنى، وما عند الله باق. إنه احتفاء بجمعية الإصلاح التي كانت ومازالت تخرج أجيالاً تؤثر الفعل على القول، وتستشعر السعادة في العطاء، والرضا بما عند الله، وتتفنى في خدمة الدين والوطن.

أيها الإخوة الكرام..

إننا نلتقي اليوم، لنحتفي بالعمل الخيري والإنساني، في وقت أصبح فيه العمل الخيري والإنساني غرضاً تُطلق عليه سهام التشويه، وأضحى القائلون عليه محل التشكيك والالتهام، وأمست مؤسساتهم عرضة للتضييق والإغلاق. ولو أنصف العالم لرفع هؤلاء فوق الأكتاف، ولقلّدهم الأوسمة، وفتح لهم كل الأبواب. أليس العاملون في المجال الخيري والإنساني هم الذين يذكروننا أن العالم ما زال يحتفظ



«إن الواحد حين يعيش مع إخوان له،
يشاركونه همه، ويعينونه في الحق،
فإنه تغمره سعادة يتقاصر أمامها بُعد
الشُّقَّة، وأملٌ يهون معه الحزن ونشاط
يدفعه دون كللٍ إلى بذر الحب وحرث
الأرض»

ارتكبته، أو ذنب اقترفته. لكن ذلك كله، لن
يفتّ في عضد العاملين المخلصين، فالعمل
الخيرى والإنساني هو من صلب هذا الدين
الحنيف، الذي ارتضيّا أن نكون من أتباعه،
والعاملين في سبيله.. والله المستعان.



خلال خضوعه لعملية قلب مفتوح في أحد مستشفيات مدينة الرياض (١٩٩٤م)

في ذكرى الحبيب المصطفى *

وقدوتهم، وأن الاحتفال بذكره صلى الله عليه وسلم يؤكد أن الأمة ما زالت بخير، رغم ما يعتريها من مشاكل، لذا ما أحوجنا اليوم ونحن نستلهم سيرة الصادق الصدوق صلى الله عليه وسلم في هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، حتى أثقلت كاهل أمتنا الإسلامية، ومزقتنا كل ممزق.

ما أحوجنا إلى هذه المشاعر الجياشة، التي نهتف بها في أرجاء الكون، فتسري بها أمواج الأثير؛ لتحيي النفوس الذابلة، وتروي الأرض العطشى، وتوقظ هذه الأمة من رقادها.. فمئذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام نادى محمد بن عبد الله النبي الأمي في بطن مكة، وعلى رأس الصفا: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ الأعراف: ١٥٨.

فكانت تلك الدعوة الجامعة حداً فاصلاً في الكون كله، بين ماضٍ مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلاناً واضحاً مبيناً لنظام جديد، شارعه الله العليم الخبير،

كيف تغدو السيرة العطرة وعاءً جامعاً للتيار الإسلامي في البحرين؟

والأمة الإسلامية جمعاء تحتفل بذكرى مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.. مُعلِّم البشرية، وخير من مشى على هذه الأرض.. الذي جمع الله له من رؤية الحق، ورفعة النفس، ما شرفت به الحياة، وأضاءت به مقادير الإنسان.

وفي هذا الشهر المبارك، شهر ربيع الخير.. نستنشق نسمات ذكرى مولده العطرة، ونحاول أن نترسم بعض ملامح سيرته الشريفة.. لتعتلج في النفس مشاعر الخشوع، وتعتل في القلب معاني الابتهاال والضراعة.. فكأنني بهذا الفيض من العواطف النبيلة يغمر جو هذا الشهر الحبيب إلى النفوس، فإذا كل ما فيه ينطق بالحب العميق، والارتباط الوثيق للمسلمين في كافة المعمورة برسولهم وقائدهم

«ما أحوجنا إلى مشاعر جياشة، نهتف بها في أرجاء الكون، فتسري بها أمواج الأثير؛ لتحيي النفوس الذابلة، وتروي الأرض العطشى، وتوقظ هذه الأمة من رقادها»



في رحلة الحج وإلى جانبه الشيخ عبدالرحمن الجودر (١٩٨٢م)

على الساحة الإسلامية، هي اعتبار كل فريق يدعو إلى الإسلام أنه يمثل الإسلام، ويمثل جماعة المسلمين، وليس جماعة من المسلمين، وهذا ما يؤدي في معظم الأحيان إلى الغلو والتطرف والاستكبار، ومحاولة كل فريق إلغاء الفريق الآخر، مع أن المنظور الشرعي يخالف هذا النهج تماماً.

إن حلّ مشكلتنا هذه يبدأ حينما نرجع إلى ثوابت الإسلام، ونراجع أنفسنا من جديد بروح جديدة، وعقل مخلص، ونفس متحررة من آلام وجروحات الماضي، وأن ننظر إلى المستقبل الواعد المشرق بالأمل والخير إن شاء الله.

إن في الإسلام قواسم مشتركة كثيرة جامعة وموحدة، وثوابت متعددة، تمثل أرضية

ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، إنه ليس من وضع البشر، ولكن صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ الشورى: ٥٢-٥٣.

من هذا المنظور ومن خلال هذا المنطق تعتبر الدعوة إلى الإسلام فريضة شرعية، وضرورة بشرية، ليس للمسلمين فحسب، وإنما للناس أجمعين.

إنما الاختلاف واقع في تصور الدعاة والعاملين للإسلام لطرائق العمل الإسلامي وأساليبه ومناهجه، بل لكثير من مبادئه وشروطه. هذا الاختلاف أدى إلى تعدد المدارس والتيارات الإسلامية، وإلى نشوء مشكلات كثيرة بعضها كبير وخطير، ليس على الدعوة الإسلامية فحسب، وإنما على الإسلام كرسالة حضارية.

ولعل من أكبر المشاكل التي من خلالها تتوالد مشكلات فرعية وتتكاثر الأخطاء والمعضلات، وتتعاظم الخلافات والصراعات

وتعاطفهم كممثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». رواه مسلم وأحمد.

والأصل في الشريعة الحض على الوحدة، والبعد عن الخلاف، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْياً لَيْسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وفضلاً عن كون وحدة الساحة الإسلامية فريضة شرعية، فإنها كذلك ضرورة بشرية للمسلمين وغير المسلمين؛ وذلك لأسباب كثيرة منها:

- أن العمل الإسلامي وأهدافه الكبيرة، ومقاصده العظمية، يستلزم تضافر قوى المسلمين جميعاً في مسيرة واحدة، وضمن خطة موحدة، في حين أن تشرذم هذه القوى سيُحبط ويعرقل المسيرة، ويجعل الإنتاج محدوداً على كل صعيد. وبالمقابل وحدة التواطؤ العالمي على الإسلام، وبخاصة وحدة المشروع الأمريكي الصهيوني يفرض وحدة التصدي من المسلمين، ووحدة المجابهة والإعداد؛ لإحباط ما يعد لهم من مؤامرات، ويحاك ضدهم من خطط.

- أن تفكك الصف الإسلامي من شأنه أن يجعل بأس المسلمين بينهم، ويفتح في صفوفهم وبلادهم ثغرات يتسلل منها إليهم أعداء الإسلام، وعندما نتحدث عن الوحدة

لتلاقي واجتماع الشرائع الإسلامية والمسلمين أجمعين، وليس في الإسلام ما يفرق ويمزق، وما يكفر وينفر، لماذا نقفز أحياناً فوق ما يجمعنا وصولاً إلى ما يفرقنا ويمزقنا؟ أليس في ذلك مخالفة لآيات قرآنية صريحة منها على سبيل المثال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران: ١٠٢، وقوله: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الأنفال: ٤٦.

إن مما لاشك فيه أن الأصل في الشريعة هو وحدة المسلمين، ووحدة العمل الإسلامي، ووحدة الصف الإسلامي، وليس تعدده وتشرذمه لقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء: ٩٢.

وقوله: ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَمٌ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم

«إن في الإسلام قواسم مشتركة كثيرة جامعة وموحدة، وثوابت متعددة، تمثل أرضية لتلاقي واجتماع الشرائع الإسلامية والمسلمين أجمعين، وليس في الإسلام ما يفرق ويمزق، وما يكفر وينفر، لماذا نقفز أحياناً فوق ما يجمعنا وصولاً إلى ما يفرقنا ويمزقنا؟»

«أن بناء جسور الثقة وتعزيزها بين أبناء
الطائفتين الكریمتین يجب دوماً أن يكون
شغلنا الشاغل»

بالقول والفعل على حد سواء. لقد آن الأوان
لهذا الشعب الكریم أن يشعر بالاطمئنان
على مستقبله ومستقبل أجياله. إن المسؤولية
التاريخية لتحتم علينا توخي أعظم درجات
الحذر في الأقوال والأفعال وخاصة من جانب
الصفوة، وأهل الفكر والعلم من كل طائفة..
فهم محط الأنظار، وإليهم تتطلع الأفتدة،
وعليهم تتعقد الآمال.

ونحن نستحضر الذكرى الشريفة.. السؤال
الكبير الذي يفرض نفسه علينا جميعاً.. هو
كيف يمكن أن تغدو هذه السنة المطهرة وعاءً
جامعاً للوحدة المنشودة؟ وكيف يمكن أن
نحول السيرة العطرة من سلاح في يد كل فرقة
لتعزید وجهة نظرها وترجيح كفة رأيها إلى
مصدر للمعرفة ومنهل للثقافة والحضارة؟

إننا بحاجة إلى منهج جديد في فهم سنة
المصطفى صلى الله عليه وسلم يمكن من
خلاله إعادة بناء العقل المسلم، وتصحيح
مسيرته، وصياغته على أسس جديدة مما
يساهم في بناء النسق المعرفي والحضاري لهذه
الأمة.

بهذا الشكل وهذه الروح فإن النماذج التي
في حياتنا كثيرة وشاخسة، ولا أدل في هذا
الموقف إلا بوحدة الأمة الأوروبية التي تختلف
في ألوانها وألسنتها وثقافتها وعقائدها
وتاريخها وأهدافها ومشاكلها، رغم ذلك
تحدت المستحيل بعينه، وكسرت كل الحواجز
الطبيعية الصعبة، وأزالت سلبيات الاختلاف
من سائب إلى موجب، حتى وصلت مرحلة
توحيد العملة بعد أن توحدت في العديد من
السياسات في السياسة والاقتصاد والإعلام
والأمن فما بالناس نحن؟ الذين تجمعنا أقوى
الصّلات: الدين والقبلة، والوطن واللغة،
والدم والمصير المشترك، لذا كان لا بد أن نضع
النقاط فوق الحروف فيما يهّمنا ووحدتنا التي
نرجو صادقين أن تتكلل بالنجاح.

- أن بناء جسور الثقة وتعزيزها بين أبناء
الطائفتين الكریمتین يجب دوماً أن يكون
شغلنا الشاغل، فكما أننا ننزعج تماماً من أي
طرح طائفي أو فتوي قد يخرج من صوب أهل
السنة، في شكل منشور أو تصريح أو مقال أو
تحرك أو نشاط، ونعمل على الوقوف في وجهه
بكل ما أوتينا من قوة فإننا في نفس الوقت لا
يمكن أن نقبل طرحاً طائفيّاً من قبل إخواننا
الشيعية.

إن المساعي لتحقيق الوحدة الوطنية يجب
أن تكون حقيقة واقعة تُمارس في السر والعلن

الشللية، وسيطرة مشاعر القلق والخوف من المستقبل، واليأس والقنوط من الحاضر، والتواكل والإهمال وفقدان الحماس لأي موقف إيجابي، وسيطرة ظاهرة المواقف القائمة على رد الفعل، وترك مهمة الفعل والتأثير للغير، وتراجع أجواء الحوار لصالح أجواء الصراع والنزاع.

- غياب الوعي الموضوعي لحقيقة مشكلات الأمة الاجتماعية وعلاقاتها بالتاريخ، وتضائل النظرات الكلية التحليلية والتعليلية لقضايا الأمة أمام النظر الجزئي والسطحي والعاطفي والخطابي، وانفتاح العقل المسلم لقبول الشيء بدون تعليل، أو تعليله بغير علته، وغير ذلك من مظاهر قد تستعصي على الحصر الدقيق.

كفيع يمكن توظيف السنة النبوية وإحياء دورها في تصحيح مسار الأمة، وإعطاء الرؤية الواضحة والتصور السليم الذي يساعد على تقديم التفسير المقنع لكل هذه القضايا، ويوجد في الإنسان المسلم إرادة الفعل، وفي المجتمع المسلم القدرة على تعبئة القوى الاجتماعية وتوحيدها حول غايات إسلامية تبعث فيها الحياة والأمل، وتحفزها نحو العمل لإيجاد البديل الثقافي والمشروع الاجتماعي الفكري والعملية الذي يعيد للأمة الإسلامية هويتها، ويعمق فيها الشعور بالانتماء إلى حضارة وتاريخ عريقين مجيدين؟

ولا أدعي أنني في هذا المنبر سأضع ملامح هذا المنهج، أو أرسى قواعده، فأنا لست من المتخصصين في هذا المضمار، والسنة لها علماؤها وحرّاسها من أهل العلم والدراسة هم خير من يقوم بهذه المهمة إن توافروا عليها.

وحسبي هنا أن أشير إلى جملة من الملاحظات والتساؤلات لعلها تقدح زناد فكرنا بما ينفعنا في مرحلتنا الحاضرة أو القادمة، فكما تعلمون تسيطر على الساحة العربية خاصة، والإسلامية عامة، جملة من السلبيات تشكل جانباً من جوانب أزمة العقل المسلم المعاصر، وتظهر بأشكال مختلفة منها:

- انحلال الروابط بين فصائل الأمة، وسيادة روح الصراع بكل أنواعه الفكرية والاجتماعية والطائفية والمذهبية، إضافة إلى السياسية، وإحياء الأفكار المفرقة للأمة أو ابتكارها عند الحاجة.

- انهيار بقايا التوازنات الاجتماعية والإقليمية، وسيادة روح الأنانية الفردية أو

«إن أمتنا أحوج ما تكون اليوم إلى مشروع نهضة شامل يعيدها إلى موقع الوسطية والشهود الحضاري، من جديد، ولا يمكن أن يتم ذلك بدون تمكين المجتمعات الإسلامية من الشروط اللازمة لاستعادة موقعها ذلك»

«إن ربط أهداف ووسائل التغيير الاجتماعي
بدين الأمة وعقيدتها سوف يساعد كثيراً
على تجنيد الطاقات كلها، وتعبئة الجماهير
لإحداث النقلة الفكرية والثقافية والحضارية
المطلوبة»

والعطاء، والاستجابة لمتطلبات المرحلة وإعادة
بناء المنظومة الفكرية والثقافية للأمة، لا بد
من إعادة قراءة مصادر الإسلام الثابتة:
الكتاب والسنة، بوحي وفهم دقيقين، ونظر
إسلامي معاصر قادر على ملاحظة جميع
المؤثرات وسائر الأبعاد لاستلهاام المقاصد
ومعرفة الغايات، وتبين الكليات، واستبطاء
المنهج اللازم للاستجابة الإسلامية لتحديات
المرحلة وإعادة بناء مقومات الأمة.

إن القرن العظيم قد زود أسلافنا بمنهج
فكري فذ قادر على فهم وتفسير وتحليل
تحولات الأمم والمجتمعات، وسبر أغوار
الحقائق، والسنن الخاصة بالتحويلات
الحضارية الكبرى بشكل موضوعي لا وراء
في موضوعيته وتطابقه مع الواقع، وعلميته
وقدرته المتميزة على كشف التناقضات
الداخلية وكيفية نموها، وعوامل وجودها في
الحضارات مع توضيح تام لاتجاهات التطور
التاريخي.

لا شك أن أمتنا أحوج ما تكون اليوم إلى
مشروع نهضة شامل يعيدها إلى موقع
الوسطية والشهود الحضاري، من جديد، ولا
يمكن أن يتم ذلك بدون تمكين المجتمعات
الإسلامية من الشروط اللازمة لاستعادة
موقعها ذلك، وفي مقدمة هذه الشروط بناء
وتشكيل النسق الفكري والثقافي للأمة.

إن أمتنا اليوم تقتات فئاتها المتعلمة بإحدى
ثقافتين: ثقافة تاريخية موروثها لها كل ما
لصور وبيئات إنتاجها من خصائص،
وثقافة مستوردة مترجمة وغير مترجمة،
وأمام كل من الثقافتين يقف عقل المسلم
المعاصر موقف المنفعل والمستهلك الثقافي،
وما كان لعقل عاجز عن الفعل، قانع بدور
الانفعال، وعاجز عن الإنتاج الثقافي، مكتفٍ
بالاستهلاك أن يبني دولة، أو يشيد أمة،
أو يصنع حضارة.

إن ربط أهداف ووسائل التغيير الاجتماعي
بدين الأمة وعقيدتها سوف يساعد كثيراً
على تجنيد الطاقات كلها، وتعبئة الجماهير
لإحداث النقلة الفكرية والثقافية والحضارية
المطلوبة للأمة، وتحملها الأعباء الجسام التي
تتطلبها هذه النقلة.

ولكي يخرج العقل المسلم من أزمته الراهنة
وينتقل إلى مرحلة الرؤية السليمة والقدرة



كما أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته، ونمط حياته وحياة الصدر الأول من أصحابه لتمثل التجسيد العلمي الواقعي لذلك المنهج الفكري، وحين يتعامل العقل المسلم المعاصر مع الكتاب المجيد بتأمل وتدبر وإدراكٍ معاصرٍ سليم بحثاً عن كلياته وغاياته ومقاصده للوصول إلى منهجية كاملة تشكل ناظماً وضابطاً لحركة الحياة والإنسان ينسجم مع دورة الكون والوجود، فإن حل الأزمة العقلية الكبرى يصبح في متناوله، وحين يضيف إلى ذلك فهما للسنة، وإدراكاً يستوعب مرامي وغايات التطبيق النبوي للوحي الإلهي، وتحويله إلى واقع حي بحياة الناس ويمارسونه، فإن حجب الجهل، وظلمات الأحقاد، والصراع، وتبديد الطاقات، سوف تنقشع بإذن الله عن هذه الأمة، ويرتقي الإنسان المسلم فوق عوامل العجز الذاتي ليكون قادراً على إقناع الإنسان المعاصر بكل تعقيداته العقلية والثقافية والأخذ بيده نحو الهداية والفلاح من خلال إدراك الكليات الإسلامية، وتمييز الثوابت عن المتغيرات، وإدراك المقاصد، وتحديد الغايات.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم..



المواطنة (حقوق وواجبات) في ضوء الدستور والقانون*

تُعدّ المواطنة حجر الأساس في تفعيل ميثاق العمل الوطني، ومفهوم المواطنة ذاته له عدة معانٍ مختلفة، وذلك حسب الفرع القانوني الوارد فيه، فهو في القانون الخاص الداخلي، وغيره في القانون الدولي الخاص، وغيره في القانون الدستوري.

وعند تناولنا مفهوم المواطنة في القانون الدستوري نجد أنه يعني ما للمواطن من حقوق، وما عليه من واجبات في دولة ما، يحمل جنسيته. وعلى ذلك فإن هذا المعنى كما أنه يعني حقوق المواطنين فإنه في الوقت ذاته يعني واجبات عليهم، وإن كنت أميل إلى أن مباشرة الحق ذاته - في ظروف معينة - يعد أيضاً واجباً. وبالنظر إلى ميثاق العمل الوطني نظرة كلية شاملة نجد أنه عبارة عن حقوق وواجبات، وهي تتماشى مع أرقى النظم في العالم الآن. ولكن بالفعل حجر الأساس في تفعيلها هو أنتم أيها المواطنون، الذين بكم تُقذف الروح في تلك النصوص، وتصبح كياناً حياً يتحرك وينمو بحيوية وقوة.. أو تُترك جنيناً بلا عناية، يضمّر ويذبل ويموت، ولنلقِ نظرة سريعة لبيان ذلك:



فالفصل الأول يتحدث عن المقومات الأساسية للمجتمع التي تتمثل في أن العدل أساس الحكم، والمساواة وسيادة القانون والحرية والأمن والطمأنينة والعلم والتضامن الاجتماعي وتكافؤ الفرص بين المواطنين، دعائم المجتمع تكفلها الدولة.

كما يتحدث عن كفالة الحريات الشخصية والمساواة وحرية العقيدة وحرية التعبير والنشر، وعن نشاط المجتمع المدني بما يمثله من جمعيات ونقابات، كما يتحدث عن الأسرة كأساس للمجتمع، وقد اعتبر أن العمل واجب وحق، وأبدى اهتماماً بالتعليم والثقافة والعلوم.

الفصل الثاني تناول نظام الحكم محددًا أنه ملكي وراثي دستوري، وجعل الشريعة الإسلامية مصدراً رئيساً للتشريع، وأقر المبدأ الأساسي لأي نظام، مؤكداً حرمة الأموال العامة، وصيانة الثروات الطبيعية، متبنياً منهج تدريب الأيدي العاملة لزيادة كفاءتها.

والفصل الرابع: يتناول الأمن الوطني الذي هو الدرع الواقي لكافة المنجزات.

والفصل الخامس يتناول الحياة النيابية محددًا مجلسين: أحدهما منتخب والآخر معين من ذوي الخبرات والكفاءات.

ويأتي الفصل السادس ليتناول العلاقات

الخليجية التي هي الحلقة الأولى لعلاقات البحرين، ويأتي الفصل السابع ليتحدث عن العلاقات الخارجية محددًا الدوائر التالية، وهي العربية فالإسلامية ثم الدولية، ثم يأتي أخيراً استشراف المستقبل؛ ليبور أهم هذه الأمور والوسائل اللازمة لها.

من هذا الطرح الإجمالي يتضح جسامته الدور الملقى على كاهل كل مواطن على هذه الأرض الطيبة، فالمواطن هو الذي يطالب بحقوقه وحرياته المنصوص عليها، وهو الذي يمارسها، وهو الذي يحقق مبدأ حرية التعبير لبيان ما يعتقده ويؤمن به، ويبيدي وجهة نظره في شؤون بلاده، ويوضح رؤيته للمستقبل، وفي كل ذلك خير عميم له ولبلاده، وهو حق وواجب على كل فرد قادر على التعبير. وكذلك فإن تفعيل نشاط المجتمع المدني لا يتأتى من فراغ، بل من خلال عمل دؤوب للجمعيات، وإنشاء الاتحادات والنقابات المهنية، التي ترعى شؤون أعضائها، وتطالب مطالبات جماعية بحقوقهم.

والمواطن هو الذي ينشئ الأسرة، ويحافظ على كيانها، ويبنيها على الأسس الإسلامية القوية؛ لتكون أهم اللبنة في بناء المجتمع، كما أن المواطن الذي يدرك دوره في الحياة وأهميته فيها وأنه لم يخلق عبثاً هو الذي يعمل بجد وهممة عالية، ترفع من مستواه ومستوى الوطن ذاته.

القوية، ويتقدموا الصفوف ويقودوا الجموع إلى الخير والسلام، وذلك لن يكون إلا بالبذل الدائم المتواصل من هؤلاء، ومن اللحظة الراهنة ليكون لهم وجود فعلي في صفوف المواطنين، وهذا يبدأ من هذه اللحظة حتى يكون لهم وجود حقيقي وفعل عند إجراء الانتخابات الأولى بعد ثلاث سنوات.

الثاني: أن يتواري هؤلاء الصالحون الأقوياء أو يتدنوا بزهد - ليس هذا مجاله - وينسوا واجبهم، وهنا سوف تمتلئ الساحة بالنفيعين والطفيليين ومحترفي الانتخابات لمنافع ومكاسب شخصية، ويخسر المواطنون والوطن كل شيء.

وعلى ذلك فإنني أؤكد أهمية التصدي لهذا العمل من أجل صالح الجميع، وصالح أبناء الوطن.

كما أن البحرين هي بلد متلقٍ لكافة الجنسيات، وهذه فرصة ثمينة لإيجاد سفراء للوطن في دولهم عن تحضر البحرين، وكرم أهلها، وحسن أخلاقهم، وهذا الالتحام هو أكبر دعاية للمواطنين وللوطن في العالم بأسره يجب علينا المحافظة عليه، في ظل عدم الاكتراث به، وهو من الأهمية بمكان، كما يعمل الكثير من المواطنين في دول خليجية أخرى وغيرها، فليكن سفيراً لبلده في تلك الدول،

وكون الشريعة الإسلامية مصدراً رئيساً للتشريع يستوجب تناول كافة الأمور المستجدة في حياتنا المعاصرة في ضوء أحكام الشريعة بما يتطلبه ذلك من بحث دائب مثابر.

ولا بد من أن ينشط المواطنون في كافة مجالات الحياة الاقتصادية لتفعيل مبادئ الحرية الاقتصادية وغيرها، وهذا النشاط والتفعيل لابد من أن يكونا سريعين وقويين قبل أن تجتاح موجة العولمة التي لن تترك مجالاً للتكامل.

وتأتي الحياة النيابية لتمثل معلماً بارزاً، ومحكاً أساسياً لتفعيل المواطنين، إذ أن العمل العام حق لكل مواطن، وهو في الوقت ذاته واجب على كل قادر مخلص، وثمة أمر غاية في الأهمية هو أن الحياة النيابية بدولة البحرين ما زالت بكرة لم تشوه بعد، والذي سوف يحدد ملامحها الأساسية هم المواطنون، وهم حقيقة أمام خيارين:

الأول: أن ينشط ذوو الفكرة الأصيلة النقية

«ليس المهم أن تكون نصوص الميثاق كأرقى ما تكون على المستوى العالمي، بل المحك الجوهرى هو تفعيلكم لها، ومدها من قوتكم وأرواحكم وجهودكم؛ حتى تنمو وتثمر وتزدهر»

القاضي العادل إلى عدل وصلاح.

ليس المهم أن تكون نصوص الميثاق كأرقى ما تكون على المستوى العالمي، بل المحك الجوهرى هو تفعيلكم لها، ومدّها من قوتكم وأرواحكم وجهودكم؛ حتى تنمو وتثمر وتزدهر، هذا ليس حق الجميع فحسب بل هو واجبهم.

ودليلاً على نفاسة المعدن والإخلاص والتفاني.

أخيراً فإنه في مجال القانون لدينا مقولة أساسية، وهي أنه ليس المهم هو القانون العادل، بل الأهم هو القاضي العادل، فقد يكون القانون عادلاً ويحوّله قاضي الجور إلى ظلم وفساد، وقد يكون القانون جائراً ويحوّله



أولوياتنا للعمل الوطني في المرحلة المقبلة *

إن أولوياتنا للعمل الوطني ما يلي:

أولاً: تحقيق أو إعادة السلم الاجتماعي للأفراد والمجتمع ككل؛

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾.

لاشك أن المجتمع الذي يريد الرقي والتقدم لا بد أن يعمل على إيجاد كافة الضمانات اللازمة لنشر السلام في بيئته.. سلام الإنسان مع نفسه، و سلام الإنسان في بيته وبين أسرته، و سلام الإنسان في محيطه، و سلام الطائفة مع الطائفة، و سلام الفرد مع حكومته، و سلام الدولة مع جيرانها.

وكأولوية أولى في هذا الجانب بالنسبة إلى مجتمعنا يأتي من بين ما ذكرناه السلم الاجتماعي على مستوى أفراد ومؤسسات المجتمع الواحد.

وما يحقق هذا الأمر القضايا التالية:

١- الهوية: تعزيز الهوية الإسلامية العربية للمجتمع البحريني هي أحد مرتكزات مشروعا الوطني، ونحن نضعها في قمة هرم الأولويات.. إذ نعتقد أنه لا سلم ولا استقرار

* صحيفة «أخبار الخليج» بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٠١م



لذلك كله نحن بحاجة إلى نهضة أخلاقية أساسها هوية واضحة تتفق على مفرداتها الأمة أو غالب الأمة.

ونحن في جمعية الإصلاح نؤمن أن الهوية (وكذا الحال بالنسبة إلى تطبيق الشريعة) لا يمكن فرضها بالقوة كما حدث في العديد من التجارب الإسلامية والعربية الفاشلة، وإنما هي عملية بناء تشاركية، وعملية مفاوضة دعوية.. وهذا ما عنيناه بالضبط في رسالة جمعيتنا عندما قلنا: « نسعى إلى التوجه مع المجتمع أفراداً ومؤسسات ونظماً نحو الالتزام بالإسلام كمرجعية عليا..» قلنا: «نسعى»، وقلنا: «مع المجتمع» ولم نقل: «بالمجتمع».

٢- الوحدة الوطنية: من أدوات السلم الاجتماعي المنشود كذلك والرئيسة: الدعوة إلى الوحدة الوطنية التي تمثل أحد مرتكزاتنا الأربعة في مشروعنا الوطني.

سوف نسعى إلى ترسيخ هذا المفهوم قولاً وعملاً إيماناً منا بأن التعاون في الخير واجب شرعي ووطني، والمواطنة حق لجميع من يعيش على هذا التراب، وأن عكس الوحدة والتعاون هو النزاع والصراع، والدمار والخراب.

٣- الأسرة البحرينية: المحافظة على استقرار كيان الأسرة البحرينية أساس من أسس السلم الاجتماعي.. وكما هو ملاحظ

سواء مادياً أم معنوياً، وسواء فردياً أم جماعياً دون أن تستقر هذه الهوية، هوية الإسلام بمفهومها الشامل الرحب العالمي العريض في النفوس والمؤسسات وأجهزة التوجيه والتربية والإعلام. إن الهوية تمنح الناس أمناً ثقافياً وهو أساس كل أمان يحتاج إليه المجتمع في نهوضه وتطوره.

المجتمع البحريني يعاني اليوم من فقدان هوية واضحة له مما أدى إلى اختلال القيم، وانحدار الآداب العامة، وتيه الشباب، وفوضى الإعلام والفنون، وهبوط الذوق العام، وانتشار بعض ألوان السياحة الهابطة، ومظاهر الانحلال، حتى وصلت إلى الشارع والأماكن العامة.. كما أدى ذلك إلى انتشار التعديات على الأعراض، وانتشار الجريمة المرتبطة بضعف الأخلاق والقيم، والحاجة إلى إشباع الغرائز.. أي فقدان النظام والأمن العام للناس.

«يعاني مجتمعنا اليوم من فقدان هوية واضحة له مما أدى إلى اختلال القيم، وانحدار الآداب العامة، وتيه الشباب، وفوضى الإعلام والفنون، وهبوط الذوق العام، وانتشار بعض ألوان السياحة الهابطة، ومظاهر الانحلال، حتى وصلت إلى الشارع والأماكن العامة»



في العقود المتأخرة فإن الأسرة للأسف أخذت في التفكك والانحيار بما صاحب فترة الطفرة النفطية من مظاهر الاستهلاك السلبي الذي تحالف مع ضعف الانتماء إلى الهوية الإسلامية لكي يقض مضجع الأسرة، ويزلزل كيانها.

إن أموراً وإجراءات لابد أن تتخذ لدعم استقرار الأسرة، بعد تربية النشء تربية صالحة على هوية إسلامية عربية واضحة من مثل: توفير السكن اللائق، ودعم الأمهات العاملات، وتيسير التقاعد المبكر لهن مع كافة

المميزات، وتمويل رياض الأطفال والحضانات، وتوفير المواصلات اللائقة للمدارس، وتوفير الدعم الصحي والغذائي للأطفال، وتشجيع ودعم دور المسجد والنشاط الأهلي في تماسك الأسرة، وتوفير العلاج النفسي والاجتماعي للأسر المفككة.

٤- تفعيل المشاركة الشعبية: مما يشيع الطمأنينة والأمان لدى أفراد المجتمع وفئاته هو تفعيل المشاركة الشعبية في تحديد ورسم مستقبل البلاد وخطط التنمية وكافة القضايا التي تهم الإنسان في معيشته، كالتربية والبيئة

والسكن والصحة والرياضة والثقافة والإعلام وغيرها.. وندعو هنا إلى ألا يُكتفى بدور الشعب في مراقبة ومحاسبة أداء الحكومة فحسب، بل لابد من المشاركة الشعبية المتخصصة في مجالس تُنشأ لإدارة السياسات العامة لشتى المجالات التي تهم المواطن.

هـ- تطوير منظومة الأمن الداخلي، ورفع كفاءتها، وإعادة ترتيب أولوياتها؛ لتقوم بالدرجة الأولى بدورها في حماية الأفراد في المجتمع من كافة ألوان التعدي على أرواحهم أو أعراضهم أو حرياتهم الشرعية أو أموالهم وممتلكاتهم.

ثانياً: في المجال الاقتصادي؛

أما الأولوية الأخرى التي نطمح إلى أن نفعلها في المرحلة القادمة فهي المجال الاقتصادي.. وتحديدًا نريد العمل على توسعة الطبقة المتوسطة في المجتمع على حساب الطبقات الفقيرة. ويعني ذلك رفع مستوى نوعية الحياة التي يحياها الشعب البحريني، وفتح فرصة

«إن التنمية الاقتصادية الحقّة لأي بلد يجب أن تُبنى في المقام الأول على قدرة علمية وبحثية رصينة، وعلى قاعدة تكنولوجية متينة، واستغلال هذه القدرة وحسن توظيفها في القطاعات الأساسية»

أكبر للدولة لكي تستفيد من الطاقات البشرية الكامنة في المجتمع؛ لمزيد من التنمية والتفوق الإقليمي والعالمي على المستوى الاقتصادي.

ولتحقيق هذا الأمر هناك إجراءات تعتبر مباشرة وإجراءات كبرى بعيدة المدى، أما الإجراءات المباشرة فتتمثل في:

- إحلال العمالة الوطنية محل الأجنبية بشكل منظم.
- توفير التعليم الجامعي المجاني للمؤهلين من أبناء الوطن.
- منع الاحتكار وضمان تكافؤ الفرص للجميع.
- تفعيل فريضة الزكاة.
- وضع حد أدنى للرواتب.
- توسعة نطاق وتطوير أنظمة الضمان الاجتماعي، وحماية طبقات الدخل المحدود من الآثار السلبية للخصخصة. وتتمثل الإجراءات الكبرى البعيدة المدى في:

١- أن التنمية الاقتصادية الحقّة لأي بلد يجب أن تُبنى في المقام الأول على قدرة علمية وبحثية رصينة، وعلى قاعدة تكنولوجية متينة، واستغلال هذه القدرة وحسن توظيفها في القطاعات الأساسية وهي: الزراعة والصناعة والتعليم والإعلام والنقل والصحة والبيئة.

إن خلق هذه القاعدة وحسن استغلالها

«إننا نؤمن بأن مسألة الوحدة
الخليجية هي قضية اقتصادية
وأمنية، وتمس بشكل مباشر رفاه
الوطن ومعيشة المواطنين»

لرفع الكفاءة، وتقليل الهدر، وإنشاء بنية
جيدة للاستثمار.

٤- التوجه نحو التكامل الخليجي وصولاً إلى
الوحدة الكونفيدرالية أو الفيدرالية.

إننا نؤمن بأن مسألة الوحدة الخليجية هي
قضية اقتصادية وأمنية، وتمس بشكل مباشر
رفاه الوطن ومعيشة المواطنين.. إذ أنه في
عصر العولمة السياسية والاقتصادية هذا

سيكونان العامل الحاسم في تسريع وتيرة
النمو في القطاعين الاقتصادي والاجتماعي.

من هنا فإن هذا الهدف يمكن أن تجتمع
عليه كافة شرائح المجتمع بأطيافه المختلفة،
فيتحول هذا الهدف إلى قضية كبرى تتوحد
عليها الأمة صغيرها وكبيرها، كما حدث في
اليابان أو ألمانيا أو سنغافورة وغيرها من
التجارب الناجحة.

٢- محاربة الفساد الإداري والمالي وفضح
المفسدين ومحاسبتهم بالقانون.

٣- التوجه السريع نحو تطبيق التقنية الحديثة
والتحول إلى الحكومة الإلكترونية وذلك



أضحت الوحدة الخليجية ضرورة اقتصادية وسياسية وأمنية أكثر من أي وقت مضى.

كانت سيادة الدولة متضخمة وموجهة إلى داخل حدودها، وإلى مواطنيها، بينما هي شبه معدومة في الخارج، وهي تابعة لمشاريع الدول الكبرى، مما أدى إلى ضعف التماسك الداخلي، وفقدان السلم الاجتماعي، وفشل خطط التنمية، واستشراف الفساد الإداري والمالي.

أما الآن ولله الحمد فإنه يعاد بناء الدولة على أسس تفويض المجتمع وإشراكه في عملية البناء.. وما نحتاج إليه الآن هو التكتل الخارجي مع الإخوان في الخليج والجزيرة، الأمر الذي يمنحنا سيادة حقيقية أمام تيارات العولمة الرأسمالية الجارفة.

الذي نحياء، وفي ظل «اتفاقيات الجات» فإنه لا مكان للدويلات الصغيرة، ولا سيادة حقيقية لها، ومن دون أن تتكتل سياسياً واقتصادياً مع جيرانها فإنها تصبح نهباً للشركات والدول الكبرى، وسوف تتعرض للتبعية الكاملة لكافة المشاريع المعادية التي نريدنا أسواقاً لمنتجاتها وتابعة لثقافتها.

ويأتي على رأس تلك المشاريع المعادية المشروع الصهيوني الغربي. لذا فالتوجه نحو الوحدة الخليجية ضرورة اقتصادية وسياسية وأمنية وثقافية..

وأحب أن أشير في معرض حديثي هنا عن مبدأ سيادة الدولة إلى أنه في السابق



«إن التوجه نحو الوحدة الخليجية ضرورة اقتصادية وسياسية وأمنية وثقافية.. وما نحتاج إليه الآن هو التكتل الخارجي مع الإخوان في الخليج والجزيرة، الأمر الذي يمنحنا سيادة حقيقية أمام تيارات العولمة الرأسمالية الجارفة»

- ٥- وضع الأسس وإيجاد المناخ المناسب وتكوين الآليات لتأسيس اقتصاد متين، ينمو باستمرار.. ومن أهم هذه الآليات:
- تفعيل القطاع الخاص الوطني وحماية التنافس الحر وتكافؤ الفرص.
 - تأهيل القيادات الإدارية الوطنية.
 - فتح الأسواق الخارجية للصناعة الوطنية.
 - تشجيع الرساميل الوطنية ثم الأجنبية على الاستثمار داخل البلاد.
 - الالتزام بمعايير الجودة.



منهجية التفكير حول: الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية*

أولاً: الأسلوب العلمي في الحوار

أود في بداية هذه الورقة أن أشير إلى أن نجاحنا في تحقيق أهداف هذا اللقاء يتمثل في مدى حرصنا على استخدام الأسلوب العلمي في الحوار، ويفرض علينا هذا الأسلوب أن نحدد في البداية المشكلة أو الظاهرة أو الموقف المطروح للبحث، ثم نبين الأسباب والتغيرات التي أدت إلى ظهور هذه المشكلة، ونحاول بعد ذلك تحديد البدائل المختلفة لمواجهة الظاهرة أو الموقف المطروح للنقاش، والتوصل إلى اتفاق في الآراء حول البديل الذي يمثل الحل المناسب للمشكلة.

وفي تقديري أن اتباع هذا المنهج العلمي سوف يجنبنا الانزلاق إلى متاهات المناقشات النظرية البحتة أو الوقوع في أسر فكر بعينه، ويضمن لنا التعمق في دراسة الواقع والاستفادة منه، ويتيح لنا القدرة على احترام جميع الآراء العلمية المطروحة والاستزادة منها، ومن ثم تعديل المواقف والآراء التي لا تتوافق مع هدف التوصل إلى حد أدنى من الوحدة الفكرية حول صلاحيات السلطة التشريعية.

تحديد وتشخيص المشكلة: تتمثل المشكلة

التي نواجهها في اختلاف الآراء والمواقف حول صلاحيات السلطة التشريعية حسبما تحدت في دستور مملكة البحرين الصادر في عام ٢٠٠٢ ميلادية، بمعنى أنه لا يوجد توافق وطني بين كافة الاتجاهات حول مفهوم ومضمون هذه الصلاحيات.

أسباب المشكلة: ترجع أسباب هذه المشكلة إلى وجود ثلاثة اتجاهات رئيسية هي:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه المؤيد لصلاحيات السلطة التشريعية الواردة في الدستور.

ويستند هذا الاتجاه في أهم مقولاته إلى أن صلاحيات السلطة التشريعية المحددة في الدستور تلائم وتناسب واقع المجتمع وظروفه ومتطلبات استقراره، وأن الدروس المستفادة من تجربة المجلس الوطني السابق تحتم الاستفادة منها وعدم تجاهلها، وأنه يجب عدم التسرع في الحكم على صلاحيات السلطة التشريعية قبل مضي فترة مناسبة تنضج فيها التجربة وتستبين إيجابياتها وسلبياتها، وبعد ذلك يمكن البحث والنظر في وسائل معالجة هذه السلبيات، كما يستند هذا الاتجاه في موقفه إلى أن الديمقراطية تنبع

* ورقة العمل التي قدمها خلال الندوة التي نظمتها جمعية المنبر الوطني الإسلامي حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية في البحرين بتاريخ الثلاثاء ٩ ديسمبر ٢٠٠٣م.

حسن سير العمل البرلماني، ويمنع الاستبداد أو التحكم في سلطة التشريع في مواجهة السلطات الأخرى، ويتلافى احتمالات الخطأ أو التسرع في التشريع، ويحقق المصلحة العامة للمجتمع من خلال تقليل احتمالات التصادم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وينتهي هذا الاتجاه إلى القول: إن الدستور قَصَر الاختصاص الرقابي المتمثل في الاستجواب وطرح الثقة بالوزراء ولجان التحقيق على مجلس النواب المنتخب وهي ضمانات تمثل لب وجوهر اختصاصات السلطة التشريعية.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه المعارض لصلاحيات السلطة التشريعية الواردة في الدستور.

من الواقع واحتياجاته، وهي وإن كانت تتطلب الاستفادة من تجارب الدول الأخرى إلا أن هذه الاستفادة تظل محكومة بمدى تناسبها مع ظروف ومتطلبات هذا الواقع، وبمعنى آخر إن مفاهيم الديمقراطية لا تستورد من الخارج، ولا تفرض على المجتمع من تجارب خارجية، بالإضافة إلى أن الديمقراطية تعتبر كائناً حياً ينمو ويتطور مع نمو وتطور المجتمع. ويضيف هذا الاتجاه إلى أن الشعب أجمع بموافقته على الميثاق على الأخذ بنظام المجلسين النيابيين، وأن هذا النظام يتناسب مع واقع المجتمع وظروفه، ويتيح الاستفادة من آراء وأفكار ذوي العلم والخبرة التي يضمها المجلس المعين، وضمان تفاعلها مع الاتجاهات التي يضمها المجلس المنتخب على نحو يضمن



السلطة، ومفهوم المملكة الدستورية، وحكم الأغلبية إلى غير ذلك من الآراء والأفكار المدعمة لوجهة نظره الأساسية وهي الوقوف موقف المعارض لطريقة إصدار دستور ٢٠٠٢ ومضمونه وغاياته ومن ثم مقاطعة المشاركة بفاعلية في مسيرة التطوير الحضاري الشامل للمجتمع.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الذي ينادي بقراءة متأنية لنصوص الدستور، والسعي إلى تحقيق التوافق الوطني حول اختصاصات السلطة التشريعية من خلال الممارسة الواقعية.

ويستند هذا الاتجاه -في أهم مقولاته- إلى أن الدستور حدّد من صلاحيات السلطة التشريعية، وفرض تحكم السلطة التنفيذية في تسيير أعمالها، من خلال النص على وجوب إحالة مقترحات تعديل الدستور أو القوانين التي يوافق عليها أي من المجلسين إلى الحكومة لوضعه في صيغة مشروع تعديل للدستور أو مشروع قانون، ويضيف هذا الاتجاه إلى أن إجماع الشعب على الميثاق مبناه قصر سلطة التشريع على مجلس النواب، وأن يقتصر عمل مجلس الشورى على إبداء الرأي والمشورة، لتكون الكلمة الأخيرة للمجلس المنتخب، ثم يطرح هذا الاتجاه عدة آراء حول تداول

الاتجاه الثاني

معارض لصلاحيات السلطة التشريعية الواردة في الدستور.

ويستند إلى:

أن الدستور حدّد من صلاحيات السلطة التشريعية، وفرض تحكم السلطة التنفيذية في تسيير أعمالها، وأن إجماع الشعب على الميثاق مبناه قصر سلطة التشريع على مجلس النواب.

الاتجاه الأول

مؤيد لصلاحيات السلطة التشريعية الواردة في دستور مملكة البحرين لعام ٢٠٠٢م.

ويستند إلى:

أن صلاحيات السلطة التشريعية المحددة في الدستور تلائم واقع المجتمع وظروفه ومتطلبات استقراره، وأن الدروس المستفادة من المجلس الوطني السابق تحتم عدم تجاهلها.

المجلس الوطني معبراً عن الإرادة الشعبية
بأكمل صورها ومعانيها.

منهجية التفكير حول البدائل المختلفة لحل المشكلة :

لا يوجد لأي مشكلة حلّ وحيد، وإنما توجد
بدائل متعددة يمثل بعض منها المسار الأكثر
ملائمة لظروف الواقع لحل هذه المشكلة،
ويعتمد نجاحنا في ضمان التحريك والتفاعل
بين طاقات المجتمع البشرية والمادية والدينية
والروحية والثقافية على قدرتنا على تحديد
المسار المناسب لحل المشكلة.

وتعني هذه الحقيقة العلمية أن من يتصورون
أنه لا حل لما اصطلح على تسميته بصلاحيات
السلطة التشريعية سوى تعديل الدستور يقعون
في خطأ منهجي واضح، فالسياسة كما يقول
الأخ الكريم السيد ضياء الموسوي في عموده
بجريدة الوسط بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٣م تحتاج
إلى مرونة، ولا يمكن إدارتها بمنطق الحل
الوحيد أي بمنطق الأسود والأبيض، ويجب
-كما يقول- ألا نهرب من الواقع وأن ننظر إلى
الظروف المحيطة به وطبيعة التوازنات ومراكز
القوى فيه آخذين في الاعتبار ظروف المكان
والزمان والمصالح كلها، وهو أمر يتطلب من
أصحاب كل اتجاه مراجعة أدبياتهم والدخول
في تحالفات جديدة للتوصل إلى صورة
المستقبل المحققة لمصالح المجتمع الأساسية.

ويستند أصحاب هذا الاتجاه -وأنا واحد
منهم- في أهم مقولاتهم إلى أنه يمكن بفهم
أكثر تعمقاً لنصوص الدستور، وبسعي تحكّمه
النوايا الحسنة، وبارساء عرف دستوري تجمع
عليه كافة السلطات، الوصول إلى توافق وطني
حول صلاحيات السلطة التشريعية، ويقدم
هذا الاتجاه مثلاً لما ينادي به يتمثل في أنه
يمكن الاتفاق على أن يمثل بعض أعضاء مجلس
الشورى المجالس المنتخبة لبعض منظمات
المجتمع المدني، من خلال تقديم الجمعيات
السياسية والأهلية ترشيحاتها لجلالة الملك
ليختار من بينها ومن بين أصحاب الخبرات
الأخرى أعضاء مجلس الشورى، وبذلك يكون

الاتجاه الثالث

ينادي بقراءة متأنية لنصوص الدستور
والسعي لتحقيق التوافق الوطني حول
اختصاصات السلطة التشريعية من
خلال الممارسة الواقعية.

ويستند إلى:

أنه يمكن فهم أكثر تعمقاً لنصوص
الدستور، وبسعي تحكّمه النوايا
الحسنة وبارساء عرف دستوري تجمع
عليه كافة السلطات.

ثانياً: الثوابت والمبادئ الأساسية للحوار:

يتطلب الوصول إلى المسار الأمثل لحل المشكلة المختار من بين عدة بدائل التسليم والإيمان بالثوابت والمبادئ التالية:

١- مبدأ الحكم الوراثي في البحرين، وهو المبدأ الذي نص دستور ١٩٧٣ على عدم جواز تعديله وتوافقت عليه جميع الآراء والاتجاهات.

من هنا فإن حوارنا حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية يجب أن ينطلق من موقف وموقع واحد، هو تأييدنا وتسليمنا بالحكم الملكي الدستوري الوراثي للبحرين، وعلى من يعارض أو يختلف مع الإجماع الشعبي على هذا المبدأ أن يعلن ذلك صراحة وبوضوح، حتى لا تغلف اختلافاتنا حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية بأهداف وأغراض مستترة غير دستورية وتخالف الإجماع الشعبي.

٢- إن الهدف الاستراتيجي الذي نسعى إليه جميعاً مواطنين وجمعيات سياسية ومنظمات

«إن حوارنا حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية يجب أن ينطلق من موقف وموقع واحد، هو تأييدنا وتسليمنا بالحكم الملكي الدستوري الوراثي للبحرين»

للمجتمع المدني هو دعم مسيرة التصحيح التي يقودها صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله ورعاه.

من هنا فإن الجمعيات السياسية مطالبة بتحديد خطّها السياسي بوضوح من خلال الإجابة عن سؤال محدد هو: هل نحن موافقون على أن يكون هدفنا الاستراتيجي هو تأييد ودعم ومؤازرة المشروع الإصلاحي لجلالة الملك؟ أم أن لنا رأياً آخر في تحديد هدفنا الاستراتيجي يصبح معه التعامل مع هذا الهدف مبنياً على اجتهادات فردية أو متوقفاً على ردود أفعالنا للأحداث العارضة؟

إن الاتفاق على الهدف الاستراتيجي يشكل أمراً هاماً وأساسياً للتوصل إلى توافق وطني حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية، وعلى من لا يتفق مع الإجماع الشعبي على هذا الهدف أن يعلن ذلك بوضوح، حتى يمكننا فهم خطّته وبرامجه المرحلية التي تتعارض أو تتناقض مع هذا الهدف الاستراتيجي.

٣- إن الآراء والاتجاهات التي يبديها الجميع حول الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية يجب أن تحظى بالاحترام والتقدير، حتى وإن اختلفنا معها، فتحن جميعاً في سفينة واحدة يقودها ربانها صاحب الجلالة الملك المفدى،

واختلافنا في الرأي ظاهرة صحية طالما توافرت لدينا القدرة على تجاوز هذا الخلاف للوصول إلى توافق وطني يوحد جهودنا على ظهر هذه السفينة.

٤- إن منهجنا في مناقشة الصلاحيات الحقيقية للسلطة التشريعية لا ينطلق من موقف جامد مغلق على نفسه، يفترض عدم إمكانية الوصول إلى توافق وطني، ولسنا ضد النظام أو الحكومة، ولسنا فئات أو مذاهب تتصارع حول قضية معينة، وفي نفس الوقت فإن لنا آراء ووجهات نظر نعارض من خلالها، ولكن من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي، ونختلف فيما بيننا، ولكن من أجل الوصول إلى هذا الهدف، ونحن في ذلك كله لا نعارض من أجل المعارضة، أو تعبيراً عن مصالح طائفية، وإنما من أجل مصلحة البحرين ومصلحة المواطنين بكل فئاتهم وأفكارهم.

٥- إن رفض الواقع ورفض ما يقدمه من نتائج متجددة هو نوع من الجمود الفكري المعبر عن العجز عن مزاجية الفكر بالتطبيق، وعدم القدرة على الاستفادة من الواقع الحي المتجدد، وهو أمر ينتهي بأصحابه إلى الانعزال وفقدان الفاعلية، والسير في دروب مسدودة، وهي نتائج يمكن تداركها بالتسلح بمنهج علمي في الدراسة والتحليل نستطيع من خلاله تعديل نظرنا للأمور، وتطوير عملنا بما يتفق

«إن السعي لاكتساب الشعبية والتأييد الجماهيري يكون بالصدق مع النفس ومع المواطنين، وبالعامل الدؤوب على تحديد مشاكلهم الأساسية، وتشخيص آلامهم، والإحساس الصادق بآلامهم»

والظروف الجديدة التي يحتمها تطور المجتمع وحضارته.

٦- إن القيادة السليمة للمواطنين هي القيادة التي لا تتبنى مصالحهم العاجلة على حساب مصالحهم الأساسية والبعيدة، وهي القيادة التي تعمل على تنمية روح الصبر لديهم، وتوعيتهم بالجهود المطلوبة منهم لتنمية المجتمع، ويصبح مفهوم القيادة مضللاً إذا أدى إلى نشر الإحباط واليأس بين المواطنين، أو سعى إلى تفتيت الوحدة الوطنية أو تشتيتها في اتجاهات طائفية أو عنصرية.

٧- إن السعي لاكتساب الشعبية والتأييد الجماهيري يكون بالصدق مع النفس ومع المواطنين، وبالعامل الدؤوب على تحديد مشاكلهم الأساسية، وتشخيص آلامهم، والإحساس الصادق بآلامهم، ثم العمل بجهد وإصرار على إيجاد الحلول الصحيحة لهذه المشاكل من خلال تنظيم حركة المواطنين، وتعبئة قواهم وإمكاناتهم؛ لتنفيذ هذه الحلول، وليس فقط بمطالبة السلطة التنفيذية بأن تمسك بعصا سحرية تحل

دستور ١٩٧٣م، كما أنها تمثل جوهر المشروع الإصلاحي لجلالة الملك، وطالما نحن نطالب المواطنين والجمعيات السياسية ومنظمات المجتمع المدني بمساندة ودعم هذا المشروع فإنه من غير المقبول أن تتراجع السلطة التنفيذية عن هذه الالتزامات.

بها هذه المشاكل دفعة واحدة وفي وقت واحد. إن القيادات الحقيقية هي التي تتقدم الصفوف، وتوجّه وتصحّ وتنظم طاقات وإمكانيات المواطنين، وليست هي القيادات التي تسير خلف الصفوف وتتقاد إلى مشاعر وأحاسيس غاضبة أو متحمسة، وتعمل في الوقت نفسه على إثارة مشاعر المواطنين بتهييجهم.

٨- إن السلطة التنفيذية يجب أن تؤمن بأهمية الجمعيات السياسية وضرورة تمكينها من أداء دورها بحرية وفاعلية، ومن هنا فإنها تتحمل مسؤولية إدارة الحوار مع هذه الجمعيات حول جميع القضايا، وإتاحة الفرص أمامها للتعبير عن آرائها ومواقفها طالما أنها تلتزم بالهدف الاستراتيجي وهو دعم مسيرة التصحيح وإعادة البناء التي يقودها جلالته الملك، وطالما أنها تحترم القانون، وفي إطار هذا المبدأ يصبح من غير المقبول وجود صراعات بين السلطة التنفيذية والجمعيات السياسية، ويجب أن يكون التعاون والتفاهم والتشاور والحوار هو البديل الأساسي لهذا الصراع.

٩- إن السلطة التنفيذية يجب أن تعمل بكل جدية ووضوح على الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، وبمبادئ الحرية والمساواة، وهي أحكام تم الاتفاق على عدم جواز تعديلها في



بتكاتف جهود جميع المخلصين، وبفهم مشترك وعمل موحد يسرع بخطانا نحو تحقيق ما نصبو إليه من آمال، وهو جهد يتطلب حواراً متصلاً في ورش عمل متتالية تكفل لنا تمهيد رقعة الأرض لنقف عليها صفاً واحداً للوصول إلى التوافق الوطني المنشود.

إن إيماننا بالثوابت والمبادئ -السابق إيضاحها- سوف يحقق لنا الأرضية العلمية المشتركة التي يمكن أن ننطلق منها جميعاً للوصول إلى توافق وطني حول صلاحيات السلطة التشريعية، وبذلك نسهم بجهد مخلص وبناء في الانطلاق نحو المستقبل





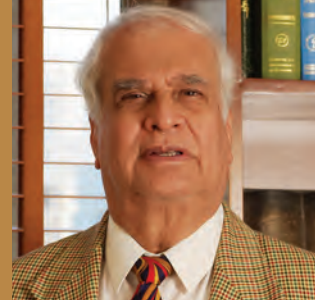
صاحب السمو الملكي الأمير
خليفة بن سلمان آل خليفة
رئيس الوزراء الموقر، يكرم
الشيخ عيسى بن محمد آل
خليفة في احتفالية رواد المحرق
(مارس ١٩٩٦م)

الفصل الثامن |

كلمات في حقّه

محطات عبر الزمان و المكان

بقلم: الأستاذ حسين راشد الصباح
سفير بحريني سابق



يحلولنا أن ندخل بيت الشيخ عبد الله مارّين ببيت الشيخ راشد بن عبد الله المؤدي إلى بيت أحمد بن سلمان مطر حيث كانت الأبواب مشرعة بين هذه البيوت الثلاثة ليلاً و نهاراً تربطها أواصر الجيرة والمحبة والمودة. وهذا الممر الآمن يوفر لنا نحن الصغار الوصول إلى «بيت بن مطر» من بابه الخلفي بدل المرور عبر دواعيس (أزقة) بعيدة نسبياً، وأن ذهابنا وإيابنا إلى مدرسة الهداية الخليفية الابتدائية تستلزم منا المرور في طريق يقع بين بيت الشيخ محمد بن عبد الله آل خليفة والد الشيخ عيسى وجده الشيخ عبد الله بن عيسى وزير المعارف، وإذا كنّا محظوظين فإن كلاب الصيد (السلوقية) العائدة لوزير المعارف ساعة مرورنا تبدو وديعة تغض الطرف عنا، أما إذا كانت مكشرة الأنياب لسبب من الأسباب فاعتمادنا آنذاك على العناية الإلهية التي تحمينا من غضبها وبطشها!

تعود معرفتي الشخصية بالشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله آل خليفة وأفراد أسرته الكريمة إلى بداية سنوات الخمسينيات من القرن العشرين الماضي، وما ربط بين العائلتين من روابط الجوار والتواصل في مدينتنا المحرق الزاهرة.

إن بيتنا قريب جداً من بيتهم، وهناك تواصل متين بين الأسرتين أذكره بالخير والتقدير قبل سنوات الخمسينيات، وسأضرب هنا مثلاً واحداً يغني عن الخوض في التفاصيل بهذا الشأن: في بداية الخمسينيات من القرن المنصرم كان سمو الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة - المؤرخ والأديب والمسؤول الكبير والذي عُرف بتأليف كتاب «البحرين عبر التاريخ» مع الأستاذ عبد الملك الحمر - خال الشيخ عيسى يسكن شمال مسجد الشيخ محمد الحجازي عالم الدين المعروف، وكان بيتنا يقع جنوب هذا المسجد تماماً، كنا أطفالاً صغاراً حيث

وإذا عرّجنا إلى خلف بيت الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة نمرّ على دار واسعة الأرجاء لها شبابيك تطلّ منها صقور الصيد رابضة حيث نمتع ناظرينا ونبهج أنفسنا.

وحزنت كثيراً عندما هُدم مجلس الشيخ عبدالله واختفت الساحة التي أمامه حيث تقام فيها رقصة «العرضة» العربية الجميلة و«الرّزيف». إنه تراث عربي جميل كان من الواجب الحفاظ عليه من الاندثار والضياع، وقد سعدت أخيراً بجهود الشّيخة مي الخليفة وزيرة الثقافة في الحفاظ على دور التراث التقليدية في المحرق والمنامة ومنها عمارة «بن مطر» والتي تعد من أجمل وأبهى دور العمارة البحرينية التقليدية القديمة وقد ألبستُ ثوباً قشيباً. إنه معلم حضاري وموقع تاريخي وسياحي جميل في مدينة المحرق، كما أنه رمز لماض بحريني عريق وهو مصدر فخر واعتزاز للبحرين.

أما والد الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة فإنه رائد من رواد الإصلاح، ويتسم بالحيوية والنشاط والحركة. إن هذه الصفات هي جزء من شخصيته وكيانه، وإن الحياة المتدفقة القوية والفاعلة تجري في دمه وعروق أبنائه بعد ذلك، وإن الإحساس والشعور بالمسؤولية والرؤية الصائبة كلها عوامل هامة في تمتعه بالريادة الخلاقة، فلا غرو بعد ذلك أن يقوم

بتأسيس النادي الثقافى والأدبي في عام ١٩٢١م في مدينة المحرق وكان رئيساً وراعياً له، وضم في عضويته نخبة متميزة من أبناء البحرين وأبناء العروبة البررة منهم: عبدالله الزايد وقاسم الشيراوي وأحمد الشيراوي ومحمد صالح خنجي المدرس الفذ الذي درستُ على يديه دروس اللغة العربية في ثانوية المنامة بدءاً من عام ١٩٥٣م وكذلك سلمان التاجر وخالد الفرج وعبد الله الفرج من الكويت والمصري اللامع حافظ وهبة. إن فكر مؤسس هذا النادي في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الخليج العربي قائم على الإصلاح الداخلي ومحاولة تقليص النفوذ البريطاني في البحرين والإمارات العربية الأخرى، وزار البحرين في تلك الحقبة مفكرون وأدباء عرب آخرون يشار إليهم بالبنان، وعلى رأسهم المؤرخ اللبناني أمين الريحاني والأديب التونسي الجزائري الأصل عبدالعزيز الثعالبي والشنقيطي.

استمر ذلك النادي في نشاطه الكبير وتأدية رسالته الإنسانية حتى عام ١٩٣٧م. ومن الجدير بالذكر أنه في عام ١٩٢٧م تم تكريم وتتويج الشاعر المصري الكبير أحمد شوقي بإمارة الشعر، وقام عبد الله الزايد الذي تولى رئاسة النادي الثقافى بعد ذلك باستجلاب أول مطبعة آلية جديدة إلى البحرين وذلك في عام ١٩٣٩م، حيث أصدر أول جريدة في

البحرين، فكانت عاملاً مهماً في إثراء الثقافة ونشرها، بل وتوطينها في البحرين وإمارات الخليج الأخرى.

وكان الشيخ محمد بن عبدالله بن عيسى آل خليفة وصديقه عبدالله الزايد وأعضاء النادي يدعون كل العرب في تلك السنوات المبكرة إلى تكوين الجامعة العربية، وتحقيق آمال العرب وتطلعاتهم في إقامة وحدة قوية ورصينة بين شعوبهم ودولهم. وقد تمّ لاحقاً إقرار ميثاق جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م بشكل توافقي بين الدول المؤسسة، حيث برز بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبتشجيع ودعم من بريطانيا، فصارت جامعة دول وحكومات أكثر منها جامعة شعوب. ترى هل تحقق الجامعة العربية اليوم الوحدة بين الشعوب العربية كما نادى مؤسسو النادي الثقافي بالبحرين آنذاك؟

ومن أجمل الذكريات وأكثرها التصاقاً بكياني ووجداني وقرباً إلى نفسي متجر الوالد العزيز راشد الصباغ رحمه الله في أول طريق سوق القيصرية بمدينةتنا الزاهرة المحرق والذي يضم خزائن جميلة تحتوي على بضائع متنوعة وغالية الثمن مثل النعال النجدية، والكوفية، والشال الكشميرية، والتي تلبى طلبات أهل الغنى والرفعة، فلم يكن كبقية المتاجر بل كان أقرب إلى مجلس تؤمه

شخصيات على قدر من الثقافة والوجاهة والصيت الاجتماعي، منهم: قاسم الشيراوي وإبراهيم سلمان بن مطر وناصر آل خليفة، وإبراهيم حسن كمال السكرتير الأثير للشيخ عبد الله بن عيسى آل خليفة وزير المعارف، ومن الجدير بالذكر أن له دوراً بارزاً في تاريخ الصحافة البحرينية فهو أحد روادها الأوائل والمؤسسين لها من أوائل الخمسينيات من القرن العشرين. شارك مع محمود المردي وحسن الجشي وعبد العزيز الشمالان وآخرين في إصدار أول مجلة في البلاد هي «صوت البحرين» في عام ١٩٥٠م. وهو -أي الأستاذ إبراهيم كمال- مديرها المسؤول، وكانت مجلة أدبية واجتماعية، تعنى في المقام الأول بشؤون الفكر والأدب. وأذكر جيداً خلال عملي في وزارة الإعلام عام ١٩٧٠م أنه أصدر مجلة «المجتمع الجديد»، وهي مجلة أسبوعية اجتماعية أدبية أكثر منها سياسية صدرت في أبريل ١٩٧٠م، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٧٣م. ومن ناحية أخرى فقد لعب الأستاذ إبراهيم حسن كمال دوراً بارزاً في خدمة المجتمع وتطوعه في المجال الخيري، وشارك في عضوية مجالس إدارات المجهود الحربي، وجمعية الأطفال المعوقين، وجمعية رعاية الطفولة والأمومة وغير ذلك من أنشطة اجتماعية رائدة.

وما أكثرها آنذاك في بلداننا العربية. ومن حسن الحظ أنني التقيت أحمد علي الشيراوي في القاهرة هذا البحريني المثقف. وفي قهوة اكسايسور الملاصقة لسينما مترو الشهيرة في شارع

سليمان باشا حيث كان يطيب له ارتياده عندما يكون في القاهرة وأنا بمعيته. كان معجباً بثورة ١٩١٩م ويقول إنها ثورة حقيقية لأن الذي قام بها هو الشعب المصري بقيادة مدنية واعية وخالصة، وشتان ما بين حركة الضباط الأحرار في مصر ١٩٥٢م وثورة مصر ١٩١٩م. وقد التقيت أحمد الشيراوي لاحقاً في نادي الإصلاح ونادي البحرين في المحرق، ووجدته ثابتاً على رأيه، بل ومصرأً عليه وهو متأثر هنا بالمفكرين المصريين الكبار أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد.

ويقابل دكان الوالد المكتبة العصرية لصاحبها المرحوم عبدالله الجودر وما تضمه من كتب التراث العربي والإسلامي وكتب للعقاد وطه حسين وإبراهيم المازني وكتابه الموسوم «حصاد الهشيم» وغيرهم من المفكرين وأدباء مصر والبلاد العربية الأخرى، كما

من أجمل الذكريات وأكثرها التصاقاً بكياني ووجداني وقرباً إلى نفسي متجر الوالد العزيز راشد الصباغ رحمه الله في أول طريق سوق القيصرية بمدينة الزاهرة المحرق.

وكثيراً ما رافقت الوالد قبل صلاة المغرب إلى مجلس صديقه قاسم الشيراوي الذي يضم أولئك الرجال الأنف ذكرهم. وإن ما تعيه ذاكرتي آنذاك أنهم يتحدثون كثيراً عن مصر قلب

الأمة العربية النابض، وعن ثورة ١٩١٩م والزعيم سعد زغلول وحزب الوفد والسعديين ومصطفى النحاس، وكثيراً ما تحدثوا عن روح مصر الوثابة وحضارتها العظيمة، وأن ثورتها حضارية وفكرية وسياسية، وكثيراً ما تحدثوا عن الشعراء المصريين وعلى رأسهم أحمد شوقي، ويركزون في أقوالهم على حرية القول والعمل والوعي المستقل وعن التحديث السياسي للدولة والنظم والمؤسسات تماشياً مع آمال وتطلعات شعب البحرين، وتحديث مؤسسات البلاد نحو المزيد من التقدم والحوار الحضاري.

وفي ذلك الوقت المبكر حيث لم يستقم عودي ولم أشب على الطوق لم أكن أعني ما معنى الثورة. وقد أتيج لي أثناء سنوات دراستي الجامعية في مصر خلال سنوات الخمسينيات والستينيات أن أفرق ما بين الثورة والانقلابات،

إقامة مسرح للتمثيل مُثلت فيه بعض رواياته الشعرية، وكان المعاودة من أقطاب الحركة الوطنية وكان صوتها الشعري حيث عبّر عن مشاعر شعبه ونبض الشارع فيه.

ومن الشخصيات التي لا تزال مؤثرة وعالقة في ذهني شخصية الخياط المرموق عبد اللطيف المريسي وهو من الزبير، نجدي الأصل. كان الوالد راشد يرسلنا إليه وإخوتي حيث يفصل لنا ثيابنا صيفاً و شتاءً. كان خياطاً مثقفاً وأديباً ولا تخطئ العين في غرفة الخياطة مكتبته العامرة بكتب الشعر والأدب والتراث، وهذه المكتبة تذكرني بمكتبة الوالد في غرفته والتي تضم كتباً كثيرة متنوعة في الدين والأدب يقول الوالد أنه ورثها عن والده حسين الذي كان يمتهن تجارة البزّ إلى جانب بيع الكتب. كما أنه أنيق في ملبسه وثيابه وهو يجوب أزقة المحرق، ويبدو حذاؤه واضح اللمعان بالرغم أنه يسير في أزقة كثيرة الحفر و«البواليع» والأوساخ، وأخاله يسير في شوارع لندن أو ساحة «الشانزليزية» في باريس، وفي حوش بيته وعند المدخل شجرة ياسمين، حيث رائحتها العطرة تزكم الأنوف، وتعبق المكان، وتضفي جمالاً وبهاءً عليها، وتغوض الزائر عناء ومشقة تلك الأزقة.

وفي خضم حديث الذكريات عن المحرق لابد من التطرق إلى نادي الإصلاح الموجود منذ

تضم من التراث العربي كإحياء علوم الدين للإمام الغزالي. وكنا نشترى صحف البحرين المتواضعة مثل الخميعة والمجلات المصرية كالمصور وآخر ساعة والاثنين، إلى جانب مجلات دار الهلال المشهورة. إنها عامل هام في تلك الأيام تحمل لنا نحن الصغار رسالة التنوير والمعرفة.

ومن ذكرياتي عن مدينة المحرق تعرّفي المبكر عن قرب على الشاعر والأستاذ عبد الرحمن قاسم المعاودة في بداية ١٩٥٠م وأنا في الصف الأول الابتدائي في مدرسة الهداية الخليفية، لقد أرسلني الوالد راشد وشقيقي محمد إلى مجلسه الملحق ببيته حيث نتلقى دروساً خصوصية على يديه في اللغة الإنجليزية، وأذكر جيداً خلال الدرس كثيراً ما تحدث عن إعجابه بالمتنبّي وأستاذه أبو تمام ثم يتحدث عن الكفاح الوطني ومحاربة الإنجليز والاستعمار، كان يهدف إلى بث الروح الوطنية فينا. والمعاودة أرسل مع طلبة آخرين عام ١٩٢٨م للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، وشارك في عام ١٩٣٠م في تأسيس النادي الأدبي الثاني وكان قد تأسس أولاً في المحرق كما أشرت عام ١٩٢١م، وفي منتصف الثلاثينيات أسس الأستاذ المعاودة مدرسة الإصلاح الأهلية واشترك مع نادي الإصلاح عام ١٩٤٩م في

سنة ١٩٤١م في المحرق. ففي بداية سنوات الخمسينيات من القرن الماضي قلّ ما يمر يوم دون الذهاب إلى النادي والذي لا يبعد سوى دقائق عدة مشياً على الأقدام من بيتنا، وأجد في هذا النادي

في بداية الخمسينيات قلّ ما يمر يوم دون الذهاب إلى نادي الإصلاح مشياً على الأقدام من بيتنا، وأجد في هذا النادي مع أقران لي من الطلبة في المرحلة الابتدائية ضالتنا المنشودة.

مع أقران لي من الطلبة في المرحلة الابتدائية ضالتنا المنشودة والمتمثلة في الاطلاع على الكتب والصحف المتاحة، واستمتعنا لاحقاً بمتابعة برامج حلقات المصارعة التي تبث من تلفزيون شركة أرامكو للنفط إلى جانب حلقات الكرتون المشوقة، وكان صوت وتعليق أستاذنا عيسى الجودر المحب لنفوسنا يشدنا إلى متابعة حلقات المصارعة تلك.

وإذا انتقلنا من ذكريات البحرين إلى أهم الذكريات في مصر فإن ما يتبادر إلى ذهني خلال منتصف سنوات الخمسينيات وأنا في مصر للدراسة منزل الشيخ عيسى بن محمد وإخوته في حلوان والذي يحمل رقم ٢٢ شارع جعفر. وقد أفاض الشيخ عيسى - في الحديث خلال هذا الكتاب - بصورة وافية عن حلوان ونسيج العلاقات التي كونها وأشقائها عبدالعزيز وإبراهيم وسلمان مع عائلات

مصرية كريمة مختلفة في حلوان، ولعل أهمها عائلة المفكر الإسلامي والأديب سيد قطب الذي أعدم خلال عام ١٩٦٦م بعد إصداره كتاب «معالم في الطريق» حيث لم يرق لأهل الحكم في مصر

وكان آنذاك نزيلاً في سجن أبو زعبل الرهيب مع سجناء الفكر والعقيدة من جماعة الإخوان المسلمين وآخرين.

عرفت سيد قطب الأديب والناقد من خلال كتابه «النقد الأدبي» الذي كان نبزاً وهادياً ومعيناً لدارسي الأدب والنقد، وكان سيد قطب سكرتيراً لطله حسين إبان عمله كوزير للمعارف. وقد بعثه طه حسين إلى أمريكا للدراسة والاطلاع على معالم الحضارة والثقافة فيها. وكان الأستاذ العقاد في صالونه كثيراً ما أشاد بقريحة سيد قطب الأدبية والنقدية. وكنت من مريدي صالون العقاد آنذاك، فقرأت جلّ كتبه بعمق واهتمام وروية، ومنها التصوير الفني في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، وكتابه المهم «كتب وشخصيات» حيث تناول فيه النقد الحقيقي وهو صحة الحكم على المثال وكشف الطبيعة الفنية وراء الأعمال

على يديه مادة الجغرافيا بكلية الآداب. وقد تعرض الدكتور جمال من إدارة جامعة القاهرة للظلم والمضايقات والاضطهاد، إلا أن الأستاذ الدكتور عبد المنعم الشرقاوي سجن وعذب ظلماً وعدواناً كما ذكر شقيقه الشاعر والأديب عبد الرحمن الشرقاوي.

كما تحدث الشيخ عيسى في الكتاب عن الجوانب السياسية في مصر وحزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس وجماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها حسن البنا، وكان مرشدها آنذاك حسن الهضيبي.

كان بيت الشيخ عيسى بن محمد وأشقائه في حلوان معلماً شامخاً تقطنه معهم والدتهم المرحومة الشيخة نيلة بنت خالد، وفي كنفها ورعايتها ترعرع أبناؤها، فقد كانت رمزاً كريماً لأسرتهم وللبحرين في ذلك الوقت. إنها ماثلة وحيّة في الذاكرة. الضيافة والكرم ديدن هذه العائلة الكريمة في الديار المصرية يقصدها محبوهم وأصدقاؤهم، ووالدتهم امرأة مثقفة كانت تحرص على شراء أكثر من نسخة من المجلات المصرية حيث في إمكاننا أن نحصل على بغيتنا منها تحت إصرار ورغبة منها، ومائدتهم عامرة ومرحبة بأبناء البحرين الدارسين في مصر في ذلك الوقت وكذلك لكل شخصية تزور مصر من البحرين بما فيها عبد الرحمن الباكر أمين عام «الهيئة

الأدبية، واستشهد بأعمال أدبية هامة لكل من العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم وأحمد أمين، وكتبه الموسومة «فجر الإسلام» و «ضحى الإسلام» وغيرها، وقد تناولها بالدرس والتمحيص.

وفي منزلي في «العجوزة» خلال الدراسة الجامعية بداية الستينيات كنت والصديق الدكتور الشيخ محمد بن عبد الله آل خليفة وزير الدولة لشؤون الدفاع حالياً نستذكر كتابات المرحوم سيد قطب في الأدب والفكر ولا سيما تفسيره للقرآن الكريم «في ظلال القرآن». إنها أوقات جميلة تبقى ذكراها العطرة ماثلة في الذهن والوجدان، ولسيد قطب كتيب صغير هو «أفراح الروح» وهي رسالة حميمة بعثها إلى أخته أمينة حول الموت عام ١٩٥٩م. وإن ما ذكرته عن سيد قطب يجعلني أشير إلى القاضي الفاضل عبد القادر عودة وكتابه القيم حول «الإسلام وأوضاعنا القانونية» ويقول: إن على القضاة البعد عن التزوير والتدليس، وأنه لا بد من الحفاظ على الأصول والقواعد. وقد أعدم القاضي عودة بعد مشاركته في مظاهرة عارمة جماهيرية إبان سنوات الخمسينيات في عهد الثورة المصرية. ولا بد هنا من الإشارة إلى أستاذنا الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا في كلية الآداب وكتابه الموسوم «شخصية مصر عبر الزمان والمكان»، درست

في وجهي حيث قُبِلَ ابني منذر في مدرسة الإرسالية الأمريكية بجهوده المشكورة خلال عملي الدبلوماسي في طهران وذلك بعد توقّف الدراسة في المدارس الأمريكية في طهران بعد قيام الثورة الإيرانية.

وحلوان تعتبر المشتى المفضل حيث تعقد فيها الحكومة المصرية اجتماعاتها الشتوية طلباً للدفء والراحة، ومن المعالم الجميلة في حلوان الحديقة اليابانية بنسقتها الياباني الخلاق. وتحيط بها مكتبة عامرة بكتب المعارف والتراث والصحف والمجلات، كما يقع على أحد جوانبها منزل عبدالرحمن عزام أمين عام الجامعة العربية، وقد شاهدت الشاعر الشعبي التونسي المصري الشهير بيرم

التنفيذية العليا» وغيرهم من شخصيات بحرينية زارتهم إلى جانب شخصيات مصرية مرموقة منها حسن عبدالمقصود رئيس تحرير مجلة الأنصار وهو من الرعيل الأول لهذه الجماعة وقُلْ مثل ذلك عن بيتهم الجميل في المعادي، وحديثهم الغناء بورودها وأشجارها الباسقات، وإن إخوة الشيخ عيسى: عبدالرحمن وعبدالعزیز وسلمان يتمتعون بحس فني رفيع، وفي بيتهم في حلوان لوحات فنية رسمتها أنامل الشيخ عبدالعزیز، وتمثال نصفي لعميد الأدب العربي طه حسين، ولن أنسى جميل الشيخ عبدالعزیز عندما كان وزيراً للتربية والتعليم في عام ١٩٨١م وكنت قد طرقت بابه بعد أن سُدَّتْ الأبواب



من اليمين: حسين الصباغ - محمد حماد - الشيخ خالد بن عبدالله - الشيخ عيسى بن محمد في رحلة إلى القناطر الخيرية (مارس ١٩٦٢م)

التونسي الذي يعشق هذه الحديقة الجميلة وحديقته الغناء، وما زلت أحفظ بيته الجميل ونحن نمرّ في الوقت الحاضر بمخاض عظيم من التحولات السياسية والاقتصادية في وطننا العربي الكبير والجميل معاً، يقول بيرم:

يا بائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال وكم للمجلس البلدي

وإن بيت بيرم التونسي الشعري يذكّرني بتعليق ساخر للشاعر الشعبي المصري ورسام الكاريكاتير ومؤلف الأغاني الشعبية صلاح جاهين، فقد سجن أيام الرئيس السادات عندما انتقد معاهدة كامب ديفيد للسلام مع إسرائيل بقوله: «كارتر خيرك بدل كتر خيرك»، وأنه صدم بشدة بعد هزيمة ١٩٦٧م، وعانى من حزن مقيم وكمد وكآبة طويلة حتى وفاته.

وفي عين حلوان والتي تبعد عن مدينة حلوان مسافة قريبة في إمكان المرء المشي إليها حيث تنبع المياه الكبريتية الصحية لعلاج الروماتيزم، وهي مياه ساخنة تتدفق بقوة حيث يستمتع الناس بوضع أقدامهم فيها، وزرت هذه العين لآخر مرة صيف ١٩٨٢م. وكم أذهلني وجود الحمير مع البشر، كل يستمتع بهذه المياه على طريقته الخاصة! ومن الأمور الجميلة أن تكون كلية الآداب بجامعة القاهرة وأنا طالب بقسم اللغة العربية فيها

مقابل كلية الحقوق التي يدرس فيها الشيخ عيسى آل خليفة والمرحوم غازي عبدالرحمن القصيبي والشاعر عبدالرحمن رفيع، وفي كلية الحقوق هذه كنت أحرص على حضور المحاضرات المهمة كمحاضرات الشيخ والإمام محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية في مدرجات هذه الكلية و تشدني محاضراته حول الحدود الشرعية ومشروعيتها، وأن الإسلام جعل الحدود لحماية التشريع، وأنه لا بد من تعريف المسلمين لدينهم في المعاملات والعقيدة والأخلاق، أي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، إنها حدود الله لهذا الدين العظيم.

ومن ناحية أخرى حضرت برنامج أحمد فراج «نور على نور» في التلفزيون المصري حيث استضاف مرات عدة الشيخ محمد أبو زهرة، وتحدث بإفاضة حول المرأة العربية المسلمة لتمكينها وموقف الشريعة الإسلامية من ذلك، ولا يداني الشيخ محمد أبو زهرة في حديثه حول المرأة ومكانتها العالية في الشريعة الإسلامية إلا حديث الشيخ محمد الغزالي، والذي كثيراً ما كان ضيفاً في برنامج «نور على نور» في مرات عدة، وكذلك تشدني محاضرات الدكتور محسن شفيق أستاذ القانون التجاري، فطريقة شرحه وإلقائه للمحاضرات محببة للطلبة، وطريقته التمثيلية في الشرح تذكّرني

بالممثل المصري حسن فايق في حركاته وأدائه. وكذلك الحال بالنسبة إلى محاضرات الدكتور أحمد كمال أبوالمجد.

وفي عام ١٩٥٨م حضرت احتفالاً كبيراً في أكبر مدرجات جامعة القاهرة أقيم للرئيس جمال عبدالناصر حيث عقد مؤتمر لرابطة الطلاب الآسيو أفريقي ولأول مرة وعلى المسرح أجد نفسي عن قرب أمام عبدالناصر ذي القامة الطويلة، والطلعة المهيبة، وهو يحدق بعينيه الساحرتين النافذتين في الجمهور الكبير من الحضور، وصوته القوي الجهور أثناء خطبته المدوية العصماء. ولا يخطئ المرء المتفحص أناقته اللافتة، وخطواته الثابتة. يومها كان جيلنا من الشباب العربي يحلم بوطن عربي واحد من الخليج التائر إلى المحيط الهادر، وكانت أجهزة الإعلام وعلى رأسها «صوت العرب» من القاهرة المعز تردد دائماً أننا أمة واحدة ذات أمجاد خالدة، وكان طبعياً أن يتعمق ذلك في شعور العرب وقلوبهم ولا سيما بعد العدوان الثلاثي الفرنسي البريطاني الإسرائيلي على مصر إبان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م، وبالرغم من هزيمة ٦٧ المنكرة، والتي قصمت ظهر العرب فقد ظلت شعبية ناصر باقية مدوية وطالبتة بعدم التنحي، وقالوا لنا يومئذ أنها: «كوبة حصان»، وأنه لا يعلو صوت على صوت المعركة،

ومجابهة العدوان، وإعادة الأرض، واسترداد الكرامة العربية المهدورة.

وأذكر جيداً أن الوالد كان متابعاً لإذاعة لندن وأخبارها وبرامجها. وعند انبثاق إذاعة «صوت العرب» عام ١٩٥٣م أبدى اهتماماً بهذه الإذاعة العربية، وبعد هزيمة ١٩٦٧م هجرة «صوت العرب» هجراً مبيناً لأنها ابتعدت عن الحقيقة والصدق، وجعلت العرب أمة بوراً. ما أعظم شعب مصر إنه شعب ضاحك، إنه أخف شعوب الأرض ظلاً، وإن التاريخ يقول: إن النصر يأتي للبلاد التي يعيش أبنائها أحراراً في حياتهم وفكرهم. إن شعب مصر هو أول أمة آمنت بالتوحيد ومبادئه، وإن الدين بفضائله وقيمه العظيمة هو الوجه الأول لأخلاق أهلها.

وكمواطن عربي عشت في مصر سنوات للدراسة والتحصيل العلمي فقد عشت أحداثاً هامة، وإن هزيمة ١٩٦٧م المنكرة هزتني من الأعماق، إنها لا تزال ماثلة في شعوري ونفسي، وإن كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣م قد خففت من وطأة هذه الأحزان لأنها أعادت إلينا بعض الكرامة المهدورة. وفي مصر عاصرت تحديد ملكية الأرض المزروعة الذي لم يحسن تطبيقه، وكذا الحال بالنسبة إلى قوانين التأميم وولاية الدولة على المصانع والشركات، فقد كانت بحاجة إلى كفاءات مخلصه تديرها، وهذا

لم يكن متوافراً إطلاقاً، وإن الثقة والولاء غير كافية، فلا بد أن يتحلوا بالعلم والخبرة والدراية والتجربة. إن تلك القوانين رافقتها سوء التطبيق والقصور بسبب اختيار تلك الكفاءات. ومن خلال مراقبتي لعمل الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي لمست هناك قصوراً وتقصيراً في الأداء. كنت أتطلع إلى اشتراكية الرخاء والغنى، لا اشتراكية الفقر والعوز والجوع. وكان هناك قانون التطهير والعزل، إنها قوانين التعسف والطغيان والظلم، إذ لا بد أن يشعر الشعب بالطمأنينة وضمان للنفس والعرض والمال وبعيداً عن التقرب إلى المسئول بالزلفى له. و طالما أن القانون كان في إجازة فهذا من شأنه أن يؤثر على استقرار المجتمع ونمائه وخلق جيل حر لايعرف الخوف، ويفيض وطنية وإخلاصاً، وإن العالم يشهد اليوم تطوراً ونماءً ما أحوجنا نحن العرب إليه.

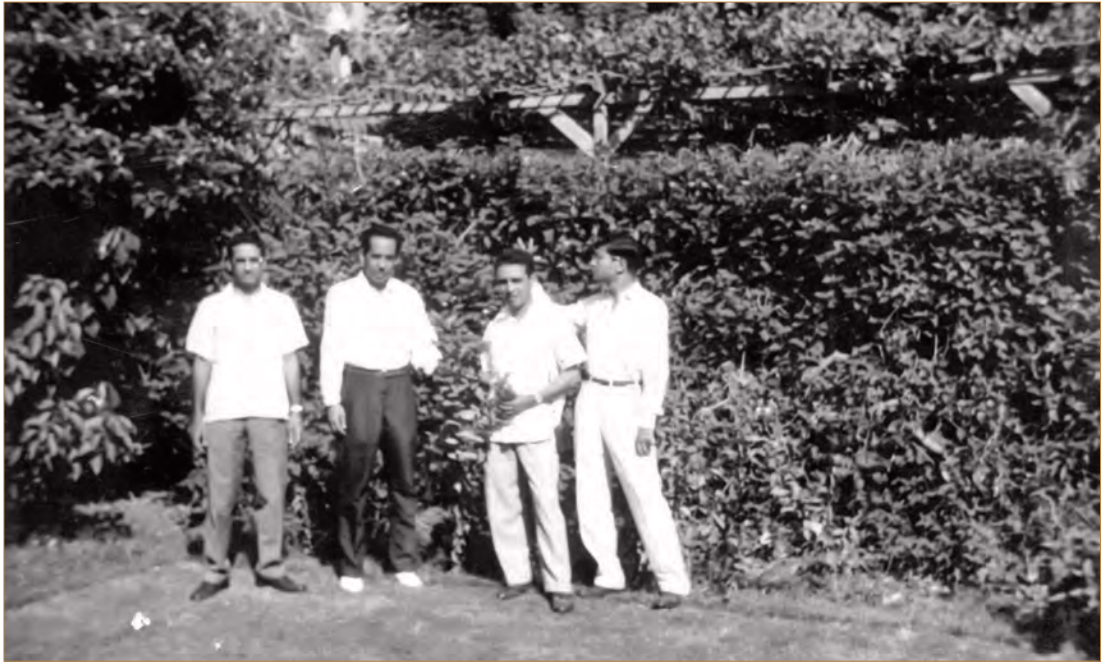
وقد رافقت الشيخ عيسى بن محمد مرات عدة إلى حضور مجلس عباس محمود العقاد الذي كان يعقده صباح كل يوم جمعة، وكنت مواظباً على حضوره بنفسي نظراً لأهميته الأدبية والثقافية والعلمية حيث يحضره الكثير من الأساتذة والأدباء والمفكرين والشعراء.

وأذكر أنه في عام ١٩٦٠م ذهبت مع الشيخ عيسى إلى مدينة السويس حيث كان يهم

باستلام سيارة مرسيدس مشحونة إلى ميناء السويس من البحرين. وكان لدينا فرصة كبيرة من الوقت فانتهزناها لحضور مباراة في كرة القدم بين النادي الأهلي ونادي الإسماعيلية، وكانت المفاجأة فوز النادي الأهلي القاهري، ونحن بطبيعة الحال من مشجعيه بل ومحبيه، وإذا بزججات الكوكا كولا وغيرها تنطلق وتتطاير كقذائف من قبل جمهور مدن السويس، وبعناية إلهية وربانية خرجنا سالمين من هذه المباراة الدموية!. ذهبت بعد ذلك مع الشيخ عيسى إلى قرية «الشلوفة» في منطقة السويس حيث يقيم فيها أحمد صبري شويمان أو «أحمد موسى سالم» كما حلا له تغيير اسمه بعد ذلك، وهذه الشخصية الفذة أسست جماعة «الأنصار» في النصف الأول من القرن العشرين المنصرم، وأصدر مع رفاق له مجلة الأنصار. كان أحمد سالم صاحب مذهب في الإصلاح والتنوير، وكان رافضاً لما يسمى بهذه المدن الظالمة، وهاجر وصحب له إلى شبه جزيرة سيناء، وهدفهم إقامة مجتمع عربي إسلامي متأثر بقيم عربية بائدة. وفي سيناء تزوج واستقر فكان أول رائد لتعمير سيناء الصحراوية من أرض مصر، وله نظرة ثاقبة في أمور الدين، وفهم القرآن، واستلهم أحداث التاريخ. لقد كان صاحب قلم حر، وأفكار منيرة مستنيرة، وصاحب وجدان عظيم، ومثل كثير من

الصديق السفير والأديب تقي محمد البحارنة عام ٢٠٠٥م وله فضل كبير في طباعته وإصداره، وإن أحمد موسى سالم وأصحابه قد فطروهم الله على المودة والمعروف والعمل الصالح. إن هذه الصفات تخفف من ابتلاء الزمان، ونكده ومصائبه، وإنها أمور كثيراً ما تغير المفاهيم الخاطئة وتحقق الأمانى والرغبات. وما أسعد الإنسان المغلوب على أمره عندما يبلغ كل أمانيه العادلة. وإن بعض القادة العظام يسمون بالفقراء والمعذبين في الأرض فيخفف من بؤسهم وشقائهم.

المصلحين يرى أن النفس مفطورة على الحب والخير، وتستهدي في الإصلاح والتغيير، كان يتطلع إلى تغيير جذري في إطار العرف والدين، وكان الشيخ خالد الشقيق الأكبر للشيخ عيسى أحد المتحمسين لمشروع أحمد سالم في مرحلة إصلاح المجتمع، فاقتردى به، وقام بهجرة مماثلة إلى صحراء الجزيرة كما يشير إلى ذلك الشيخ عيسى في سرده بين دفتي هذا الكتاب. وللاستاذ أحمد سالم كتابان هاما أولهما «ضوء في تاريخ التوحيد والتصوف في الإسلام» والكتاب الثاني الهام «بناء الأسرة في هدي القرآن»، وقد أهداه لي



من اليمين: حسين الصباغ - قاسم الشيخ - جاسم البنعلي - الشيخ محمد بن عبدالله أمام منزل الشيخ عيسى بن محمد بالمعادي (١٩٥٩م)

المنهج الفكري للشيخ عيسى بن محمد بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية

بقلم: المستشار عزت عبد النبي
المستشار القانوني والعمالي السابق لوزير العمل والشؤون الاجتماعية



وهكذا توفرت لي المعرفة ببعض جوانب
الأوضاع السياسية في البحرين.

وفي عام ١٩٧٥م شهدت البحرين عدداً من
التطورات السياسية، كان من بينها تشكيل
جديد لمجلس الوزراء تولى من خلاله معالي
الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة مسؤولية
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وهو الذي
كان يشغل قبل ذلك منصب وزير العدل. وكان
من الطبيعي أن أحاول معرفة بعض أفكار
هذا الوزير الجديد إبان توليه مسؤوليات
وزارة العدل، ومن خلال عمله الاجتماعي
التطوعي، وتكاملت هذه المعرفة مع المعلومات
التي عرفتتها عن الأوضاع السياسية بدولة
البحرين، فأيقنت أن الوزير الجديد يواجه
تحديات جساماً تتطلب منهجاً سياسياً علمياً
متكاملاً في النظر إلى المشاكل العمالية، وإلى
أوضاع المجتمع البحريني بصفة عامة.

وفي صباح أحد الأيام استدعاني الوزير

كان من توفيق الله سبحانه وتعالى أن
رشحتني الحكومة المصرية للعمل بوظيفة
المستشار القانوني والعمالي لوزير العمل
والشؤون الاجتماعية بناءً على طلب حكومة
دولة البحرين. وقد تسلمت عملي بالوزارة
في سبتمبر من عام ١٩٧٤م وقت أن كان
سعادة الأستاذ إبراهيم حميدان وزيراً لهذه
الوزارة، وشاءت الأقدار أن أحضر بصحبته
بعض اجتماعات لجنة الخدمات بالمجلس
الوطني التي كانت تناقش في ذلك الوقت
مشروعين لقانون العمل أحدهما مقدم من
الحكومة، والآخر مقدم من المرحوم الأستاذ
خالد الذواودي عضو المجلس في ذلك الوقت.
وكنت قد عكفت على دراسة الملفات السرية
بالوزارة، ووقفت على الظروف التي مرت
ببعض الشركات الكبيرة والتي شهدت
خلال النصف الأول من السبعينيات عدداً
من الإضرابات العمالية التي أفرزتها بعض
الحركات السياسية في البحرين وخارجها،

العمالي والاجتماعي، وقد بين سعادته ذلك بوضوح في موضوعين رئيسيين هما: السياسة العمالية والسياسة الاجتماعية بدولة البحرين، حيث تضمنت كل منهما الأهداف الاستراتيجية التي سعت الوزارة لتحقيقها في هذين المجالين والتي نعرضها فيما يلي:

السياسة العمالية:

تضمنت السياسة العمالية التي رفعها سعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة إلى مجلس الوزراء المبادئ والأهداف التالية:

المبدأ الأول:

العمل واجب على كل مواطن، وحق له، وعلى الدولة توفير العمل للمواطنين وكفالة عدالة شروطه.

المبدأ الثاني:

السلام الاجتماعي أساسه العدالة الاجتماعية، وقوامه التوازن الاقتصادي في العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال.

المبدأ الثالث:

التأمين الاجتماعي أحد المقومات الأساسية للمجتمع، وعلى الدولة تأمين خدماته في حالات الشيخوخة، أو المرض، أو العجز عن العمل، أو اليتيم، أو الترمّل، أو البطالة.

الجديد إلى مكتبه، وناقش الخطوط العريضة لمذكرة يريد رفعها لمجلس الوزراء؛ لتحديد برنامج عمل الوزارة في المرحلة المقبلة، وكانت هذه هي بداية معرفتي بالمنهج الفكري للوزير الجديد، وتكاملت هذه المعرفة مع مرور الأيام والسنوات من خلال المذكرات التي رفعها لمجلس الوزراء وبرامج عمله المختلفة، وأحاديثه الصحفية، وافتتاحيات مجلة العمل التي أصدرتها الوزارة، ومشاركاته في المؤتمرات العربية والدولية والخليجية، حتى توافر لدي ما يمكن أن أسميه المنهج الفكري للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة والذي تمثل في الأبعاد التالية:

البعد العلمي:

يدور البعد العلمي في المنهج الفكري للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة حول قضية تحديد الأهداف الإستراتيجية والمرحلية للعمل في الوزارة، وعلى اختيار أنسب الوسائل لتحقيق تلك الأهداف، وعلى استخدام الإمكانيات المتاحة بأعلى كفاءة ممكنة لتنفيذ هذه الوسائل.

وحول هذا المحور ركز سعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة على موضوع أساسي، وهو: ضرورة وأهمية تحديد الأهداف الاستراتيجية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية في المجالين



المبدأ السادس:

الخدمات الاجتماعية العمالية وسيلة أساسية لزيادة الإنتاج، ورفع الكفاية الإنتاجية، ورعاية القوى العاملة، وعلى الدولة إلغاء التفاوت في توزيعها وتعميمها لكافة الفئات العمالية.

المبدأ السابع:

القوى العاملة هي الدعامة الأساسية للاقتصاد الوطني، وعلى الدولة صيانتها، والمحافظة على مستواها الصحي وتحسين ظروف عملها.

المبدأ الرابع:

الأجر العادل هو المقابل الطبيعي لجهد العامل في عملية الإنتاج، وعلى الدولة ضمان الحد الأدنى الملائم للأجر، وتحقيق التوازن بين الأجر النقدي ونفقة المعيشة.

المبدأ الخامس:

التدريب المهني حق لكل مواطن، ينبغي أن يمكن منه، ونهياً له فرص الاستفادة به، كما هو واجب عليه أن يلتزم به، والإقبال عليه، والإجادة فيه.

المبدأ الثامن:

التعاون والتشاور بين العمال وأصحاب الأعمال ووزارة العمل والشؤون الاجتماعية وسيلة أساسية لوضع السياسات العمالية واتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون العمل.

المبدأ التاسع:

حرية تكوين الجمعيات والنقابات على أسس وطنية، ولأهداف مشروعة، وبوسائل مكفولة وفقاً للشروط والأوضاع التي يبينها القانون.

الأهداف العامة في المجال العمالي:

وانطلاقاً من هذه المبادئ تمثلت الأهداف العمالية فيما يلي:

الهدف الأول: الإسهام في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية:

وسعت الوزارة إلى تحقيق هذا الهدف من خلال سياسات تخطيط وتنمية القوى العاملة وبالوسائل التالية:

١- المحافظة على مستوى الاستخدام الكامل للقوى العاملة بخفض أمد البطالة الانتقالية الوقتية إلى أدنى حد على، النحو الذي يكفل حق العمل المستقر المجزي لكل مواطن.

٢- ضمان توفير قوة العمل الوافدة واللازمة لتنفيذ مشروعات التنمية، ووضع البرامج

اللازمة للاستفادة من هذه العمالة، وعدم مزاحمتها للأيدي العاملة الوطنية.

٣- الاستخدام الأمثل والأفضل لقوى العمل المتاحة والمتوقعة، وذلك من خلال خطط وبرامج التوجيه والتدريب المهني، ارتقاءً بمهارات العمال، ومضاعفة لقدراتهم على النحو الذي يحقق مساهمتهم بأوفر نصيب في زيادة الإنتاج وتنمية الدخل القومي.

الهدف الثاني: الإسهام في تحقيق السلام الاجتماعي:

وسعت الوزارة إلى تحقيق هذا الهدف عن طريق:

١- المحافظة على الأجور الحقيقية للعمال، باعتبارها المصدر الأساسي لأرزاق غالبية القوى العاملة وعائلاتهم، وذلك من خلال رسم سياسة عامة للأجور، تتصف بالرشد الاقتصادي والاجتماعي، وتساعد على الإسراع بعمليات التنمية، وزيادة الناتج القومي، وتعمل على وضع الحد الأدنى للملائم للأجر، والاحتفاظ بالتوازن الواجب بين الأجور النقدية والأسعار.

٢- العمل على سرعة إصدار قانون جديد للعمل؛ يحقق استقرار علاقات العمل بين العمال وأصحاب الأعمال، ويكفل تجنب

ونشاط العمال بما يحفظ لهم مستوى عالياً من الصحة والإقبال المتفائل على الإنتاج.

٢- صيانة الموارد البشرية والعمل على ضمان تنفيذ الاحتياطات الكفيلة بمنع إصابات العمل، وحصرها في أدنى حد مستطاع وذلك على النحو الذي يحقق المحافظة على الثروة البشرية في المجتمع وزيادة الكفاية الإنتاجية وجودتها.

٣- توفير برامج الثقافة العمالية التي تكفل تزويد العمال بالمفاهيم والأفكار والمعلومات التي تساعد على تفهم الظروف والأحداث والمتغيرات التي يمر بها المجتمع، وسد احتياجاتهم الثقافية باعتبارهم عمالاً منتجين ومواطنين.

الهدف الرابع: تأكيد مشاركة العمال وأصحاب الأعمال في تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية لخطط التنمية، وفي وضع السياسات والخطط والمشروعات العمالية:

وسعت الوزارة لتحقيق هذا الهدف بالوسائل التالية:

١- التوسع في تمثيل العمال وأصحاب الأعمال والحكومة في كافة المجالس التي تختص برسم سياسات الأجور، وتخطيط القوى العاملة

أسباب المنازعات العمالية، والتصدي الفوري لتسويتها قبل تفاقمها، ويضمن توفير ظروف العمل الملائمة وشروطه العادلة.

٣- الإسراع في إصدار قانون جديد للتأمينات الاجتماعية؛ لضمان التوسع في تنفيذ فروع التأمينات الاجتماعية المختلفة، وذلك على النحو الذي يكفل ضمان مستوى مقبول لمعيشة كل شخص مؤمن عليه في حالة فقد القدرة على الكسب بصفة مؤقتة أو دائمة، لسبب خارج عن إرادته، وكفالة من يتركهم العامل من أفراد أسرته بعد وفاته، وتحرير العمال من الخوف على المستقبل والقلق على المصير، وحفظ المجتمع من الفساد والانحلال، وقيام أفضل الروابط الاجتماعية بين طرفي الإنتاج.

الهدف الثالث: الإسهام في زيادة الإنتاج ورفع الكفاية الإنتاجية:

وسعت الوزارة إلى تحقيق ذلك بالوسائل التالية:

١- العمل على إنشاء المجلس الأعلى للخدمات العمالية المعني، بما يحقق للعمال أنواعاً مختلفة من الرعاية على نحو يكفل زيادة الإنتاج، ورفع الكفاية الإنتاجية وخفض التكاليف، من خلال الأثر المباشر للخدمات الاجتماعية العمالية في خفض دوران العمل، ومعدل الضياع في الوقت وتجديد حيوية



المشاركة مع صاحب العمل وخاصة ما تعلق منها بظروف العمل والإنتاج، وإتاحة الفرصة لأصحاب الأعمال لتنمية العلاقات الطيبة مع عمالهم عن طريق الوقوف على آرائهم في المشاكل العمالية، وطرق زيادة الإنتاج، ورفع الكفاءة الإنتاجية بما يكفل القضاء على مصادر المنازعات أولاً بأول، وتحقيق السلام والتنمية الاجتماعية.

٣- تمهيد الطريق لإعطاء العمال حق تكوين النقابات العمالية تدريجياً، والبدء في هذا

وتنميتها وصيانتها، وذلك تأكيداً للمصلحة الواحدة والمشاركة بين الأطراف الثلاثة، ولتحميل العمال وأصحاب الأعمال مسؤولية أكبر في التوصل إلى قرارات تتعلق بالمصلحة العامة، وضمان مشاركتهم في تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية لخطط التنمية.

٢- تدعيم مبدأ التعاون والتشاور بين العمال وأصحاب الأعمال من خلال تكوين اللجان المشتركة في المنشآت المختلفة، بما يحقق إعطاء العمال فرصة إبداء الرأي في الأمور

الاجتماعية المرتكزة على بناء الإنسان:
وسعت الوزارة لتحقيق ذلك بالوسائل
التالية:

١- توفير المشروعات الاجتماعية التي تؤدي
إلى تنمية المجتمعات المحلية وتحسين وتدعيم
الخدمات الموجودة.

٢- الاهتمام بالأسرة والطفولة، والعمل على
توفير الخدمات الاجتماعية لهما، والإسهام في
حل المشكلات التي تصادف الأسرة، وتحقيق
استقرارها، وزيادة إنتاجية أفرادها.

الهدف الثاني: الإسهام في إقامة المجتمع
الآمن الذي يطمئن فيه المواطن على يومه
وغده.

ويتم ذلك عن طريق:

١- التأهيل الاجتماعي: برعاية ذوي
الاحتياجات الخاصة، وإعدادهم لأعمال
تناسبهم.

٢- الدفاع الاجتماعي: بوقاية الأفراد من
الانحراف، وعلاج من ينحرف منهم.

٣- الأمن الاقتصادي: بالتوسع في نظام
المساعدات الاجتماعية، بحيث يشمل جميع
المستحقين، والارتقاء بالحد الأدنى للمعونة،
وإنشاء مشروع الأسر المنتجة والمشروعات

المجال بتكوين اللجنة العمالية الدائمة المشكلة
بالانتخاب من بين ممثلي العمال في اللجان
الاستشارية المشتركة بالمنشآت المختلفة.

السياسة الاجتماعية

المبدأ الأول:

إن التنمية الاجتماعية بشقيها المادي
والبشري لا تنفصل عن التنمية الاقتصادية،
وأنها ليست مسؤولية الحكومة وحدها، بل هي
مسؤولية مشتركة بين المواطنين والحكومة.

المبدأ الثاني:

إن الرعاية الاجتماعية ليست منحة وإنما
هي حق للمواطنين يجب على الدولة ضمان
توفير برامجها.

المبدأ الثالث:

إن الفرد هو الوسيلة الأساسية لإحداث
التغيير الاجتماعي، وهو في نفس الوقت غايته.

المبدأ الرابع:

إن الأسرة هي الخلية الأساسية في البناء
الاجتماعي، وعلى الدولة تمكينها من أداء
دورها في المجتمع بنجاح.

الأهداف العامة للتنمية والرعاية
الاجتماعية:

الهدف الأول: الإسهام في تحقيق التنمية

التي تؤدي إلى زيادة دخل الأسرة.

الهدف الثالث: الإسهام في توفير المناخ المناسب للإنتاجية المرتفعة:

وسعت الوزارة لتحقيق ذلك بالوسائل التالية:

١- التوسع في عمليات التدريب الاجتماعي في القطاعين الحكومي والأهلي؛ لتكوين الكوادر القادرة على قيادة عملية التطور الاجتماعي.

٢- تدعيم أجهزة البحث العلمي بالوزارة، وتطوير سياسات البحث الاجتماعي.

الهدف الرابع: الإسهام في ترسيخ القيم المرغوبة، ونشر أنماط السلوك الجديدة،

ويتم ذلك عن طريق:

١- رسم سياسة للإرشاد الاجتماعي؛ لتأكيد أن التحول الاجتماعي يتم بالإقناع والاقتناع من خلال نشر المفاهيم والقيم المرغوبة، وتعميق الاتجاهات وأنماط السلوك الجديدة والمتطورة.

٢- الاستفادة من جهود الجهات الأهلية، ومشاركة المواطنين في العمل الاجتماعي لتعميق القيم الإيجابية، والممارسة الديمقراطية.

٣- توفير برامج الإرشاد والتوعية الاجتماعية،

وتوفير الوسائل السمعية والبصرية.

لقد كان هذا المنهج العلمي في التفكير القائم على أهمية تحديد الأهداف الاستراتيجية والمرحلية للعمل في الوزارة، وعلى اختيار أنسب الوسائل لتحقيق تلك الأهداف، وعلى استخدام الإمكانيات المتاحة بأعلى كفاءة ممكنة لتنفيذ هذه الوسائل هو محور توجهات معالي الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة إلى كافة المستويات الإدارية بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، فنراه في حديثه عن العلاقات الإنسانية وأهميتها يوجّه حديثه إلى المديرين والمراقبين والمشرفين موضحاً: «أن العامل المحدد لنجاحنا في أداء أعمالنا ليس مجرد إنشاء الهيكل التنظيمي للوزارة -بما تضمنه من تحديد للاختصاصات وتوفير أعداد معينة من المراقبين والمشرفين- وإنما يتوقف الأمر في النهاية على مدى توافر مستويات الكفاءة الإدارية التي ينبغي أن تتوافر في هذه القيادات من خلال توافر القدرة على تحديد أهداف واضحة للعمل في كل وحدة تنظيمية، وعلى اختيار أنسب الوسائل لتحقيق تلك الأهداف وعلى استخدام الإمكانيات المتاحة بأعلى كفاءة ممكنة لتنفيذ هذه الوسائل».

وفي حديثه عن إعادة تنظيم الوزارة يوضح: «أن هذه العملية قامت على مجموعة من الأنشطة الرئيسية هي: التخطيط والتنظيم



نال قطاع التدريب من الاهتمام ما جعله حجر الزاوية لخطط وزارة العمل المستقبلية

موضحاً: «أن هذه اللجنة أخذت في أسلوب عملها بمبدأ الإدارة بالأهداف، إذ اعتمد تخطيط العمل في الوحدات والأقسام والإدارات المختلفة على قيام كل وحدة بتحديد أهدافها لفترة زمنية محددة من خلال مناقشات تتم بين موظفي الوحدة ومشرفيها ومراقب القسم، يتحدد فيها أسلوب الوصول إلى هذه الأهداف في إطار الأهداف العامة للوزارة، والواجبات التي يقوم بها كل موظف، وأساليب متابعة العمل وتقييمه.

والتوجيه والمتابعة والرقابة». وعن التخطيط يوضح معاليه: «أن المقصود به هو تحديد أهداف الوزارة، ورسم السياسات والبرامج المؤدية إلى تلك الأهداف». ويضيف: «أن الوزارة اتبعت في هذا المجال مبدأ ديمقراطية الإدارة وجماعية القيادة بين كافة المستويات الإدارية، وتحقيق التطبيق العملي لهذا المبدأ من خلال اللجنة العليا للتخطيط والمتابعة التي نص قرار إعادة تنظيم الوزارة على تكوينها برئاسة وزير العمل والشؤون الاجتماعية، وعضوية مديري الإدارات بالوزارة وخبرائها». ويستطرد معاليه

على المستوى العربي والخليجي

ويمتد هذا المنهج في التفكير من النطاق المحلي على مستوى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية إلى المستوى العربي، فالإيمان بأهمية تحديد الأهداف الاستراتيجية والمرحلية للعمل يبرز كذلك من خلال فكر الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في المؤتمرات العربية، فهو يطالب بتوحيد جهود وأعمال مؤتمر وزراء العمل والشؤون الاجتماعية العرب؛ لوضع استراتيجية التنمية الاجتماعية في الوطن العربي انطلاقاً من أن الاتفاق حول هذه الاستراتيجية سوف يحقق معنى وهدف التكامل العربي بين الدول العربية، ونجده في مؤتمر العمل العربي السادس يقول: «إن هناك قضية هامة وأساسية ينبغي أن تركز عليها كل الجهود والإمكانات والطاقات في المرحلة المقبلة، وتتلخص هذه القضية في ضرورة وأهمية وضع استراتيجية عمالية في الوطن العربي، ثم ينتقل إلى قضية الأهداف المرحلية فيطالب مكتب العمل العربي بوضع: «برنامج للعمل في منظمة العمل العربية يحدد أولويات العمل ومواعيد تنفيذها، ويكفل وجود أساس علمي يمكن من خلاله تقييم أداء المنظمة في المرحلة المقبلة». وهو في نفس الوقت يطالب إدارة التنمية الاجتماعية بجامعة الدول العربية «بوضع خطة للعمل الاجتماعي،

تتضمن أهدافاً محددة، وأولويات للتنفيذ، وبرنامجاً للمتابعة والتقييم، بحيث يتم العمل بهذه الخطة في جميع البلاد العربية في وقت واحد من خلال ميثاق العمل الاجتماعي العربي».

وعلى مستوى العمل الخليجي يطالب الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة برسم سياسة عمالية واجتماعية موحدة بين دول الخليج العربي، وتحقيق التكامل بين المشروعات والبرامج العمالية والاجتماعية، وتنفيذاً لذلك يدعو إلى عقد مؤتمر لوزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول الخليج العربية.

البعد الاجتماعي

يؤكد الشيخ عيسى بن محمد من خلال منهجه العلمي أن السلم الاجتماعي بين كل القوى الاجتماعية في المجتمع أساسه العدالة الاجتماعية، وأن الرعاية الاجتماعية ليست منحة وإنما هي حق للمواطنين يجب على الدولة توفير برامجها، وأن الحد الأدنى للأجور يعتبر حقاً أساسياً ينبغي ضمانه لأدنى الفئات العمالية إنتاجاً في المجتمع، وهو يشير إلى ضرورة تحقيق التوازن بين الأجر النقدي ونفقة المعيشة، وإلى الخدمات العمالية باعتبارها حقاً ينبغي أن يكون متاحاً ومباحاً للجميع في شتى قطاعات النشاط الاقتصادي

المختلفة، وإلى أهمية المحافظة على المستوى الصحي للقوى العاملة، وتحسين ظروف وشروط عملها.

وفضلاً عن ذلك كان الشيخ عيسى يؤكد دائماً على الحقوق الاجتماعية التي كفلها دستور دولة البحرين للمواطنين ومنها حق العمل، والتزام الدولة توفير خدمات التأمين الاجتماعي في حالات الشيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل أو البطالة.

ويتأكد وضوح البعد الاجتماعي حين يحدد الشيخ عيسى أن الأهداف الرئيسية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية هو إحداث تغيير مقصود في سلوك المواطنين وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم. بالإضافة إلى الإسهام في إقامة المجتمع الآمن الذي يطمئن فيه المواطن على يومه وغده برعاية الأسرة، ومساعدتها للتغلب على المشاكل التي تواجهها، ورعاية الأطفال مجهولي الأبوين، وذوي الاحتياجات الخاصة، ورعاية الأحداث والمشردين والمهددين بالانحراف، وتقويم الأحداث المنحرفين، ورعاية الأيتام والمسنين.

البعد الاقتصادي

ويستطيع كل فرد أن يلمس بوضوح البعد الاقتصادي في المنهج الفكري للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، فهو يؤكد أن الاستخدام الأمثل

والأفضل لقوى العمل في المجتمع يرتبط بالسعي إلى عدم تبديد موارد المجتمع، ذلك أن وجود أفراد متعطلين وقتياً في سن العمل يعد تبديداً لبعض هذه الموارد، ومن ثم تلحق بالمجتمع خسارة اقتصادية. ومن ناحية أخرى يعتبر الشيخ عيسى بن محمد أن الارتقاء بمهارات العمال، ومضاعفة قدراتهم، وضمان تشغيلهم في الأعمال التي تناسب ميولهم واستعداداتهم الطبيعية يساهم مساهمة فعالة في زيادة الإنتاج، ورفع الكفاية الإنتاجية، وتمتية الدخل القومي. ويقول في مجال آخر: «إن الخدمات العمالية لا تستهدف فقط رعاية القوى العاملة، وإنما تساهم مساهمة فعالة في زيادة الإنتاج وخفض التكاليف من خلال أثرها المباشر في خفض دوران العمل ومعدل الضياع في الوقت وتجديد حيوية ونشاط العمال». ويشير إلى أن للتدريب المهني عائداً على المشروعات المختلفة من حيث المحافظة على مواردها وإمكاناتها والتي تتمثل في رأس المال، والآلات، والقوى العاملة، بالإضافة إلى تخفيض تكاليف الإنتاج عن طريق الحد من الضائع في الجهد والوقت والموارد.

ويتناول الشيخ عيسى الجانب الاقتصادي من قضايا الأجور، فيؤكد: «أن أية سياسة للأجور لا بد وأن تتصف بالرشد الاقتصادي، كما أن قضية بناء الأجور فوق الحد الأدنى العادل للأجر لا بد وأن ينظر لها نظرة

التنمية أصبحت اليوم من أهم القضايا في عالمنا المعاصر، ولا شك أنه مهما تعددت وسائل وأساليب هذه التنمية فإن القوى البشرية كانت وستظل هي الدعامة الأساسية للاقتصاد القومي في كافة الدول، والعنصر الرئيس للثروة القومية في كافة المجتمعات، ولسوف يبقى الإنسان دائماً أهم عناصر الإنتاج، وحجر الزاوية في بنيان التطور الاجتماعي، ومحور التنمية وهدفها ووسيلتها».

البعد الأهلي

وتكتمل أبعاد المنهج الفكري لمعالي الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة بالبعد الوطني الذي يؤكد إيمانه بأهمية تعبئة وتنظيم وتوجيه حركة المواطنين للمساهمة الفعالة في تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي. فهو الذي طرح لأول مرة فكرة المشاركة الأهلية في العمل الاجتماعي، وهو الذي طالب بأن تساهم قيادات العمل الاجتماعي الأهلية في تخطيط العمل الاجتماعي، وفي متابعة تنفيذه وتقييمه على المستوى الوطني، وهو الذي أشار إلى أهمية وضرة التنسيق بين الجمعيات الاجتماعية المختلفة، بحيث يصبح نشاطها جزءاً من سياسة قومية تتولى قيادات العمل الاجتماعي الأهلي تحديد معالمها الأساسية وذلك من خلال تكوين اتحاد عام للجمعيات الاجتماعية في البحرين.

اقتصادية تشكلها الرغبة في ربط الأجور بالإنتاج، وأن أحد الأسس الهامة في زيادة الأجور ينبغي أن يكون هو عامل الكفاية والقدرة على تحقيق المعدلات المحددة للإنتاج». وفي مجال التأمينات الاجتماعية يقول: «إنها تقوم بدور هام من تطوير وتنمية الاقتصاد القومي، وذلك عن طريق استثمار احتياطي التأمين في إقامة المشروعات المختلفة، أو المساهمة فيها، وأنه كلما اتسع نطاق التأمينات الاجتماعية خففت من الأعباء والالتزامات المالية الملقاة على عاتق الدولة في سبيل توفير المعونة لمن هم في حاجة إليها فضلاً عن المحافظة على القوى العاملة بإعادة من يعجز منهم إلى سوق العمل بعد تأهيله مهنيًا، هذا بالإضافة إلى نشر روح الاستقرار والاطمئنان في نفس العامل، فيدفعه ذلك إلى الانطلاق بكل طاقته إلى الإنتاج والإبداع في عمله». ثم يعود الشيخ عيسى فيوضح: «أن الهدف الرئيس من كل الأنشطة الاجتماعية هو بناء القدرات والإمكانات الذاتية للفرد والجماعة والمجتمع المحلي؛ ليكون قادراً على النهوض والتقدم التلقائي فضلاً عن تمكين المواطنين أفراداً وجماعات ومجتمعات محلية من الاندماج الكامل، والإسهام الفعال في صنع التقدم على المستوى الوطني».

ولعل خير تعبير عن ذلك قوله: «إن قضية

وهو الذي طالب بالعمل على إعداد القيادات الاجتماعية الأهلية، تلك القيادات التي يمكن لها بحكم معاشتها للواقع تلمس المشاكل الاجتماعية الحقيقية، وإيجاد الحلول النابعة من طبيعة الظروف والأوضاع التي يعيش فيها المواطنون المرتبطون بهذه القيادات.

وهو الذي أشار إلى أن نجاح العمل التعاوني يعتمد على إعداد القيادات الاجتماعية، وتزويدها بالمفاهيم والأفكار والمعلومات التي تمكنها من أداء أعمالها بأعلى كفاءة ممكنة.

وهو الذي طالب في مجال آخر بالسعي إلى تنظيم جهود الباحثين الاجتماعيين في الوزارات المختلفة لتكوين جمعية الاجتماعيين البحرينية حتى يمكن من خلالها تطوير العمل الاجتماعي على المستوى الوطني.

وهو الذي طالب بتأكيد مشاركة العمال في وضع السياسات العمالية، ومتابعة تنفيذها من خلال اللجنة العمالية المؤقتة المشكلة بالانتخاب من بين ممثلي العمال في اللجان الاستشارية المشتركة بالمنشآت المختلفة.

تلك كانت ملامح من المنهج الفكري لمعالي الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة أثناء توليه مسئوليات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٨٠م، ومع كل بعد من أبعاد هذا المنهج الفكري تشعر بأن الشيخ

عيسى بن محمد يخاطب عقلك ووجدانك بأسلوب واضح ومحدد، وهو في نفس الوقت يقول لجميع المواطنين والقوى السياسية في المجتمع: هذا هو منهجي، وهذا هو طريقي، وقلبي وصدري مفتوحان لكل من يختلف معي في الرأي، ولكل من لديه جديد يستطيع أن يقدمه كي أستفيد منه في إثراء منهج وطريق عملي، وبذلك وجه الشيخ عيسى دعوة للحوار الصريح لكل القوى السياسية في البحرين وخارجها، وللمفكرين والمتقنين، وكل مواطن عادي، إلا أن بعض القوى السياسية لم تتقبل هذه الدعوة الصريحة للحوار، ربما لأنها لم تتعود أن يحمل وزير من السلطة هذا المنهج الفكري، ويواجه به مناهج وأساليب بعض القوى السياسية.

لقد كان للمنهج الفكري للشيخ عيسى تأثير كبير داخل البحرين وخارجها، ورأيته يقابل ممثلي بعض القوى السياسية من خارج البحرين ويحاورهم ويدعوهم إلى العودة والعمل من داخل المجتمع البحريني، واستطاع الشيخ عيسى بمنهجه أن يواجه كثيراً من التأثيرات الضارة لبعض القوى السياسية التي تعمل من داخل البحرين وخارجها، فزادت من توجيه النقد إليه، إلا أنه كان نقداً سلبياً لا يقدم جديداً، ولا يسهم في إيجاد قناة حوار بناء.

حدثان هامان كان للشيخ عيسى الفضل

الأول فيهما، وهما: إصدار قانون العمل في القطاع الأهلي، وإصدار قانون التأمين الاجتماعي، اللذين مثلاً رداً مفحماً وعنيفاً على حملات الهجوم والتشكيك من بعض القوى السياسية.

لقد واجه الشيخ عيسى بسبب منهجه الفكري

تحديات متواصلة من بعض قيادات العمل التنفيذي، وتسببت آراؤه حول ضرورة السماح بتكوين النقابات العمالية، وإصدار الوزارة لمجلة «العمل»، وأهمية الاحتفال باليوم العالمي للعمال تسبب كل ذلك في هجوم عنيف من جانب هذه القيادات التنفيذية، وربما رجع السبب في كل هذه التحديات إلى أن الشيخ عيسى كانت له رؤية واضحة بعيدة المدى سبق بها الزمن الذي عاش فيه مسئولاً عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، حتى إننا عاصرنا وعشنا البحرين بعد عقدين من الزمن تعترف بحق تكوين النقابات العمالية، وتضع الاحتفال بيوم العمال العالمي تحت رعاية أكبر القيادات السياسية.

وللتاريخ: أذكر أن هذا كان تحليل الأستاذ علي بن صالح الصالح رئيس مجلس الشورى

حدثان هامان كان للشيخ عيسى الفضل الأول فيهما، وهما: إصدار قانون العمل في القطاع الأهلي، وإصدار قانون التأمين الاجتماعي اللذين مثلاً رداً مفحماً وعنيفاً على حملات الهجوم والتشكيك من بعض القوى السياسية.

حالياً حيث ذكر لي في حوار معه أن الشيخ عيسى سبق بأفكاره الزمن الذي أعلن فيه أفكاره ورؤيته، ومن هنا تزايدت عليه الضغوط والتحديات.

إن الحكم على منهج الشيخ عيسى بن محمد الفكري لا ينبغي أن يكون من

خلال الظروف والأفكار التي تسود المجتمع البحريني حالياً، ويجب علينا وضع هذا المنهج في إطار ظروف المجتمع البحريني وأفكاره من عام ١٩٧٥ إلى عام ١٩٨٠م. حينئذ سيتضح لنا أن الشيخ عيسى سعى إلى الإسهام في تطوير المجتمع والنهوض بإحدى وزارات الدولة الهامة التي تولى مسئولياتها ولم يكن بها أكثر من مائة موظف، فوضع لجنة فوق لجنة للنهوض بأهداف وأساليب العمل بها، وأصدر بجهود العاملين فيها مجلة متخصصة للشؤون العمالية والاجتماعية، هي مجلة العمل التي لا تزال تعتبر مرجعاً هاماً موثقاً لمرحلة عمله بالوزارة، كما أصدرت الوزارة في عهده ثلاثة كتب مهمة هي: أضواء على السياسات العمالية والاجتماعية، وكيف نعمل؟، وللعمل كلمة.

بصماته ما زلنا نراها..

بقلم: الأستاذة منيرة عيسى بن هندي
عضو مجلس الشورى



كانوا ينوون مواصلة حضورهم للاجتماعات في مجال الإعاقة، فوعدوا بذلك إدارة المؤتمر. وعاد الوفد إلى البحرين، واجتمع مع المسؤولين في الوزارة، وذكر لهم ما حدث من طلب لتأسيس لهذا المركز، فما كان من الشيخ عيسى إلا أن بارك التأسيس، وكان المركز حكومياً في بداية التأسيس، ثم بارك لنا عندما كانت لنا رغبة أكيدة بأن يكون المركز أهلياً فقط وبإشراف غير مباشر من قبل الوزارة أسوة بالجمعيات والمراكز الأهلية الأخرى.

فكان ذلك الموقف المساند من قبله والتشجيع المستمر لنا انطلاقاً حقيقية لعملنا في مجال الإعاقة، وشمعة ظلت تنير طريقنا حتى اليوم، وظل يراقبنا من بعيد مراقبة الأب لأبنائه، يدفعهم ويساندتهم، ويكون الحصن الحصين لهم، وسار في المشوار معنا حتى حصلنا على أرض للمركز بمكرمة من مكارم سمو الوالد الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه، وأدخله فسيح جناته.

هناك العديد من المواقف الإنسانية التي كانت للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزير العمل الأسبق أثناء وجوده في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. فكانت مواقفه ركائز في حياتنا نحن ذوي الإعاقة، تركت الكثير من الإيجابيات في حياتنا، واستمرارها موجود إلى الآن لا يمكن أن ننساها أو نتناساها، فأولها موقفه ومساندته لنا أثناء تأسيس المركز، ولهذا الحدث قصة قصيرة في حديثها، كبيرة في معناها.

ففي عام ١٩٧٩م كان لمركز الحراك الدولي في إنجلترا اجتماع، وبعثت الوزارة وفداً مكوناً من: حنان كمال كمشرفة وحدة المعاقين في الوزارة، والسيدة ألس معلوف كمشرفة لدار المسنين والمعوقين في ذلك الوقت. وعند وصولهما إلى الاجتماع سئلوا عن من هو المعاق الذي حضر معهما، فذكروا أنه لا يوجد. فما كان من إدارة المؤتمر إلا أن أخذت عليهما وعداً بأن يتم تأسيس مركز خاص يعنى بالإعاقة إذا



مكرماً الأستاذة منيرة بن هندي في مناسبة اجتماعية لوزارة العمل (١٩٧٩م)

في موازين حسناتهم دنيا وآخرة، بصمات هذا الرجل - عيسى بن محمد - ما زلنا نراها في عينيه كلما سنحت لنا الفرصة لمقابلته.

أما أنا شخصياً فكانت أرى فيه الأب الرحيم، الذي استمد عن طريقه بساطة الحياة، فكانت نظرتة الحنونة، وترحيبه المستمر بي يمدني بالإرادة والعزيمة والإصرار على مواصلة طريق الحياة بأمل وتفاؤل.

هكذا كان عيسى بن محمد ولا يزال أباً وأخاً للجميع، نتذكره ببساطته في حياته، وتواضعه للصغير قبل الكبير، فهو لا يفرق بين أحد، لا يعرف الدونية، يثمن الإنسان كإنسان، لا بشكله ولا بمستواه.

وسعينا بكل ما لدينا من إصرار على تثبيت الذات؛ لكي نحصل على مبلغ مالي نستطيع عن طريقه بناء صرحنا الإنساني وهو المركز البحريني للحراك الدولي.

ولله الحمد بتلك الجهود حصلنا على ما حقق لنا الهدف. فما كان من معاليه إلا الوقوف معنا من ساعة التوقيع على البناء، ثم وضع حجر الأساس، ثم المتابعة لنا حسب حاجتنا إلى الاستشارة. طبعاً في جميع المراحل كان معه إنسان أحب المعوقين، وهم كذلك أحيوه، ساندتهم، وقدم الكثير لهم، رحمه الله السيد جميل جواد الجشي المدير العام للشؤون الاجتماعية سابقاً. جعل الله عطاءهم جميعاً

عيسى بن محمد آل خليفة
وزير العمل السابق *

بقلم: رضي السماك
صحفي



الأعمال الاجتماعية والتطوعية.

الثاني: من خلال إصدار كتاب تعترم جمعية الإصلاح إصداره نهاية هذا العام، ويتناول سيرة حياة الرجل على مختلف الأصعدة العائلية والاجتماعية والحقوقية والسياسية، وعرض شهادات وذكريات مختلفة عنه بأقلام معاصريه وزملائه في العمل الوطني والمهني الحقوقي العام، وفي العمل الرسمي كوزير تقلد مسئولية حقيبتين وزاريتين هما «العدل والشئون الاجتماعية».

وبهذه المناسبة ، وفي ضوء ما سبق أن كتبته في هذه الزاوية من مقالات متفرقة عن شخصية الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة بعد إعلان الملك مشروعه الإصلاحي، عرض علي الأخ الدكتور هشام عبدالوهاب الشيخ (من جمعية الإصلاح) فكرة الإسهام بالكتابة في الكتاب المخصص لتكريم الرجل في حال إذا ما وجدت لدي ذكريات أو أفكار أو انطباعات

يكرم خلال هذا العام وزير العمل والشئون الاجتماعية الأسبق الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة (٧٢ عاماً)، إحدى الشخصيات البحرينية المرموقة، والذي كانت له إسهاماته الوطنية والاجتماعية العديدة المميزة على صعيد العمل الرسمي التنفيذي، كوزير، وعلى صعيد العمل الوطني العام بمختلف مجالاته السياسية والاجتماعية والتطوعية. وقد لعب أدواراً مشهوداً لها في جميع هذه المجالات على مدى ما يقرب من نصف قرن منذ تخرجه في كلية الحقوق عام ١٩٦٣م، وعلماً بأنه كان عضواً بنادي الإصلاح منذ عام ١٩٥٥م.

ويأتي تكريم هذه الشخصية على مستويين:

الأول: من خلال حفل ينظمه مركز البديل للاستشارات في فبراير القادم وسيدعى له نخبة من الشخصيات العربية والإسلامية، ويتم فيه تناول وعرض شهادات بحرينية وعربية وإسلامية لأدوار الشيخ عيسى في

أخرى جديدة عن الرجل غير تلك التي سبق أن تناولتها في مقالاتي السابقة بأخبار الخليج، فلم أتردد على الفور في الموافقة؛ وذلك لما للرجل من مكانة أثيرة في نفسي، بحكم تشريفي بزمالته والعمل المشترك معه تحت رئاسته إبان توليه وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بقسم الشؤون القانونية والدولية، والذي وجدته بعدئذ أفضل الأقسام ملائمة لتخصصي وأحببت العمل فيه حباً جماً.

وتعد الفترة التي زاملت فيها الشيخ عيسى، كوزير للعمل، حتى تركه الوزارة عام ١٩٨٠م من أخصب فترات هذه الوزارة الفتية غداة استقلالنا الوطني، بحيث تحققت تحت قيادته لها جملة من الإنجازات والمكاسب المهمة لعل أبرزها انضمام البحرين إلى منظمة العمل العربية وإلى منظمة العمل الدولية عام ١٩٧٧م، واستطاعت الوزارة أن تتغلب على التخوف من عدم قبولها في هذه المنظمة الأخيرة المعروفة باشتراطاتها المتشددة في مدى صحة تمثيل أطراف الإنتاج الثلاثة (الحكومات، وأرباب العمل، والعمال)، وعلى الأخص التمثيل العمالي لما هو معروف بعدم وجود نقابات بحرينية علنية مشروعة حينئذ.

كما يعد الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة من وزراء العمل والشؤون الاجتماعية الخليجيين المؤسسين لمجلس وزراء العمل والشؤون

الاجتماعية الخليجي في أواخر سبعينيات القرن الماضي، والذي تم إلحاقه بمجلس التعاون بعد فصل العراق منه على خلفية غزوه الكويت عام ١٩٩٠م، وشارك الشيخ عيسى كوزير للعمل والشؤون الاجتماعية، بفاعلية باسم دولة البحرين في كل المؤتمرات والفعاليات العربية والدولية التي تتطلب حضوره، ولم يتخلف قط عن أي فعالية توليه الوزارة.

وكانت فترة تسلمه وزارة العمل من أكثر فترات تاريخ هذه الوزارة ازدهاراً، حيث شهدت حيوية ونشاطاً متميزاً في ممارسة الوزارة لمهامها، وفي المكاسب والإنجازات التي تحققت تحت قيادته لها، حيث كانت الوزارة شعلة من النشاط، وكانت هذه الفترة أيضاً من أكثر الفترات التي ضمت من خلالها أفضل الكفاءات البحرينية الشابة بالعشرات من مختلف فئاتنا الاجتماعية، وأتيح لها المجال سريعاً لتتقلد مسؤوليات في الوزارة، وفي هذا الصدد، فإنني شخصياً مدين للشيخ عيسى بتعييني رئيساً لقسم العلاقات الدولية، حيث كنت أول رئيس لهذا القسم، بعد فصل الشؤون القانونية عنه حتى أواخر الثمانينيات. كما تشرفت بالمشاركة مع هذا الوزير في تمثيل وطننا في العديد من المؤتمرات العربية والدولية طوال فترة توليه الوزارة، واكتسبت الكثير من الخبرات والمعلومات والمهارات القيمة بفضل تلك المشاركة.

معه في جناحه الخاص بالفنادق التي كنا ننزل فيها أثناء المؤتمرات ومبادراته بتنظيف مائدة الطعام التي يستضيفنا عليها.

وفي فترة تولي الشيخ عيسى وزارة العمل شهدت الوزارة واحدة من أبرز مراحل نشاطها الإعلامي والثقافي، حيث كانت تصدر نشرة دورية في كراس ذي حجم كبير من الصفحات، وتعرف باسم «النشرة الداخلية» تعنى بشئون الوزارة والموظفين والإدارات والأقسام المختلفة، وساهم في تحرير موادها الموظفون أنفسهم. كما صدرت مجلة «العمل» في ورق مصقول، وبطباعة فاخرة، وكانت تعنى بمختلف قضايا العمل والشئون الاجتماعية وأنشطة الوزارة على الصعيدين الوطني والدولي. وكان لي شرف المساهمة في كلتا المجلتين.

كما كان الوزير حريصاً على الدوام على إطلاع الرأي العام إعلامياً على سياسات وأنشطة الوزارة وما تحقّقه من مكاسب من خلال الجريدة اليومية الوحيدة حينذاك «أخبار الخليج». وتسهيلاً لهذه الغاية كان الشيخ عيسى يحرص على تعيين الزميل الأستاذ لطفي نصر ضمن أعضاء وفود وزارة العمل التي يرأسها الوزير إلى المؤتمرات العربية والدولية؛ ليتسنى له بنفسه -أي الأخ لطفي- أن يقوم بتغطية موسعة لتلك

فإذا نسيت شيئاً فلن أنسى بعض الجوانب الإنسانية الموضوعية الجريئة في شخصية الرجل، ففي إحدى المرات من أواخر السبعينيات وعلى أثر حصولي على منحة لواحدة من الدراسات العليا بمعهد التخطيط في الكويت وتعذر سفري لوجود جواز سفري في عهدة إدارة الهجرة والجوازات منذ فترة طويلة فإنه عندما عرضت عليه هذه المشكلة التي تحول دون سفري للكويت وافق على اقتراحي بأن يقوم هو بمخاطبة وزير الداخلية بكتاب رسمي حول الموضوع، ولم يتوان في إطلاعي على الرد الرسمي لهذا الأخير، والمتضمن أسباب احتجاز الجواز حينذاك، وصعوبة تسليمي إياه في تلك الفترة.

ومن المفارقات أن يأتي موقف الشيخ عيسى الشهم هذا على النقيض تماماً من أحد الوكلاء السابقين في وزارة العمل بعد خروج الشيخ عيسى مباشرة منها، وعلى مدى ١٥ عاماً حتى أزاحته الحكومة في أواسط التسعينيات.

وإذا نسيت شيئاً أيضاً فلن أنسى من هذه الجوانب الإنسانية للشيخ عيسى تواضعه الجرم، وتبادلته المرح والنكات مع جميع الموظفين صغاراً وكباراً. وأتذكر جيداً من خصال التواضع هذه التي تميز بها، حينما كان يدعونا نحن أعضاء الوفد المرافق له للجلوس

المؤتمرات التي تشارك فيها، أو ليعبر في المقالات والأعمدة التي يكتبها عن رأيه أو انطباعاته عما لعبته وفود الوزارة من أدوار حيوية مهمة تسهم في إنجازها.

وعلى الرغم من أن وزارة العمل أحرزت إنجازات ومكاسب متعددة منذ تأسيسها، وإن على نحو متفاوت بين كل وزرائها، فإنه في تقديري لا يمكن فهم طبيعة وخصوصية الإنجازات التي حققتها في عهد الشيخ عيسى بن محمد، أيًا كان الاتفاق أو الاختلاف على تقدير حجمها وأهميتها، إلا إذا وضعناها في سياق المرحلة التاريخية البالغة الحساسية التي تولى خلالها الوزارة إبان السنوات الأولى من حقبة حل برلمان ١٩٧٥م السابق.

ويمكن القول أيضاً إن الرجل هو على الأرجح الوزير البحريني الوحيد الذي يعلن عزمه مقدماً قبل سنوات على الاستقالة من منصبه، وذلك كما جاء في حوار له في «النشرة الداخلية»؛ للتفرغ لممارسة مهنته التي أحبها «الحقوق» كمحام ويصدق عند كلامه، وإن كانت ملابسات توقيته هذه الاستقالة تثير علامة استفهام كبيرة، وأحسبها معروفة لدى العارفين ببواطن الأمور السياسية.

كما كانت ولاية الشيخ عيسى بن محمد على وزارة العمل هي الفترة التي استطاع فيها الرجل تحويل اللجنة العمالية من لجنة مؤقتة معينة إلى لجنة دائمة منتخبة شبه نقابية شاركت فيها مختلف القوى النقابية العمالية التي كانت تعمل تحت الأرض، وسدت بذلك تلك اللجنة شيئاً من الفراغ النقابي حينذاك.

لقد ذكرت هنا ذات مرة أنه في اليوم الذي فوجئ فيه العاملون بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية باستقالة هذا الوزير، بكوه جميعهم، صغاراً وكباراً، من أصغر المراسلين حتى أعلى المسؤولين.. وما زال حتى يومنا هذا هؤلاء الموظفون لا يذكرونه إلا بالخير.. وهذا لعمرى لهو أنبل وأعظم وسام وتكريم يحق لأي مسئول في الدولة أن يفخر به بعد انتهاء خدمته.

ولذا فإننا إذ نشيد بمبادرة الجهات الأهلية التي تنوي تكريم الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة هذا العام، فالآمال تحدونا بأن ينال الرجل نصيبه من التكريم مستقبلاً من قبل القيادة السياسية. ولا يسعنا ختاماً سوى أن نقول: كل سنة وأنت طيب يا أبا محمد، وأطال الله عمرك، ومتعك الله بموفور الصحة والعافية.

الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة *

بقلم: لطفي نصر
صحفي



وكان مكسباً كبيراً لي أن أعمل مع هذا الرجل معظم - إن لم يكن كل - سنوات فترة عمله وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.. وكان وزيراً زاهداً في كل ذرة يمكن أن تكون لها علاقة بمنصب الوزير.. يفضل على الدوام أن ينظر إليه، وأن يتعامل الجميع معه بشخصه واسمه مجرداً.. لا معالي.. ولا سعادة.. ولا غيرهما.

كان - ولا يزال - وطنياً من الطراز الأول.. يأبى أية كلمة إشادة أو مديح، حتى ولو أعطته حقه أو أقل منه.

كان تعامل الشيخ عيسى بن محمد عندما كان وزيراً يجسد عنصراً لا يتكرر لأفضل نموذج لتعامل الوزراء مع الصحفيين.. لست أعتقد أنني قد حصلت منه يوماً على موعد مسبق كي ألتقيه.. كان على استعداد أن يستقبل الصحفيين في كل وقت تقديراً منه لرسالتهم ودورهم.. أذهب إلى مكتبه في كل

جاءت لفتة طيبة من منظمي مؤتمر العمل العربي الذي سينعقد على أرض البحرين تحت رعاية العاهل المفدى يوم السادس من مارس المقبل، بأن يكون الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزير العمل والشؤون الاجتماعية الأسبق على رأس رواد العمل العرب المكرمين في هذا التجمع المبارك بإذن الله.

لا أريد أن أقول أن هذه اللفتة الطيبة قد تأخرت كثيراً.. بل يكفي أن أشير إلى أن هذا الرجل يستحق أن يكرم في كل تجمع عربي أو خليجي أو بحريني، وأن يشاد به، وأن تصل أعماله ومواقفه وأفضاله إلى مسامع الجميع من أجل الجميع، وخير المسيرة الوطنية على الدوام.. ذلك أن وزيراً في مثل الشيخ عيسى بن محمد لن يتكرر.. لأنه لم يكن وزيراً بالمعنى التقليدي المتعارف عليه.. فقد كان أكبر من هذا كله.. كان ولا يزال والعمر الطويل له بإذن الله إنساناً وطنياً بكل ما تعنيه الكلمة من معان.



البحرين المشارك في مؤتمرات العمل للدول العربية أو دول الخليج العربية. ثار ثورة عارمة وغضب بشدة عندما تجرأ أحد كبار المسؤولين بالوزارة على رفع اسمي من أحد هذه الوفود على أساس أنني لست موظفاً بالوزارة، وأصر على إعادة اسمي إلى نفس قائمة الوفد.

كانت للشيخ عيسى بن محمد مكانة خاصة، وتوقيراً فريداً بين رؤساء الوفود في المؤتمرات الخليجية والعربية. بذل جهوداً مضنية وخالدة في تأسيس مجلس وزراء العمل

يوم تقريباً، ثم أجد نفسي جالسا أمامه ما دامت الأمور تسمح بذلك.

من حق الصحفي أن يسأله كما يشاء فلا سر يخفى على الصحافة ما دام نشره يخدم المصلحة العامة. كان تقديره للصحافة ورجالها عالياً. يعتبر الصحفيين مكملين لدور الحكومة في خدمة الوطن والمواطنين.

كان يضعني على قائمة أعضاء الوفد الرسمي للوزارة في كل المؤتمرات الخليجية والغربية. كنت دائماً عضواً أصيلاً في وفد



تشجيع الشباب البحريني واحتضان مواهبه وإبداعاته سياسة لم يُحد عنها الشيخ عيسى بن محمد طيلة حياته العملية

من الأهمية في مؤتمر العمل الدولي بجنيف سنوياً.

كان الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة الداعي الأول وواضع الأساس والنبذة الأولى لأول تنظيم عمالي على أرض البحرين. كان الجميع ينظرون إلى توجهاته وتحركاته في هذا الاتجاه على أنها مخاطرة يخشون عليه منها. وكان هو مؤمناً بأن إخراج أي نشاط أو أعمال مهما كانت من تحت باطن الأرض إلى

والشئون الاجتماعية لدول الخليج العربية.. ثم في تأسيس مجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية لدول مجلس التعاون.. حيث انطلق هذا المجلس من أرض البحرين.. ولولا جهوده لما قام هذا المجلس في تاريخ مبكر سبق به المجالس الخليجية الأخرى.

وكان وجوده على رأس وفد البحرين إلى المؤتمرات العربية تنتظره كل وفود الدول الأخرى.. وهكذا كان وجوده على درجة عالية

ما فوقها هو مصلحة
وطنية بالدرجة الأولى.
بل إنها بمثابة سحب
لللبساط من تحت أقدام
كل من يفكرون في أن
يكونوا مناوئين للمسيرة
الوطنية!

وتشكلت من خلال

هذه المبادرات التاريخية للشيخ عيسى أول
لجنة مؤقتة لعمال البحرين، ثم اللجنة
الدائمة، ثم التنظيم العمالي لعمال البحرين.

وقد قادت هذه الجهود والمبادرات إلى الوضع
الراهن الذي نرى عليه التشكيل النقابي لعمال
البحرين صرحاً عالياً يشار إليه بالبنان. كنا
في الصحافة لا نستطيع ذكر عبارة: نقابة أو
نقابي.. أو تنظيم عمالي.. وجاءت مبادرات
الشيخ عيسى بن محمد لتبدد هذا الخوف
تماماً.

سمعت الشيخ عيسى ذات مرة يتحدث إلى
أحد الأشخاص، وفهمت ما معناه أن شقيقه
الشيخ إبراهيم بن محمد -رحمه الله- قد
عين من يراقب شقيقه، وخاصة أن الشيخ
عيسى كان قد بدأ في إصدار مجلة عمالية من
مكتبه تطرح قضايا عمالية جريئة، وقد جاء

كان وجوده على رأس وفد البحرين
إلى المؤتمرات العربية تلتظره
كل وفود الدول الأخرى.. وهكذا
كان وجوده على درجة عالية من
الأهمية في مؤتمر العمل الدولي
بجنيف سنوياً.

هذا الطرح من قبيل
التباهي بأن الكل يقوم
بواجبه من أجل الوطن
مهما كانت الأمور..
فالوطن عند الشقيقتين
هو الأول..!

ولذلك أقول إن
الأشقاء الثلاثة: الشيخ

عيسى بن محمد. والشيخ إبراهيم بن محمد.
والشيخ عبدالعزيز بن محمد وزير التربية
والتعليم الأسبق.. وقد عملت إلى جانب كل
منهم فترات من الزمن.. يشكلون منظومة
عطاء وطنية نادرة الحدوث.. ويحتاجون معاً
إلى قلم جريء يؤرخ لمنظومة العطاء الخالدة
للأشقاء الثلاثة.

لذلك أقول إن هذا التكريم الذي سيحدث
للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزير العمل
والشؤون الاجتماعية الأسبق بوصفه رائداً
لمسيرة العمل الخليجي والعربي.. وهذا الذي
اقترحه الزميل الأستاذ محميد المحميد
بإطلاق اسم الشيخ عيسى على أحد شوارع
البحرين الكبرى هو أقل بكثير مما يستحق..
حفظه الله ورعاه ومتعه بالصحة والعافية
ووهبه طول العمر.

في الأول من مايو.. تحية لعيسى بن محمد بن عبدالله *

بقلم: محمد المرباطي



هذه القيم التي تجعل المرء إنساناً عندما يدركها، ويدرك أنها السبب المباشر في كونه إنساناً. هؤلاء يتميزون بمواقفهم، ويضحون بحياتهم وسعادتهم ومراكزهم من أجل الحرية، وكلمة الحق. كان أحد هؤلاء الرجال الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وزير العمل والشؤون الاجتماعية السابق، الذي تميز بكل هذه المعاني، وأقولها كلمة حق في رجل مناضل، وقف بكل شجاعة وإنسانية يدافع عن حق شعبه من أجل الحرية والمساواة. وقد تتسبني الحياة نفسي، ولكنها لن تتسبني مناضلاً دافع عن الحق العمالي منذ الأيام الأولى لتسلمه وزارة العمل عندما وقف متحدثاً كل رموز وأدوات القمع التي عرفت بها بلادنا خلال تلك المراحل. كان صوته مدوّياً داخل البلاد وخارجها، ينادي بحقوق العمال النقابية والمعاشية. لقد رافقته معارضة في مؤتمرات العمل العربية، حينها كانت تختلط الأوراق لدى المراقبين بين الوزير ومعارضيه،

إن التاريخ يجبرنا على قول الحقيقة، وللتاريخ ذاكرة محفورة في أعماق الزمن، والزمن يصبح في التاريخ أزماناً، فهنيئاً لأولئك الرجال الذين صمدوا في الزمن الصعب، زمن القمع وتكميم الأفواه، زمن كانت الكلمة الحرة دونها الحياة، فمن أرادها أراد الحياة، زمن كان البعض يرتجف، والبعض ينافق، وآخرون سكارى وهم ليسوا بسكارى، والكل معذور، لأن المرء لا يخلق شجاعاً، وإنما الحياة هي التي تعلم الإنسان قيم ومعاني الحرية التي تجعل الإنسان إنساناً. وفي الحرية يتساوى الغني والفقير، والسائل والمسئول.. «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً». الخليفة عمر بن الخطاب..

«يولد جميع الناس أحراراً ومتساوون في الكرامة والحقوق، وهم قد وهبوا العقل والوجدان، وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء». الإعلان العالمي لحقوق الإنسان- المادة ١

حيث كانت مطالب المعارضة العمالية، وما ينادي به وزير العمل الشيخ المناضل عيسى بن محمد آل خليفة كانت واحدة.

لقد عرفته عام ١٩٧٦م عندما غادرت إلى جمهورية مصر العربية لتمثيل عمال البحرين في مؤتمر العمل العربي الذي عقد في الإسكندرية أوائل مارس ١٩٧٦م، وكان المناضل المجهول -الرفيق- عبدالكريم سلمان العضو الحالي في مجلس نقابة المصرفيين، الذي كانت مشاركته تساوي التضحية بحياته، وعلينا أن نقيس التضحيات التي كان المناضلون النقابيون يقدمونها عند مشاركتهم العلنية في تلك المؤتمرات. وكان الشيخ عيسى رئيساً للوفد الحكومي البحريني في المؤتمر، خلالها جرى لقاء مع وزير العمل الكويتي الذي عرض علينا إمكانية ترتيب لقاء مع وزير العمل الشيخ عيسى لبحث جميع المسائل الخلافية مع الحكومة، وقد تم هذا اللقاء الذي حضره وزير القوى العاملة المصري عبداللطيف بلطية ورئيس اتحاد عمال مصر سعد محمد أحمد، إضافة إلى وزير العمل الكويتي، ورئيس اتحاد عمال الكويت حسين الصقر.

لقد وجدنا خلال هذا اللقاء أننا أمام شخص يحمل ذات الهموم الوطنية والنقابية التي نحملها نحن في المعارضة العمالية. لقد كان مع الحقوق النقابية، ومع الحرية والديمقراطية،

وكان ضد التمييز، ومع الأفضلية للمواطنين في العمل، وكان يشجب اعتقال العمال والنقابيين، ويردد كلمته المشهورة: «النقابات كالفطر، كلما قطعت رأساً نبت ألف رأس».

ولا يزال الجميع يتذكّر وزير العمل الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة عندما أعلن في كلمته التاريخية بمناسبة الأول من مايو عام ١٩٨٠م: «كنت سعيداً كل السعادة لمشاركة عمال البحرين في احتفالهم بعيد العمال العالمي». وقال: «حدثت إليهم حديثاً من القلب إلى القلب، بعيداً عن الرسمية». لقد كانت لحظات تاريخية نادرة عندما قال وبكل شجاعة: «سنسير الآن بخطى ثابتة نحو تشكيل النقابات العمالية، وسنقوم بمراجعة شاملة لقانوني العمل والتأمينات الاجتماعية؛ لتدعيم ما تحقق للعمال من مكاسب».

وفي يونيو عام ١٩٨٠م عندما كانت البلاد تمرّ بمرحلة صعبة وفي ظل أحكام أمن الدولة، أعلن الشيخ عيسى بأن: «من يرفض الحرية بدلاً عن العبودية، ومن يرفض العدل بدلاً عن الظلم، ومن يرفض المساواة بدلاً عن التفرقة والتمايز بين البشر، ومن يرفض الحق بدلاً عن الباطل يقف ضد الديمقراطية».

لقد كان للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة دور حاسم في صناعة مرحلة تاريخية من



لنقابات العمال العرب بدعوة من وزير العمل والشؤون الاجتماعية الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة خلال الفترة من ١ إلى ٣ مارس ١٩٨٠م برئاسة حميد أبوبكر جلود الأمين العام للعمال العرب، وعضوية المرحوم محمد عبدالمحسن العصيمي نائب رئيس الاتحاد العام لعمال الكويت، والمرحوم الهاشمي اللبناني الأمين الوطني لاتحاد الشغل المغربي، وقد نتج عن الزيارة بيان وإعلان مشترك بين حكومة البحرين ممثلة في وزارة العمل والعمال العرب، تضمن العديد من النقاط أهمها: البدء في تأسيس النقابات العمالية،

نضالنا العمالي عندما شجع المعارضة العمالية الممثلة في اتحاد عمال البحرين آنذاك على الحوار المباشر داخل البحرين، نتج عنها القبول بزيارة النقابي المغربي المرحوم الهاشمي اللبناني للبحرين خلال الفترة ما بين ٥ و٨ يناير ١٩٨٠م، الذي سلم تقريره عن هذه الزيارة لاتحاد عمال البحرين بتاريخ ١٠ يناير ١٩٨٠م، ونسخة محفوظة للأمانة العامة للعمال العرب.

لقد شكلت هذه الزيارة نقطة تحول في مسار حركتنا النقابية بعد أن قبلت الحكومة بزيارة وفد من الأمانة العامة للاتحاد الدولي

وإطلاق سراح جميع النقبائين، وجرى الاتفاق بأن يكون لاتحاد عمال البحرين ناطق رسمي باسمه داخل البلاد، وتم تحديد موعد للقاء بين وفد من اتحاد عمال البحرين مع وفد حكومة البحرين لدى مؤتمر العمل العربي ببغداد بتاريخ ٧ مارس ١٩٨٠م، حيث جرى لقاء مطول بين وفد وزارة العمل برئاسة وزير العمل ووفد اتحاد عمال البحرين على هامش المؤتمر بإشراف مندوبين عن اتحاد عمال العرب، وعدد من النقبائين العرب من الكويت وسوريا والعراق، وقد شارك في هذا اللقاء المناضل موسى غلوم -عضو اللجنة المشتركة لعمال شركة البحرين لزلاقة السفن وعضو اتحاد عمال البحرين والرئيس الحالي لجمعية الإخاء- تم خلاله بحث الوضع النقابي، وإمكانية التحول إلى العمل العلني داخل البلاد، واتفق على أن يتقدم اتحاد عمال البحرين بأوراق اعتماده لوزارة العمل، ولكن الحكومة -حينذاك- لم تتحمل توجهات الشيخ عيسى بن محمد الداعمة للحق النقابي وللحركة العمالية عندما شنت حملة واسعة من الاعتقالات والمضايقات بحق رموز اتحاد عمال البحرين. كما جرى اعتقال الناطق باسم اتحاد العمال، ونتيجة لهذه الضغوطات والإجراءات التعسفية بحق ممثلي الاتحاد، أعلن الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في مؤتمر صحفي استقالته من الوزارة، وأخذ

على عاتقه مهمة الدفاع عن عدد من النقبائين المعتقلين.

وبذلك انتهت صفحة مشرقة في تاريخ بلادنا، لتبدأ مرحلة أخرى من الصراع والمعاناة والقهر استمرت قرابة العشرين عاماً. كانت تهيمن على البلاد أجواء الإرهاب والاعتقالات العشوائية بحق النقبائين والعمال، ومن جانب آخر نشط اتحاد عمال البحرين على الصعيدين العربي والعالمي لكسب الرأي العام إلى جانب حقه النقابي. خلالها شارك وفد من اتحاد عمال البحرين في مؤتمر العمل العربي ببغداد، وفي بنغازي بليبيا. ونتيجة للموقف العربي المؤيد للحق النقابي لعمال البحرين اضطر الوفد الرسمي للانسحاب من المؤتمر، وتجميد عضوية البحرين في منظمة العمل العربية، على إثرها جرى تدخل من منظمة العمل الدولية التي أرسلت وفداً إلى دمشق برئاسة المرحوم عبدالرؤوف أبو علم المستشار الإقليمي للمنظمة بهدف الوساطة بين اتحاد عمال البحرين والحكومة، والاتفاق على أطر الحوار وأهدافه.

وبعد أربعة لقاءات في مقر الأمانة العامة للاتحاد الدولي تمت الموافقة على وساطة مبعوث المنظمة الدولية، وهي مرحلة أخرى من التاريخ النضالي لاتحاد عمال البحرين.

تجربتي الشخصية مع الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة

بقلم: الأستاذ إبراهيم كمال إبراهيم
مدير مكتب الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة للمحاماة والاستشارات القانونية



عيسى بن محمد المحامي:

وجدت متعة كبيرة في العمل في هذا المكتب، واستعنت بخبراته وتوجيهاته في عملي في كافة المراحل، وقد شهدت أعماله القانونية ومواقفه الإنسانية، واستمر بالعمل معه حتى هذه اللحظة، وإنني لم أشبع -بعد كل نهمي- من خبراته الممتدة، وعطاءه المتدفق.

فلقد وجدته محامياً وإماماً حكيماً، وفيلسوفاً عليماً، يقدر الأعمال حق قدرها، ويضع الأشياء في مواضعها، ينشر العلم والمعرفة، وينقل خبرته إلى من حوله، فديده في العمل القانوني كمحام يبدأ بدراسة أوراق القضية دراسة وافية ومستفيضة من كافة النواحي، ثم يخطط للسير فيها كي يكون تخطيطه على أساس علمي مكين، وتكيف قانوني سليم، فهو يعتمد -بعد الله تعالى- على حسن التخطيط، والتنظيم، والإعداد، أخذاً بالأسباب، ويفكر قدر ما يستطيع البشر، ولكنه لا يغفل أبداً عن التوكل على الله

لقد تعرفت على الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة مبكراً في المكان الذي جمعني به بوزارة العدل، حينما كان قاضياً بالمحاكم ثم وزيراً للعدل، واعتبره معلمي الأول.. وكنت وقتئذ شاباً في السابعة والعشرين من عمري، ثم أسندت للشيخ عيسى حقيبة وزارية أخرى هي وزارة العمل والشؤون الاجتماعية التي لا تُنسى أعماله الخالدة فيها حتى الآن، والذي تجلت فيها مهنته كمحام وقانوني بارع في أبهى صورها حينما شعر بحسه القانوني العادل، ومسئوليته كوزير، وقرر وضع قانون العمل في القطاع الأهلي، لحفظ حقوق العاملين ومصالح أرباب العمل.

وفي عام ١٩٨٠م ترك الوزارة، ودشن مكتباً للمحاماة والاستشارات القانونية. وقد كتب المولى لي العمل بهذا المكتب.. وقد

تعالى، ولا ينسى أن الأمر كله بيده.

وكان يحث من حوله على الاطلاع والتزود بالعلم، والتطلع إلى الأفضل، كما أن له حضوراً أخذ، وأسلوب متفرد في الإلقاء، وهيبة ووقار في مرافعاته أمام المحاكم قلما تتوافر مثل هذه السمات في شخص واحد، وأشعرتني بأن المهنة التي يمتهنها كمحام هي أكبر من عمل قانوني يكلف به، أو يقابله أعاب، فهي رسالة نبيلة، وأمانة ثقيلة، يعوزها الجد وبذل الجهد والعمل الدؤوب المتواصل، فهي لا تقبل أو تتحمل التراخي أو التواكل الذي قد يتسبب أو يترتب عليه ضياع الحقوق، وهنا يظهر الجانب الحازم الذي لمستته في شخصيته كمحام، مقتدياً في ذلك بقول نبيه صلى الله عليه وسلم: «من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا...».

عيسى بن محمد الإداري:

وعن الشيخ عيسى الإداري أقول إنه القائد المتميز، الذي يتسم بالثبات والنزاهة والصدق. وكما قيل: «إن الشخص الذي يقوم بالدور القيادي هو أكثر أفراد الجماعة إحساساً بحاجتها، وبالأسلوب الأمثل لتحقيق أهدافها».

ومن هنا تتضح أهمية تمتع القائد الناجح بصفات محددة يجب أن تتوافر فيه، وجلّ هذه

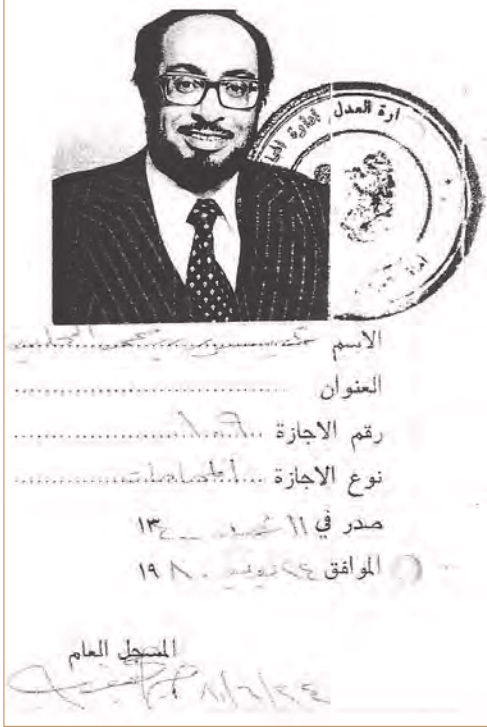
الصفات توافرت في الشيخ عيسى بن محمد، فإضافة إلى أنه أرسى السياسة العامة للمكتب وخطّة العمل، فدائماً هو الأكثر ضخاً للأفكار السليمة، ومساهمة إيجابية في إيجاد روح التفاعل بين أعضاء المكتب، وتبادل الخبرات والخدمات معهم، في جو من الألفة والمحبة، وإشاعة أجواء المحبة والسُرور بين الأعضاء، وتقليل حدّة التباعد فيما بينهم من خلافات لو حدثت لا قدر الله، ودعم أداء من حوله نحو تحقيق الأهداف.

كما أن له قدرة تنظيمية عالية في العمل مع فهم عميق وشامل للأمور، والتنسيق والتخطيط لعلاقات العمل وحرصه على الاتصال بالجميع؛ لتبادل المعلومات، وتشجيعه لهم على تحقيق الأفضل، وله قدرة على التعامل مع مرؤوسيه، وتنسيق جهودهم، وإيجاد روح العمل الجماعي بينهم، ورؤيته للتنظيم الذي يقود إلى معرفة وتحديد الأهداف المطلوب إنجازها، والمرونة في أوقات التغيرات، ويمتاز الشيخ عيسى القيادي إجمالاً بالآتي:

١- منحه المسؤوليات للموظفين.

٢- قدرته على أن يتبعه الأشخاص الذين يتعامل معهم طواعية.

٣- قدرته على التنازل عن الأفكار القديمة، إذا توافر ما هو خير منها.



الإجازة الخاصة بمزاولة مهنة المحاماة للشيخ عيسى بن محمد

الموطن، فينزل النبي صلى الله عليه وسلم عن رأيه، ويأخذ بالطرح الآخر لأنه الأنسب والأكثر فائدة، فكان التقدم سمت هذه الأمة، وعلامة عليها.. وقد أخذنا عنه هذا النهج الأمثل في النظر إلى الأشياء وتقويم الأمور.

عيسى بن محمد الإنسان:

كان لا يرفض طيبات الدنيا إذا تيسرت له، بل إذا وجدها تناولها وحمد الله تعالى، وإذا

٤- اهتمامه بالتخطيط، فلا يترك النجاح للصدف.

٥- يتحدث عن الحلول، والأتباع هم من يبحثون عن المشكلات.

٦- يضاف إلى ذلك، أنه قائد وبحق تعرفه بثباته عند الشدائد، وتمالكه عند الصعوبات، وهو من يصنع بيئة للعمل بنظرفته الإستراتيجية للمستقبل؛ لأنه يرى الصورة كاملة، وهو ناجح في أمر قلماً تجده في غيره، وهو أنه - ومهما يكن - لا يوجد معه موظف سيء.

٧- وله أساليب أخرى في العمل تساعد على النجاح، فهو كإداري ناجح يحفز الآخرين عن طريق الحب والاحترام أولاً.. أن تحبهم فيحبونك، وتحترمهم فيحترمونك.

٨- وكان يرى أن رأيين خير من رأي، وكان يقبل بتعدد الآراء والأطروحات ما لم تكن إثمًا، مقتدياً بالقدوة الحسنة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في مواطن الحسم والقرار عندما كان يأتي من يأتي من آحاد المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم ويقول له: أمنزل أنزلك الله فلا نتقدم عنه ونتأخر؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فيقول له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة»، فيشرع الرجل في طرح فكرته، وبيان رأيه فيما يحسبه الأنسب في مثل هذا

لم يجدها لم يتكلفتها، ولم يحزن على فقدها. وهو صاحب دعاية وظل خفيف.

وهو صاحب دعوة ربانية الأساس والوجهة، وسامي الروح، طاهر القلب، محاسب للنفس، وصادق الصلة بالله تبارك وتعالى. وقد تجلى ذلك في أقواله وأعماله، وفي مناهج العمل والمواقف العملية المعبرة كمُثل عليا للحياة المتوازنة.

ودائماً تجري على لسانه آيات الذكر الحكيم، ويستشهد بها في مذكراته، وهو العابد الزاهد، فرأيته في مجال العبادة لربه، العابد الذي كانت قرعة عينه في الصلاة، وكان دائم الذكر لله تعالى في كل أحواله. وقد حفلت بمناقبه مقالات الصحف والمجلات، والمنابر وصالونات النقاش. ولكنه لم يغفل الجوانب الأخرى بما تفرضه من أعباء، وما تمثله من مطالب، لم ينس أنه إنسان وزوج وأب وجد، وقريب، وجار، وصديق، وأن كل علاقة من هذه لها حقوقها.

ولهذا رأيته إنساناً يرضى كما يرضى البشر، ويغضب كما يغضب البشر. ويفرح كما يفرحون، ويحزن كما يحزنون، ولكنه إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، ويشارك أصحابه في مسراتهم.

والحقيقة التي يلمسها الجميع أن الشيخ عيسى يجسد مفهوم ومعنى مجتمع الأسرة الواحدة التي يتكاتف أبنائها، ويشد بعضهم بعضاً لتحقيق آمالهم وطموحاتهم نحو مزيد من التقدم والازدهار، وكما تتعدد الآراء والاتجاهات داخل الأسرة الواحدة تتنوع كذلك الاجتهادات والتصورات داخل المجتمع، إلا أنها في النهاية تصب في بوتقة واحدة ينصهر فيها الجهد المشترك للجميع.

كما يتأكد حرصه على المصلحة العامة في سعيه لتحقيق الأمان والسلام للمجتمع، وحماية إنجازاته ومكاسبه، والعمل بكل جهد و طاقة لتحقيق المزيد من التقدم.

مثال للحياة المتوازنة:

فقد لاحظت ذلك في مواقفه السياسية، كما أنه صاحب حضور قوي ومؤثر في محاضراته التي تشد الجمهور، وتؤثر في نفوسهم. والحق أقول إنه كان مثلاً تطبيقياً أعلى للتكامل وللتوازن بين المثال والواقع، بين الفردية والجماعية، بين القلب والعقل، مقتدياً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم.

والواقع أن تاريخه الحافل - كما أشرنا إلى ذلك - يجد فيها كل طالب أسوة مكاناً للاقتداء بها.



﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ البقرة: ٢٨٦.

راجيا أن يكون جهدي المتواضع قد أبرز بعض الملامح في شخصية الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة.

اللهم اجعلنا من عبادك الذي يتعلمون فيعلمون، ويعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيثبتون، ويثبتون فيقبلون. اللهم آمين..

وفي النهاية، أضرع إلى الله في صلة توفيقه، وإمدادي بتسديده، مخافة وقوعي في الغلط، وأنا أقول في كلمتي هذه ما سبق به المثل: «من تلمذه النصيحة يلزمه العمل»، تولانا الله وإياكم برحمته، فإن ذلك بيده.

كلمة شكر وعرفان

بقلم: الأستاذ أحمد خليفة العسمي
سكرتير مكتب الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة للمحاماة والاستشارات القانونية



عندما أتحدث عنه أقول، لقد أدركت في عمري ما أحببت وفرحت لما أدركت، فلقد أراد الله عز وجل أن يحقق لي أملاً ظل يراودني فكنت من أوائل الملتحقين بمكتب الشيخ عيسى للمحاماة والاستشارات القانونية في يونيو عام ١٩٨٠م بعد استقالته من منصبه كوزير لوزارة العمل، وبما أفاء الله علي أن هياً لي العمل مع هذا الشيخ بهذا المكتب لأقرب منه أكثر فأكثر... فما وجدت إلا رجلاً لله دره رجلاً، عامراً بالإيمان صدره، وبالحب قلبه، وبالطهر يده، لو سكبت حروفي في وصفه عطراً لعطرت الزمان والمكان، ولو أشعلت الكلمات نوراً لأضاءت الدنيا بنورها، فلقد وجدت متعة كبيرة في العمل معه، فكان المعلم الحكيم والموجه الخبير والمربي الفاضل واستغنت بعد الله بخبراته وتوجيهاته في عملي، وحياتي فعلمني الأخذ بالأسباب، دون أن أغفل أبداً عن التوكل على الله تعالى، وأن الأمر كله بيده. كما أنه يجمع بين خفة الظل وهيبة ووقار الحضور.

ماذا عساني أقول عن الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة سده الله ورعاه وأطال عمره بالصالحات.. اللهم آمين، والله لو كتبت كلمات الشكر بماء الذهب وزينتها بأنفس الأحجار الكريمة ما وفيته بحقه. ولكن هو الدعاء دوماً بظهر الغيب فلا يفي إلا الدعاء من رب السماء أن يبارك فيه وفيما أعطاه، وفي ذريته وفي الأسرة الكريمة... ونفع بعمله الجميع وجعله خالصاً لوجه الله... فإن هذا الرجل يسكن في القلب قبل أن تراه العين وتبتسم له الروح قبل أن تتمم الشفاعة، ويصافح القلب قبل أن تتحرك الأيادي، والله إنني كنت أحبه في الله قبل أن التحق بالعمل لديه، وبعد أن التحقت معه بالمكتب زاد حبي له في الله أكثر وأكثر من طيبة نفسه وقلبه الكبير وكلامه الطيب الجميل وحسن معاملته للجميع بلا استثناء، فسيحان من جعل له في قلبي قدراً وعلى لساني ذكراً.

فمن الصعب أن أكتب بما يليق بسعادة الشيخ عيسى بن محمد، فمهما كتبت وقلت فلن أوفيه حقّه.. فجمعنا على الحب والعطاء بلا حدود في هذا المكتب الثمين، فله يعود الفضل بعد الله في تعلمنا الكثير، وأفدنا واستفدنا وبه عرفنا الوجوه الطيبة والنيرة.

فما من أحد عرفه من قريب أو بعيد إلا ويدين له بالفضل، ويكن له من التقدير، فقد شمل الجميع بكثير من الرعاية والعناية، كما عمل بكل جهوده من أجل أن يكون المكتب بمكانة تليق به ووفر له كل السبل والإمكانات الكفيلة بنجاحه وتميزه.. فلقد أسهم في تخريج الكثير من الكفاءات والكوادر القانونية والإدارية محامين ومستشارين وإداريين تسطع بهم الوزارات والمؤسسات الحكومية والخاصة.. فيا من بنيت وشيّدت هذا الصرح بجد ونضال، لا يسعني سوى قول بورك مسعاك وجعل طريق العلم يرجو رضاك، دمت ذخراً، وحلت في الآفاق فخراً، سلمت يمينك على ما بذلت، وعلى ما أعطيت، ونسأل المولى أن يجعلك كسحاب أينما وقع نفع وأينما أمطر أزهر.

أعلم يقيناً أن دورك عظيم، ومن حقك أن تلقى من الثناء والشكر ما تستحق، مني ومن كل فرد يحتفظ في حياته بالفضل والعرفان لمن علمه... فأنا العارف بفضلك، المستضيء بقدرك العاجز عن القيام بالشكر.

وقد حررت هذه السطور بلسان الإمكان لا بقلم التبيان ... سائلاً المولى عز وجل أن يجعلنا وإياه من أهل القرآن .. وأن يرزقنا وإياه الفردوس الأعلى من الجنان ، وصدق الله إذ يقول: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن: ٦٠.

ولو أنني أوتيت كل بلاغة
وأفانيت بحر النطق في النظم والنثر
لما كنت بعد القول إلا مقصراً
ومعترفاً بالعجز عن واجب الشكر
أختم كلمتي إليك:

إليك يا من يقف الشكر حائراً، عاجزاً عن شكرك..

إليك يا من تعجز الكلمات عن ذكر بعضك..

إليك يا من لو أتينا بالتقدير كلمة ما وقى ببعض قدرك.. إليك منّا كل الوفاء.. والتقدير.

أفضاله مستمرة على العمل الخيري والإسلام *

المشير عبدالرحمن سوار الذهب
الرئيس السوداني السابق، ورئيس منظمة الدعوة الإسلامية



تعود معرفتي بالشيخ عيسى بن محمد آل خليفة إلى الفترة التي بدأت فيها رئيساً لمنظمة الدعوة الإسلامية بعد انتهاء فترة حكمي للسودان، وتم ترشيحي لرئاسة مجلس أمناء المنظمة، حيث كان الشيخ عيسى أحد مؤسسي منظمة الدعوة الإسلامية التي تقوم بدور واسع في المجال الإغاثي والدعوي في القارة الأفريقية.

نحن في منظمة الدعوة نكنّ لهذا الرجل كل الثناء والتقدير، ونشيد بجهوده الواسعة في دعم المنظمة في خلال مسيرتها الممتدة لأكثر من ربع قرن.. كل الإنجازات التي تحققت للمنظمة كانت بفضل الله، ثم بأفضال الخيرين من أمثال الشيخ عيسى بن محمد.. هذا الرجل أفضاله واسعة على السودان تحديداً، إذ أن له أصدقاء وإخوة زاملهم وعاشرهم لسنوات، منهم صديقه الأستاذ محمد يوسف محمد رئيس مجلس النواب السوداني، وهو من كبار المحامين والقانونيين في السودان.

يتميز الشيخ عيسى بن محمد أولاً وقبل كل شيء بتواضعه الجم، ثم بحبه للعمل الخيري ليس في نطاق بلده بل إن عطاءه ممتد لخارج حدود مملكة البحرين، وقد لمست ذلك من خلال زمايلي له في أكثر من منظمة خيرية وإسلامية. نسأل الله أن يمد في عمره، ويبارك في جهوده، وأن يمنحه الصحة والعافية؛ ليوصل المسيرة الخيرة الذي بدأها من سنين عديدة.. آمين.

* كلمة على هامش «منتدى الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وأصحابه للنجاحات الخليجية» (فبراير ٢٠٠٨م)

صلة حميمة جمعتني به

بقلم: الأستاذ الدكتور أحمد العسال - رحمه الله - *
مستشار الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد



الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين إمامنا ومعلمنا
وهادينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى من دعا بدعوته، واستمسك بسنته إلى يوم الدين..

وبعد..

فترجع صلتني بالحبیب الأعز الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة حينما كان طالب علم في القاهرة،
وكان يسكن مدينة حلوان، وظلت هذه الصلة والحمد لله في الله، ولله.

ولا أنسى يوماً كنتُ مسافراً، ومررت بالبحرين (ترانزيت)، وسُمح للأجانب بالدخول، ومُنعت. فكلّمت
الشيخ عيسى، وجاء على الفور، واصطحبني، فجزاه الله خير الجزاء. وظلت هذه الصلة حميمة، سائلاً
الله عز وجل أن يكرمه، ويجزيه خير الجزاء، ويتم علينا نعمته ومنّته..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* كتب هذه السطور قبل وفاته بشهور قليلة. تغمد الله بواسع مغفرته وأسكنه فسيح جناته..

منذ عرفته وهو في نفسي يكبر *

المستشار عبدالله العقيل
الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي - سابقاً



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له..

يعلم الله عز وجل ما في قلبي من شوق لرؤية هذا الأخ الحبيب، والزميل في الدراسة في مصر، الذي سعدنا به، وكان كما يذكر هو في المرحلة الثانوية، ونحن في المرحلة الجامعية.

ونشهد الله عز وجل أننا منذ تعارفنا في سنة ١٩٥١م، والرجل في نفسي يكبر، وبين إخوانه يكبر على استقامته والتزامه، وفهمه الإسلام من مصادره، وحبّه لإخوانه المسلمين أينما كانوا، وحيثما وجدوا.

وزيارتنا هذه - مع إخواننا من المملكة العربية السعودية - إنما هي بالدرجة الأساس زيارة للاطمئنان على صحته بعد عودته من المشفى؛ ولأجل أن نلتقي به وبإخوانه الذين تربطنا وإياهم رابطة العقيدة، ورابطة الدعوة المباركة، ورابطة الأخوة الإسلامية.

نحن نعلم جميعاً أن هذه الدنيا دارٌ ممر، وليست بدار مقر، وأنها قصيرة مهما طالَّت سنينها، وأن الأصل في العمل إنما هو العمل الصالح الذي يوصل إلى الآخرة، ومنهج الدعوة الذي تربينا عليه هو أن نعيش الإسلام، وأن نعيش بالإسلام، وللإسلام. ونحمد الله عز وجل أن جمع هذه القلوب المباركة، والوجوه النيرة على هذا المنهج الصحيح، منهج الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة.

* من كلمة ألقاها خلال زيارته الأخوية لجمعية الإصلاح (مارس ٢٠٠٨م).

العمل الخيري في البحرين نما وترعرع برعايته *

الأستاذ: يوسف الحجي
رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية



وإننا نتذكر معه أخانا عبدالله المطوّع
رحمة الله عليه، الذي كان همزة الوصل
بيننا في اللقاءات التي كانت تتم في الكويت،
وفي المؤتمرات الخارجية لرابطة العالم
الإسلامي..

للشيخ عيسى ذكرى طيبة.. نسأل الله له
التوفيق، وحسن الختام، وأن يتقبل منا ومنه
جميع أعمالنا الصالحة إن شاء الله.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول
الله وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد..

إن أخانا الفاضل الشيخ عيسى بن محمد آل
خليفة حفظه الله ورعاه لنا معرفة طويلة به،
وخاصة فيما يتعلق بالحقل الخيري الإسلامي،
وهو أخ عزيز، وعضو مؤسس للهيئة الخيرية
الإسلامية العالمية، اجتمعنا معه في الكويت،
وفي العديد من المؤتمرات الخارجية في دول
إسلامية وأوروبية..



كانت للشيخ عيسى بن محمد
الأقوال السديدة فيما يتعلّق بالعمل
الخيري، والإصرار على التمسك
بثوابت الإسلام وعقيدته الغراء.
كما كانت له أفعال خيرة، وتفان
في العمل الدعوي، وتواضع بين
الناس، لذلك فإن جمعية الإصلاح
البحرينية نمت وترعرعت برعايته
جزاه الله خيراً.

* كلمة على هامش «منتدى الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وأصحابه للنجاحات الخليجية» (فبراير ٢٠٠٨م).

عيسى بن محمد آل خليفة مدرسة الفكر الوسطي

بقلم: د. عدنان جاسم بومطيع
أستاذ الإعلام المساعد بجامعة البحرين



كما كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بداية عهد النبوة. وكانت المسيرة الصعبة المضنية التي كان أساسها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وبإصرار عجيب وطموح. هنا لن نذكر حجم التحديات الهائلة والمطاردة المجتمعية التي عانى منها الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة ورفاقه من شباب جيله، بقدر ما سنذكر كيف استطاعت الفكرة الإسلامية الجديدة أن تشق طريقها وتؤسس لها حضوراً لافتاً، تطور فيما بعد ليصبح حركة إسلامية واسعة التأثير والانتشار.

يؤكد الشيخ عيسى بن محمد بتواضعه المعهود، أن الاحتفاء به وبإخوانه إنما هو احتفاء بجمعية الإصلاح (المشروع)، التي تعلموا فيها أصول الدعوة والدين. إنه تكريم لمؤسسة دعوية وطنية رائدة بناها ومن معه، وبنتهم على حب الوطن وحب الخير للناس والسعي إلى خدمتهم. وأي خدمة عظيمة تلك

لم يقدم الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في حفل تكريمه الكبير الذي جرى تنظيمه في فبراير ٢٠٠٨م تجربة شخصية فحسب، بل أثبت ومجموعة من رفاق دربه نجاح تجربة وطنية إنسانية فريدة من نوعها امتدت نجاحاتها على مدى أكثر من خمسين عاماً. إذ حينما عاد الشاب من القاهرة أوائل الستينيات الماضية حاملاً ليسانس الحقوق، رجع وهو يحمل مشروع العمر الذي سيبقى أثره ضارباً في مجتمع البحرين.. رجع وقد رسم في مخيلته مشروع نهضة فكرية واجتماعية متكاملًا يقوم أساساً على فكر إسلامي نيرٍ ومعاصر. إنه مشروع لصياغة فكر جيل كامل، وليس مجرد جمعية أو نادٍ للعمل التطوعي الصرف. ويا للمفارقة التي فاجأت الرجل، فحينما رجع من مصر وجد أن المزاج الشعبي العام مخالف تماماً لما جاء به. بل وجد أن أفكاراً دخيلة أخرى قد سبقته إلى عقول الشباب. وكان لابد من البداية، تماماً



الكلمة التي ألقاها بمناسبة وضع حجر الأساس لمبنى جمعية الإصلاح (يونيو ١٩٧٩م)

أخلاقيات النبوة دون تطرف ولا شطط...
وشيء طبيعي، أن يترك الشيخ عيسى أثره
الواضح في سلوك أعضاء وعضوات الجمعية
على مدى السنوات الخمسين الماضية. إذ
تبقى شخصيته الجامعة محل إجماع وتقدير.
ويبقى المنهج ذاته هو الذي يصوغ أداء الجمعية
ويحمي مسيرتها من التراجع أو الانحراف.

إن سر النماء والتواصل الذي يميز نشاط
جمعية الإصلاح على مدى هذه السنين، هو

التي يسديها المرء حينما يقدم زهرة شبابه
وهو يدعو بدعوة الأنبياء والرسل، ويجند
لها الشباب ليحفظهم ويحفظوها راسخة في
نفوسهم وعقولهم.

إن جمعية الإصلاح التي أسسها الشيخ عيسى
بن محمد وإخوانه ليست مجرد جمعية أهلية،
إنها مدرسة فكرية تقوم على العمل الجماعي
المتماسك بالعمل الفردي المخلص. وهو عمل
ينطلق من صلاحية المنهج القرآني وعلى أساس

الفكر الوسطي الذي رعاه الشيخ عيسى. وهو فكر واضح ومنهج سهل، نتائجه مضمونة النجاح، وإن طال الطريق. ثم إن هذه الديمومة نابعة من يسر الإسلام وبساطة منطقه. فالقاعدة التي تجمع شباب الجمعية هي إصلاح الذات وإرشاد المجتمع إلى هدي الإسلام. وهذا عنوان واسع لكل ما تقوم به الجمعية من نشاط وخدمة لكافة قطاعات المجتمع. وحتى يستمر العطاء كان لابد من قيادة حكيمة تعرف طاقات الأعضاء وتلمس ظروفهم. وكان لابد من التصاق بهموم الناس ومعايشة لأوضاعهم. ولهذا استطاعت جمعية الإصلاح أن تحافظ على خطها الإصلاحي رغم تبدل الظروف وشدة المنعطفات.

إن هذه السياسة العامة حفظت الكثير من منتسبي الإصلاح من الدخول في متاهات فكرية متطرفة. وساهم الفكر الوسطي أيضا في حماية الجمعية من الانزلاق في تيارات انتشرت في الثمانينيات والتسعينيات، دفعت أتباعها إلى معارك خاسرة ومواجهات عقيمة ثبت فيما بعد أنها كانت عبثية.

ولا شك أن في المسيرة الطويلة وقفات فرضتها ظروف وملابسات، لكن يبقى ذلك من طبيعة العمل البشري المتصل بالضعف

الآدمي وقسوة الظروف المحيطة. ولا يعني إشادتنا بالتجربة الحركية للشيخ عيسى ومن معه، إغفال إخفاقات مريرة مرت بها الجمعية. لكن الحال يقول إن مجمل التجربة يظل مميزا بشكل لافت، إذا ما قورنت مع مثيلاتها في دول الخليج أو عموم الوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين. كما أن نفس المنهج حافظ على كينونة الجمعية وحماها من الضربات التي تلقتهما التيارات والحركات الفكرية الأخرى في البحرين، سواء في أشكالها الأيديولوجية أو في تفريعاتها المذهبية.

وكم كانت اللفتة كريمة من لدن الشيخ عيسى بن محمد وهو يتذكر رفاق العمر من الراحلين الكبار، من أمثال: الشيخ عبد الرحمن الجودر، والأستاذ مبارك الخاطر، والوجيه عبد الله عبدالرحيم الكوهجي، والوجيه جلال المير، وغيرهم من الراحلين وغيرهم من الباقين الثابتين على ذات الدرب.. «لقد أعطتنا جمعية الإصلاح أكثر مما أعطيناها، وعلمتنا أن نعيش للناس ومع الناس، ومحضن تربينا فيه على أن ما عند الناس يفنى، وما عند الله باق». وهذا باختصار سر الإنجاز العظيم الذي قدمه الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة للبحرين ولأبناء البحرين.

عيسى بن محمد..
نعمة الله لأهل البحرين *

الأستاذ قاسم يوسف الشيخ صالح



حالمًا يفرغ من دراسته بكلية الحقوق. وعندما كان يعود للبحرين في إجازة الصيف السنوية، كنا نلتقي به، ونتحدث معه عن هموم الدعوة، وكيفية النهوض بها، وعن أحوال المسلمين في أقطار العالم المختلفة.

وفي بداية ستينيات القرن الماضي عاد الشيخ عيسى بن محمد إلى أرض الوطن بعد تخرجه من القاهرة، وانضم مباشرة لعضوية نادي الإصلاح ثم تولى إدارته رسمياً بدءاً من عام ١٩٦٧م. وفي هذا المقام لا بد أن أقول شهادة للتاريخ بأن الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة هو نعمة من الله سبحانه وتعالى أنعم بها على البحرين وأهلها، فهو رجل قد هداه الله لاعتناق مبادئ الدعوة الإسلامية المباركة، وبالرغم من مرور كل هذه السنين فإنه لا يزال متمسكاً بمبادئه، يكافح ويناضل من أجل نشر الدعوة وقيّمها، بل ويعمل وهو في هذه السن المتقدمة من أجل نشر الخير،

توثقت علاقتي بالأخ الحبيب الشيخ عيسى بن محمد بن عبد الله آل خليفة منذ منتصف القرن الماضي، وتحديدًا مع العام الدراسي ١٩٥٠/٤٩م بعد أن التحق الشيخ عيسى بإخوانه للدراسة في حلوان بمصر قبيل ثورة يوليو ١٩٥٢م، وانضم إليهم فيما بعد الأخ عبدالعزيز الحسن الذي وطّد علاقتي بالشيخ عيسى، وخصوصاً بعد أن تشرّب فكر الحركة الإسلامية الفتية بمصر، وتواصل مع مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين، وكانت جماعة الإخوان قد حلّت في تلك الفترة بعد اغتيال محمود النقراشي باشا، ثم ما لبثت حكومة الوفد بعد فوزها في الانتخابات أن أعادت الترخيص لعمل جماعة الإخوان المسلمين واستئناف نشاطها رسمياً. وبدأ الشيخ عيسى بمراسلتي بشكل مستمر، يضمن رسائله عبارات ملؤها الأخوة الصادقة، والعاطفة الجياشة، ويعاهدني من هناك بالعمل لخدمة دينه ودعوته، ويشدد على واجب خدمة الوطن

كل أوساط المجتمع المحلي والإسلامي على
اختلاف مشاربها، حتى تلك القوى التي
تخاصم الدعوة وتيارها الوسطي العريض،
فإنها تكن له كل تقدير واحترام.

وتوجيه واحتضان الشباب المسلم، هو بحق أبو
الصحة الإسلامية المعاصرة في البحرين.
لهذا الرجل احترام وقبول كبيران من



علاقة مودة وأخوة ربطت الشيخ عيسى بن محمد بالأستاذ قاسم الشيخ لأكثر من نصف قرن

البحرين - الخرطوم.. ورحلة الذكريات *

بقلم: حافظ عبدالغفار
صحفي



في الخرطوم بقدر كبير.

فالرجل -منذ سنوات بعيدة- عرف عنه إقدامه على الانخراط في العمل الخيري والتطوعي على صعيد البحرين وخارجها من البلاد الإسلامية، وما من دليل على ذلك أكبر من تعهده بإدارة مكتب منظمة الدعوة الإسلامية في البحرين والمبادرة بمتابعة أنشطة المكتب الخيرية الدعوية وبخاصة في المناسبات الإسلامية كشهر رمضان «مشروع إفطار صائم» وعيد الفطر «مشروع كسوة العيد» وعيد الأضحى «مشروع الأضاحي».

هذا من جانب.. بالإضافة إلى تعهد الشيخ عيسى بن محمد ومتابعته للكثير من المشاريع الإنسانية الأخرى مثل إنشاء المدارس وكفالة الأيتام وحفر الآبار الارتوازية في الكثير من البلاد الإفريقية، وهي مشاريع تتم متابعتها ومناقشتها عن كثب بواسطة الشيخ عيسى مع

بالنسبة إلي كانت فرصة سانحة ومثيرة للقيام بزيارة للعاصمة السودانية في عام ١٩٩٧م لحضور مهمة صحفية وللخروج بالعديد من الاستطلاعات واللقاءات الخاصة.

الدعوة تمخضت عن الزيارة التي قام بها للبحرين الرئيس السوداني السابق المشير عبدالرحمن سوار الذهب حيث اختتم المشير زيارته بمؤتمر صحفي تم خلاله الترتيب لزيارة عدد من الصحفيين للسودان لتغطية وقائع وفعاليات مؤتمر منظمة الدعوة الإسلامية «مقرها الخرطوم» التي يترأس سوار الذهب مجلس أمنائها.

الشيق والأكثر أهمية في الرحلة بالنسبة إلي هو كوني ضمن وفد بحريني برئاسة الوزير والمحامي والأستاذ الفاضل الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة «وزير العمل الأسبق» وهو شخصية اتضح لي وأثلج صدري أنها معروفة

* صحيفة «الوطن» البحرينية - العدد ٦٧٣ - الأحد ١٤ أكتوبر ٢٠٠٧م.

لا يختلف اثنان على أن الشيخ
عيسى بن محمد آل خليفة من
الرجال الأوفياء المخلصين لهذا
الوطن، فعطاءاته أكبر من أن
يتم إيجازها عبر هذه السطور
المتواضعة

ما أن وصل الوفد البحريني إلى مطار
الخرطوم الدولي حتى ذهلت للمكانة الكبرى
التي يحتلها شيخنا في قلوب السودانيين
من قيادة وشعب! فقد تم الاستقبال بحفاوة
ورسمية تكاد تجاوز الأعراف والبروتوكولات

الجهات المعنية والهيئات الداعمة لتلك المشاريع
كي لا تبقى مجرد «أحبار على أوراق»!

في الطريق إلى العاصمة الخرطوم توقفت بنا
الطائرة في مطار أبوظبي لبضع ساعات فإذا
بي وأعضاء الوفد ملتفين حول الشيخ عيسى
لننهل من حديثه العبق المبسط وحكاياته ذات
النكهة الوطنية، التي تمس المشاعر والوجدان
قبل أن تلامس الآذان.

لا يختلف اثنان على أن الشيخ عيسى
بن محمد آل خليفة من الرجال الأوفياء
المخلصين لهذا الوطن، فعطاءاته أكبر من أن
يتم إيجازها عبر هذه السطور المتواضعة.



في ضيافة د. حسن الترابي (الخرطوم ١٩٩٧م)



حسن الترابي «رئيس البرلمان آنذاك».

ولا يسعني وصف اللقاء الأخوي الحميم الذي جمع الشيخ عيسى بن محمد ومضيفنا حسن الترابي في منزله المتواضع جداً بأحد ضواحي العاصمة، حيث طال العناق، وامتد الترحيب والسؤال عن البحرين والبحريين، وانطلق شريط الذكريات واللقاءات السابقة بين الرجلين الجليلين.

لا أفصح عن جديد إن قلت أن لقائي بالشيخ عيسى بن محمد والتشرف بمرافقته في هذه الرحلة المتميزة قد زادني فخراً واعتزازاً بعمق وصدق الانتماء للبلدي البحرين، الذي لا يمل ينجب الرجال الكبار يعطاءاتهم وحسن سيرتهم وكبر مكانتهم في داخل البحرين وخارجها.

المعهودة، وذلك لشعور الإخوة في الخرطوم بمكانة الشيخ عيسى وقربه والتصاقه بهمومهم وقضاياهم وحياتهم اليومية.

وعلى الرغم من أن للشيخ برنامجه الخاص خلال الزيارة إلا أننا وجدناه في أغلب أيام الزيارة مرافقاً لنا -نحن الوفد الصحفي- حيث تم التنسيق بفضل بعض الاتصالات التي أجرتها الجهة المضييفة لنظفر «أنا وزميلي د.عدنان بومطيع أستاذ الإعلام بجامعة البحرين الذي كان حينها صحافياً بجريدة أخبار الخليج» لنظفر بسلسلة من اللقاءات الصحفية المتميزة مع بعض الشخصيات السياسية في جمهورية السودان بدءاً بالرئيس عمر البشير، أعقب ذلك مقابلة وزير الإعلام «وقتذاك» غازي صلاح الدين، وختامها بزيارة منزل الشيخ

دور الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في صياغة ميثاق العمل الوطني

بقلم: الأستاذ علي صلاح الدين
مستشار قانوني



الأعمال الهامة ترسل إليه ليراجعها بنفسه، وقد شرفني بوسام عندما قام بمراجعة أحد الأعمال التي قمت بها وكان رده في عبارة بليغة أراها وساماً على صدري ما حييت وهي: «هذا ليس فقط إجادة في العمل ولكنه توفيق من الله»، ولكن على الرغم من هذا الوسام الذي افتخر به كنت أغبط من عملوا معه عندما كان وزيراً للعمل وصاغ قانون العمل وقانون التأمينات الاجتماعية، والقرارات المنفذة لهذين القانونين السابقين لعصرهما لدرجة أن قانون التأمينات الاجتماعية مازالت هناك أحكام منه لم تُفعل حتى الآن نظراً لما تضمنه من أحكام سابقة لعصرها.

ولكن الله قد ادّخر لي أن أكون شاهداً على ما قام به الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في ميثاق العمل الوطني، إذ أنه مع فجر الإصلاحات الكبرى التي شهدتها المجتمع البحرين في العهد الزاهر لصاحب الجلالة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً في الدنيا». صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه أحمد والترمذي وابن حبان وصحيح الجامع للألباني).

لقد قرأت وسمعت هذا الحديث مراراً وتكراراً، ولكنني لم أدرك حقيقة فحواه وتجسيد ما ورد به من معان عميقة على أرض الواقع، إلا بعد أن قدر الله لي أن أعمل مع الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة حفظه الله حيث لمست دماثة خلق غمرتني بفيضها، فتعلمت في كل لحظة جوانب عديدة لمفهوم الأخلاق، فغداً مفهوم الأخلاق لدي أكثر اتساعاً وشمولاً، فبالإضافة إلى لين الجانب وحسن المعشر، هناك أخلاق العمل المتمثلة في الجدية والإخلاص والمتابعة الدائمة، فقد كان يتابع أعمال مكتب المحاماة الخاص به متابعة حثيثة، حتى أثناء تواجده خارج البلاد، إذ كانت كافة

الملك حمد بن عيسى آل خليفة حفظه الله، قد تم تشكيل لجنة وطنية لصياغة ميثاق للعمل الوطني ليكون هادياً ومرشداً للمجتمع البحريني لولوج الألفية الثالثة فكان ولا بد أن يكون الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في مقدمة هذه اللجنة، لما أفاض الله عليه به من علم وفضل وخبرة وتفاني في حب الوطن.

فمنذ الاجتماع الأول للجنة الوطنية لعمل ميثاق العمل الوطني شمر الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة عن ساعد الجد وقام بإعداد مسودة موجزة لميثاق العمل الوطني نابعة من عراقة تاريخ وحضارة وخصوصية مملكة البحرين، وكان هذا الموجز مكوناً من ثماني صفحات وقام بطرحها على لجنة إعداد الميثاق، حيث تحمس جلُّ أعضاء اللجنة لهذا الموجز، وقد كان من أبرز ما ابتكره المحور الاجتماعي - حيث لم يكن له ذكر بالمشروع الاسترشادي الذي وزع على أعضاء اللجنة - ولقد تحمس لهذا المحور الكثير من أعضاء اللجنة وكان على رأسهم الدكتورة بهية الجشي، وقد طلبوا من سعادته تطوير هذا الموجز وصياغة ميثاق متكامل، وفي هذه المرحلة من مساهمة الشيخ عيسى بن محمد في صياغة الميثاق تعلمت من سعادته كيف يكون العمل المؤسسي، إذ قام من فوره بالاعتكاف التام على هذا العمل، واطلع على

الكثير من المراجع المتخصصة في كل محور من المحاور، وصاغ المواد التفصيلية له، وقد بلغ خمساً وثلاثين صفحة، وبعد أن قام بمراجعة وتدقيق الصياغة القانونية الفنية قام بتوزيع نسخ منها على ذوي الخبرة والكفاءة من البحرينيين في كافة المجالات الاقتصادية والتعليمية والسياسية والاجتماعية والصحية، حيث تدارسه كل هؤلاء، ثم قام بدعوتهم مجتمعين لمناقشة ملاحظاتهم التي توصلوا إليها على مدار اجتماعات متتالية شهدتها غرفة الاجتماعات بمكتب سعادته، وبعد أن اطمأن على أن كل مختص قد راجعه وأبدى ملاحظاته كاملة قام بتنقيح مشروع الميثاق وصاغه الصياغة النهائية، وقدمه كوثيقة من وثائق لجنة صياغة الميثاق.

وكان من أبرز وأهم المقترحات الواردة بمشروع ميثاق العمل الوطني، الذي تقدم به سعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة الآتي:

١- التأكيد على الهوية العربية الإسلامية لمملكة البحرين.

٢- التأكيد على أن الإنسان البحريني هو محور البناء والتنمية.

٣- التأكيد على الشرعية القانونية.

٤- التأكيد على الوحدة الوطنية.

١٠- ترسيخ مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث.

١١- كفالة حرية التعبير بجميع صورته مع ضمان عدم المساس بالعقيدة الإسلامية وأخلاق وقيم المجتمع.

١٢- وضع القوانين واستحداث الآليات المختلفة، التي تكفل الحفاظ على كيان الأسرة وتقويته.

١٣- الارتقاء بنظرة المجتمع أفراداً ومؤسسات لقيمة الإنسان.

٥- التأكيد على إنشاء مجلس تشريعي منتخب انتخاباً حراً لديه صلاحيات كاملة.

٦- إعادة النظر في كل القوانين الاستثنائية.

٧- استكمال وإنشاء المؤسسات الدستورية (المحكمة الدستورية العليا - النيابة العامة - ديوان الرقابة المالية والإدارية).

٨- إيجاد أطر قانونية تكفل حرية المشاركة السياسية.

٩- تفعيل الدستور والتأكيد على أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.



- ١٤- حماية المرأة من كافة ألوان الاستغلال، والانتقاص من إنسانيتها.
- ١٥- الاهتمام بالتنشئة السوية للأطفال والعناية بتعليمهم ومعالجة الظروف التي قد تضطربهم إلى العمل قبل سن التكليف، ووضع الآليات لحماية الطفل من كافة أنواع الاعتداء وضمان حصوله على كافة حقوقه.
- ١٦- العناية بشباب الوطن، وتشجيع تكوين الأسر ودعم استقرارها واستمرارها.
- ١٧- تطوير وتوسعة نظام الضمان الاجتماعي، بما يكفل الحد الأدنى من الحياة الكريمة للمواطن وأسرتة.
- ١٨- معالجة مشكلة البطالة.
- ١٩- وضع حد أدنى للرواتب يكفل العيش الكريم لأفراد المجتمع.
- ٢٠- مكافحة المخدرات والمسكرات والتطبيق الجاد للعقوبات الواردة بالقانون.
- ٢١- تطوير الآليات اللازمة لنمو الاقتصاد الوطني.
- ٢٢- تنويع مصادر الدخل.
- ٢٣- المحافظة على الأرض ومصادر الثروة الوطنية.
- ٢٤- اتخاذ الخطوات اللازمة لتكامل اقتصادي خليجي ثم عربي ثم إسلامي.
- ٢٥- إنشاء ديوان المحاسبة والرقابة المالية والإدارية للتدقيق في أوجه الصرف العام.
- ٢٦- وضع تشريعات وآليات لتفعيل فريضة الزكاة، وتطوير الآليات الأهلية والرسمية اللازمة لجمعها وتنميتها وصرفها في أوجهها.
- ٢٧- تقديم بديل سياحي ينسجم مع هوية البلاد وينمي اقتصادها الوطني.
- ٢٨- حماية اللغة العربية والتوسع في استخدامها في القطاعين العام والخاص.
- ٢٩- تطوير دور المكتبات العامة لحث المواطنين على القراءة والبحث.
- ٣٠- بلورة القواسم المشتركة لهوية إسلامية تجتمع عليها فئات المجتمع، وغرسها في الأجيال الصاعدة.
- ٣١- التطوير الفعال والمستمر للسياسة التعليمية وأهدافها وبرامجها لمواكبة تطورات العصر.
- ٣٢- العناية الفائقة باختيار المرشحين المهمة التعليم والتطوير المستمر لبرامج إعداد المعلمين، قبل وأثناء الخدمة بما يتلاءم

ومستجدات العصر وحاجات التنمية.

٣٣- إيجاد بيئة أخلاقية سليمة في المدارس والجامعات ومحيطها للمساعدة في تنشئة جيل سوي.

٣٤- توفير فرصة التعليم الجامعي المجاني لأبناء الطبقات محدودة الدخل المؤهلين لمواصلة الدراسة.

٣٥- تشجيع إنشاء مراكز الأبحاث المستقلة في شتى المجالات التقنية والصناعية والشرعية والاجتماعية والسياسية والإعلامية، وفتح المجال لحرية نشر الأبحاث والتحاور المفتوح حولها.

٣٦- إشراك القطاع الخاص في تمويل مراكز البحث، ووضع التشريعات اللازمة للمحافظة على استقلالها التام.

٣٧- وضع الخطط والعمل على نقل وتوطين التكنولوجيا التي تحتاج إليها خطط التنمية.

٣٨- الاحتفاء والتكريم للعلماء والمخترعين في شتى المجالات.

٣٩- تشجيع المؤسسات العامة والخاصة للقيام بوظائف البحث والتطوير لتحسين الإنتاج، كما ونوعاً وفقاً للمعايير الدولية.

٤٠- توظيف التكنولوجيا الحديثة في إنجاز

الخدمات (الحكومة الإلكترونية).

٤١- تأكيد مبدأ المسؤولية الاجتماعية للإعلام بحيث يؤدي دوراً إيجابياً في التربية والتماسك الاجتماعي، والارتقاء بالوعي العام للأفراد.

٤٢- الارتقاء بالذوق العام من خلال انتقاء وبث المواد الإعلامية الراقية والهادفة.

٤٣- فتح وسائل الإعلام للحوارات والمشاركات الفكرية الجادة والمتزنة، أمام شتى الفعاليات الوطنية في المجتمع.

٤٤- المحافظة على المساحة الخضراء «المفيدة للإنسان» في البلاد وتوسعتها.

٤٥- إلزام الصناعات الملوثة بالمحافظة على البيئة وتحويلها إلى المناطق البعيدة عن العمران.

٤٦- سن التشريعات واستحداث الآليات الرسمية والشعبية للمحافظة على البيئة، ومصادر الثروة الغذائية من التلويث أو التخريب أو الردم والامتداد العمراني غير الضروري.

٤٧- ترشيد استهلاك الطاقة واستغلال البدائل النظيفة، وعلى رأسها الطاقة الشمسية.

٥١- تطوير الأندية الرياضية الحالية إدارياً وفنياً وتوجيهها للارتقاء بأعضائها بدنياً وثقافياً وسلوكياً، والوصول إلى المنافسات الدولية.

٥٢- إنشاء الأندية والمرافق الرياضية الخاصة بالنساء.

٥٣- الارتقاء بالصحة العامة بدءاً بالصحة الوقائية، ونشر الوعي بالعادات الصحية.

٥٤- وضع وتنفيذ استراتيجية واضحة لتطوير الخدمات الصحية الشاملة فنياً وإدارياً، مع تحقيق هدف تيسير وتقريب الخدمة الصحية الأولية لكل مواطن.

٤٨- العمل على تخفيف الزحام المروري وما ينجم عنه من ملوثات، من خلال توفير البديل اللائق النظيف من المواصلات العامة ذات الكفاءة العالية.

٤٩- سن التشريعات لتنظيم أنماط العمارة والفصل بين مناطق السكن العائلي، ومناطق النشاط والسكن السياحي والخدمي.

٥٠- التركيز على أنواع الرياضات التي تبني القوة والتحدي والثقة بالنفس لدى شريحة الشباب، جنباً إلى جنب مع غرس الأخلاق الرفيعة والمنافسة الشريفة.



٥٥- الاهتمام بالمشاكل الصحية والنفسية المتعلقة بفئات المراهقين وكبار السن والمدمنين والمدخنين، وضحايا الأسر المفككة وذوي الاحتياجات الخاصة.

تلك بعض إشارات لما تضمنه مشروع الميثاق الذي تقدم به سعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، والتوفيق الحقيقي لهذا العمل المبارك أن كثيراً من هذه الأفكار قد تبناها ميثاق العمل الوطني الذي وافق عليه جل الشعب البحريني.

ثم جاء التوجه الملكي الكريم لصاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة ليتوج هذا العمل الفذ والمخلص لسعادة الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة، وذلك بإلغاء محاكم

أمن الدولة وإنشاء النيابة العامة والمحكمة الدستورية وديوان الرقابة وإطلاق الحريات، وإنشاء المنابر السياسية. وقد صاحب ذلك طفرة في التعليم وتحول نوعي في السياحة واهتمام متزايد بالمحافظة على البيئة وتحول ناجح للحكومة الإلكترونية.. وغيرها الكثير مما كان يعد أحلاماً تراود الشيخ عيسى أودعها في مشروعه، فإذا بها تبدأ في الانبثاق وطالما كان في المجتمع أبناء مخلصون للوطن مثل الشيخ عيسى بن محمد في حكمته وحنكته وخبرته وحنوه وعطفه ووطنيته المتقدة، فإن كل هذه النباتات الصاعدة سوف تنمو وتثمر مع الأيام لخير وصالح مملكة البحرين الحبيبة وكل من يحيا على ترابها الطاهر.





ملحق الصور



سمو الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة -طيب الله ثراه- مفتتحاً مبنى جمعية الإصلاح (١٠ مايو ١٩٨٣م)



حفل افتتاح مبنى جمعية الإصلاح في مايو ١٩٨٣م بحضور المغفور له بإذن الله تعالى سمو الأمير الراحل الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة وصاحب السمو الملكي الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة والمغفور له بإذن الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان آل خليفة وعدد من المشايخ والوزراء والأعيان



يهدي الأمير الراحل درعا تذكارية باسم مجلس إدارة جمعية الإصلاح



رقصة العرضة بجمعية جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة وصاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء أمام قلعة عراد بالبحرق (٢٠١٠م)



إحدى الزيارات الرسمية الخارجية بمعية جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة «ولي العهد ووزير الدفاع آنذاك» (١٩٧٨م)



في حديث جانبي مع وزير الصحة الأسبق د. علي محمد فخرو



(١٩٨٧م)



مع جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى «ولي العهد ووزير الدفاع آنذاك» (١٩٧٩م)



يستلم من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد الأمين «وسام الشيخ عيسى بن سلمان» (٢٠٠١م)



الأستاذ يوسف الحجري رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والأستاذ عبدالله العلي المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعية السابق رحمه الله والشيخ عيسى بن محمد في أحد المؤتمرات الإسلامية



خلال استقباله خبراء أوروبيين في الشؤون الاجتماعية بحضور مدير إدارة الشؤون الاجتماعية الأستاذ جميل الجشي (١٩٨٠م)



مع وزير الأوقاف الكويتي الأسبق ورئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الأستاذ يوسف الحجري



يودع وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية العماني (١٩٨٠م)



في استقبال أحد الرؤساء الأفارقة



(١٩٧٩م)



يتسلم من الأستاذ كامل صالح الصالح درعاً تذكارية بمناسبة مرور ١٠ سنوات على تأسيس مجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بدول الخليج العربي (١٩٩٠م)



ندوة طبية مشتركة مع وزارة الصحة بحضور د. علي محمد فخرو «وزير الصحة الأسبق»



مكرماً من قبل وزير العمل والشئون الاجتماعية الأسبق سعادة الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة -يرحمه الله-



(١٩٧٩م)



مع رفيق دربه في جمعية الإصلاح الشيخ عبدالرحمن بن علي الجودر -يرحمه الله-



يلقي محاضرة في «التسامح الديني والتكافل الاجتماعي بين فئات المجتمع» إبان الغزو العراقي لدولة الكويت الشقيقة وذلك في جمعية رعاية الطفولة والأمومة بحضور الأستاذة فائزة الزباني (١٩٩٠م)



من اليمين: الشيخ خالد بن عبدالله آل خليفة - صالح شهاب - طارق عبدالرحمن المؤيد - الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة في إحدى الفعاليات الثقافية



مصافحا الأمير الحسن بن طلال على هامش مؤتمر آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية منتصف ثمانينيات القرن الماضي



مع وزير الأوقاف الأردني الأسبق وأحد أبطال «حرب فلسطين ١٩٤٨م» الأستاذ كامل الشريف -رحمه الله-

بالناصرية رقم ١٣ بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله

١٣٥٠ سنة ٧ / ٥
 ١٩٣٧ سنة ٨ / ٢٢

محکمہ اعلیٰ تعلیم و تربیت دہلی

طالبان کتابکم التبریم بعد عودتی و سفر طویل و آخره و قدرتی و آشنائی
و بحواله نفع الساعات

وہاں رہا و انتقل یسیر محمد فتوای جانب العاطفہ نصیر علیہ

فمعدنة وانا تنقلونكم على الحب العظيم والرحمة السعيدة فذكرنا بالجنة الدائمة
نكم الزواجر الطيبة انما هي الله وحجنا واياكم فحرمنا وحرم الله على انكم
يا آف كننا نود انه نكلمه جبريت الاخوان الصديق صفيحة من الحبيب اليكم
فابقيتم الا انه تنقلوا بالانزال فزاكم الله خيرا ووفقنا جميعا الى عذبة
دنة الحبيب

ربه العليم
 محب يا افر كبرا انه تديم صلواته بنا وانه تعجب اليها كبرا ونحب انه تديم
 البحرية عنه طريقه جريدته اذا استغفرتكم فاستغفروا اليها بما تحبون للنفس
 واسمعي عيسى ورحمة الله الوفاء
 محمد العليم



أثناء إلقائه كلمة المكرمين في افتتاح «منتدى الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة وأصحابه للنجاحات الخليجية»
برعاية مركز البديل للتدريب والتطوير



من اليمين: أحمد العسمي - الشيخ سلمان بن عيسى - الشيخ
عيسى بن محمد - الشيخ محمد بن عيسى - شكيل الأعظمي



من اليمين: الوجيه علي العوضي - الشيخ عيسى بن محمد -
الأستاذ أحمد بوقحوص





من اليمين: محمد جميل - أحمد العسمي - د. هشام الشيخ - الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة - شكيل الأعظمي
د. عبدالعزيز أبل - محمد الفاتح مدني



قيادات العمل بجمعية الإصلاح



والشيخ إبراهيم الحادي



مع معد الكتاب د. هشام الشيخ



مرحباً بالدكتور عبدالرحمن النعيمي في منزله بالبحرق (يونيو ٢٠٠١م)



حوار مع السيد خليفة بن أحمد الظهراني «رئيس مجلس النواب» بحضور الدكتور عدنان بومطيع



مع زميل الدراسة
الأستاذ حسين الصباغ

حقوقيون عملوا بمكتب الشيخ عيسى بن محمد للمحاماة والاستشارات القانونية





المحامية هند حمد بن شمس



حسن العتيبي (وكيل النيابة)



المحامية مي زامل الجوير



المحامية فاطمة فؤاد العوضي



المحامية مروة محمد بو عنق



المحامية بدور العلان



وسام «الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة»
مملكة البحرين



وسام «الاستحقاق»
جمهورية مصر العربية



وسام «الحسين بن علي»
المملكة الأردنية الهاشمية



الوسام «الهميوني»
إيران

شكر وعرفان لـ

عبدالوهاب الشيخ محمد
قاسم يوسف الشيخ
عبدالعزیز جلال المیر
زاهر محمد سعید
محمود أحمد عبدالرحیم
جمعة عبدالرحمن بوحمد
د. عدنان جاسم بومطیع
إبراهیم محمد الحادی
منيرة عيسى بن هندي
خالد محمد القطان
د. صلاح الدين المجذوب
موسى غلوم الأنصاري
رضي السماك
يوسف فاخر – صحيفة أخبار الخليج
إيمان أحمد الحوطني
إبراهيم أحمد المران

المصادر والمراجع

- رجال كانوا هنا: د.عبدالحميد المحادين والأستاذ عبدالوهاب بوكمال - من إصدارات مدرسة الهداية الخليفية - الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.
- الخروج من العتمة: د.عبدالحميد المحادين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- من ذاكرة البحرين: د.عبدالحميد المحادين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- الهداية الخليفية.. رجال وأفاق: د.عبدالحميد المحادين.
- البحرين.. حضارة وتاريخ: من مطبوعات إدارة المتاحف والتراث بوزارة شؤون مجلس الوزراء والإعلام - الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
- ديوان الشيخ خالد بن محمد آل خليفة: الشاعر مبارك بن عمرو العماري - الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ديوان الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة: تحقيق د.علي أبا حسين - وزارة الإعلام ١٩٨٧م.
- قبيلة بني خالد في الجزيرة العربية: محمد يوسف الخالدي - الدار العربية للموسوعات - الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- تلك الأيام: خالد البسام: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.
- التجربة البرلمانية الأولى في البحرين (١٩٧٢-١٩٧٥م): الدكتورة ريا يوسف حمزة - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- المحرق.. وردة البحر: عبدالله الخان وحسين المحروس - شركة بيت البحرين ٢٠٠٦م.
- ديموقراطية ٧٣.. الشعب في التجربة: عبدالله الخان وحسين المحروس - شركة بيت البحرين - الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- لؤلؤة.. سيرة الحلو والمر: حسين المحروس - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ٢٠١١م.
- فصول من حياة الشيخ عبدالأمير الجمري: شركة دار الوسط للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- مقابلة خاصة للشيخ عيسى بن محمد آل خليفة مع فتاة الحوار ٢٠٠٨م.
- مجلة (الإصلاح) الشهرية - جمعية الإصلاح.

- مقابلة مع السفير البحريني السابق الأستاذ حسين راشد الصباغ - ديسمبر ٢٠١٠م.
- مختار الصّاح للرازي- طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٩م.
- المنجد في اللغة والأعلام -دار المشرق- بيروت ١٩٩٢م.
- مذكرات الدعوة والداعية للإمام حسن البنا- دار الدعوة ٢٠٠١م.
- في قافلة الإخوان المسلمين للأستاذ عباس السيسي - دار التوزيع والنشر الإسلامية ٢٠٠٣م.
- شعراء البحرين المعاصرون للدكتور علوي الهاشمي-المطبعة الشرقية - الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- أوراق بحرينية: تقى محمد البحارنة - مكتبة فخرأوي - الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- الشقيقان والسنوات الصعبة: توفيق الحمد - الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- صفحات من تاريخ الحركة العمالية البحرينية: عبدالله مطيوع -دار الكنوز الأدبية- الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- أوراق عمالية: عبد المنعم الشيراوي -دار الكنوز الأدبية- الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

- مجلة (العمل): وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ١٩٧٩-١٩٨٠م.
- صحيفة «أخبار الخليج» البحرينية.
- صحيفة «الأيام» البحرينية.
- صحيفة «الوسط» البحرينية.
- صحيفة «الشروق» القطرية.
- الأرشيف الخاص للأستاذ حسين راشد الصباغ.
- الأرشيف الخاص للأستاذ قاسم يوسف الشيخ صالح.
- أرشيف جمعية الإصلاح.
- أرشيف مكتب الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة للمحاماة والاستشارات القانونية.
- تاريخ جمعية الإصلاح (١٩٤١-١٩٨٠م): تحت الطبع.
- مقابلة مع الأستاذ موسى غلوم الأنصاري - نوفمبر ٢٠٠٨م.
- مقابلة مع الأستاذ قاسم يوسف الشيخ صالح - مارس ٢٠١٠م.
- مقابلة مع السفير البحريني السابق الأستاذ عبدالعزيز الحسن - نوفمبر ٢٠٠٨م.

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا
وَعْدَهُ، وَأَوْثَرَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ
حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٧٤)

الزمر

